- [illegible] في النصف الأول من القرن العشرين)
- [illegible] من [illegible] الفكر [illegible] في لبنان [illegible] الجامعة اللبنانية [illegible]
- [illegible] قرب [illegible] وهي اليوم [illegible] الخالدون (ص ١٨٦)

[illegible] شمس الدين [illegible]
[illegible] السيد [illegible] (ص ٣٤)

الشيخ [illegible] الشيخ [illegible] شمس الدين [illegible] الشيخ [illegible] حسن [illegible] (ص ٣٣)

شاعر من جبل عامل

الشيخ علي مهدي شمس الدين العاملي

- [illegible] السيد محمود [illegible] [illegible]
الترجمة و[illegible] السيد [illegible] والسيد محمود الأمين [illegible]
السيد [illegible]
[illegible] (ص ٥٤)
- السيد [illegible] [illegible] فضل الله [illegible] الشيخ علي مهدي [illegible]
[illegible] الشاعر علي مهدي [illegible] السيد [illegible] المحسن فضل الله [illegible] (ص ٥٩)
- السيد [illegible] [illegible] شمس الدين

شاعر من جبل عامل

الشيخ علي مهدي شمس الدين العاملي
في حياته وأدبه

١٨٨٤م - ١٩٥٤م

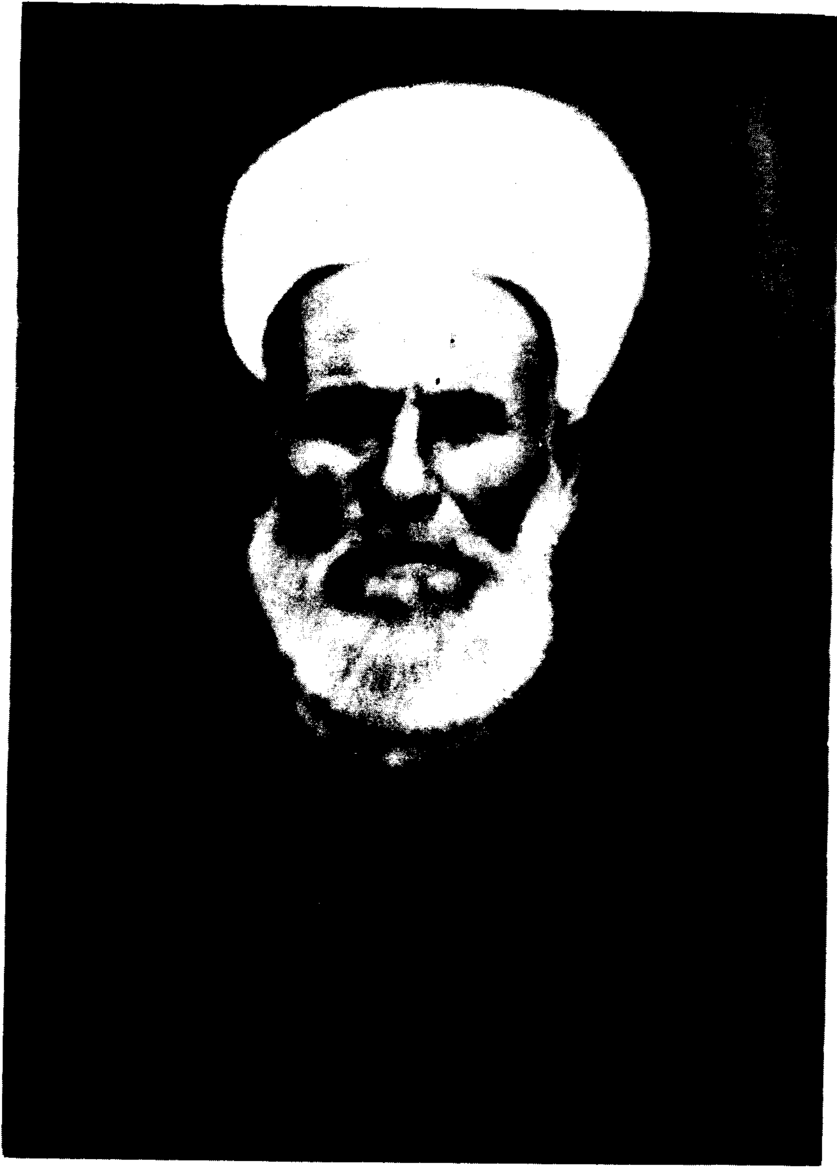
١٣٠٢هـ - ١٣٧٤هـ

دراسة وتحقيق
علي محمود حجازي

الطبعة الاولى

١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م

لتوزيع هذا الكتاب
يرجى مراجعة المؤلف أو مكتبة المزرعة الجديدة
شارع المزرعة - تلفون ٣٠١٥٦٥
بيروت - لبنان



الشيخ علي مهدي شمس الدين

نبذة عن المؤلف

■ ولد المؤلف في بلدة قبريخا قضاء مرجعيون ، في السادس من آذار ١٩٥١ .

■ والده السيد محمود جعفر حجازي . والدته طِيبَه منصور .

■ تلقى علومه الابتدائية والمتوسطة في مدارس : قبريخا ، خربة سلم وشقراء والثانوية في مدارس بيروت .

■ يحمل إجازة في اللغةِ العربية وآدابها من الجامعة اللبنانية ، سنة ١٩٨١ .

■ سنة ١٩٨٣ ، أنهى إعداد شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها ، في جامعة القديس يوسف .

■ يُعِدُّ اليوم أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الجامعة نفسها .

■ متزوج من مريم خليل رمّال وله ثلاثة أولاد .

الإهداء

إلى الفارس الأصيل، المناضل العنيد من أجل الحياة :

أبي

إلى السيدة الرائعة الحنان والطيبة، إلى الطهر والقداسة :

أمي

إلى من ارتشفت معهم الحليب الطاهر، وقاسمتهم مرارة الحياة وحلاوتها :

أخوتي وأخواتي

إلى الرفيقة الرقيقة، الشريكة الصدوقة، التي شاركتني المعاناة وعملت معي للحصول على مصادر هذه الدراسة :

العزيزة زوجتي

إلى فلذات كبدي ورحيق حياتي :

إلى فاتن ورُلى وفراس، الذي ما زال يحبو

إلى كل الأعزاء على قلبي

أهدي هذا الكتاب

علي

توطئة

بقلم د. محمد كاظم مكي

إنها لمناسبة سعيدة، أن تظهر أولُ دراسةٍ أدبيةٍ، تتناولُ الشاعر علي مهدي شمس الدين، في سيرته وتراثِه، وذلك قبل بضعةِ أشهرٍ من إنقضاء قرنٍ كامل على ولادته، ليُطِلَّ على الحياةِ من جديد، فيرى النورَ مع الخالدين من أعلام التراثِ الوطني، ليكون حظُّه بعد مماتِه، أفضلَ من حظِه في حياتِه. فمن شاءَ أنْ يقرأ عن سيرةِ إبن الروميّ وشعرهِ، صفحةً جديدة، معدّلةً في الزمانِ والمكان، فليقرأُ سيرةَ علي مهدي شمس الدين، وشعره ابتداءً من ولادتِه سنة ١٨٨٤ م، في بقعةٍ قصيةٍ من جبلِ عامل، في بلدةِ مجدل سلم من جنوب لبنان، حتى وفاته سنة ١٩٥٤ م في البلدة ذاتها.

سبعون سنة من الآلام والأحزان قضاها علي شمس الدين في هذه الدنيا، بين أكناف الفقر والسجن والعمىٰ . . . . . . ليكونَ شعرُه التعبيرَ الوحيدَ الباقي عن حياته وعن مجتمعه.

وآخُر مآسيه انَّ شعرَه الغزيرَ المتنوعَ كان مشتتاً بين الأوراقِ والكراريس التي توزعها أبناؤه وأحفاده، وأقاربه وأصدقاؤه، توزعهم بين العاصمة اللبنانية، وقرى الجنوب اللبناني، إذ أن القليل من شعرِه قد جُمِعَ في ديوان، أحسن صديقه الشاعر أمين نخله صُنْعَاً يومَ عَمِلَ على نشْرِه؛

كما كانت لمحات سِيْرَتِه موزَعةً في ذاكرةِ اصدقائِه، وذكريات رفاقِ شبابِه، وذوّاقةِ شعرِه، وبعض ممدوحيه، ممن لا يزال يؤدي قسطه من الحياة، فكأنَ التوزعَ والتَشَتُّتَ إشاراتٌ واضحةٌ على التعاسة الملازمة لحياته.

إلاّ أن القدرَ شاءَ أن يبتسم للشاعرِ بعد مماته ، من خلالِ جهدِ علي محمود حجازي ، المتوّج بدراسته الجامعية هذه ، والتي أنجزها في رحاب جامعة القديس يوسُف في بيروت ، وناقشها في مطلع سنة ١٩٨٣ ، لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بموضوع : « علي مهدي شمس الدين في حياته وأدبه » حيث كان لي دور الإشراف على إعداد هذه الرسالة .

فقد عقد السيد حجازي العزمَ على البَحْثِ والتّنْقِيبِ في حقولِ التراثِ العاملي ، فانتَشَلَ نِتَاج هذا الشاعرِ من مستودع الإنتظارِ المجهول ، إن لم يكن من محطةِ النسيان الطويل ، ليضعَهُ في واجهةِ الظهور والحياة ، مما تتطلب منه جهداً سخياً تمثل بجولته العلمية الطويلة ، لجمع شتاتِ المستنداتِ التي تضم نتاج الراحلِ ، واستنطاق رفاق الشاعر ، وجُلّهم قد ادركته الشيخوخة ، فباتوا مقعدين إلاّ من ذكرياتٍ قديمة أفادوا بها الدراسة غنى وجدِّية، وعمد بعد ذلك لِضم أجزاء النتاج الشعري بعضها إلى البعض الآخر ، مدوناً محققاً ومنسقاً ، ليتمكن من إستقراء مضمونه ، ويستنطق ما بين السطورِ والمقطوعاتِ والقصائد ، ويخرج بدراسةٍ شاملةٍ عن هذا الرجلِ في حياتِه ، وعن شعرِه في أنواعه وفنونه ، حيث أوضحَ الغامضَ ، وفصَّل المُجمَل ، وأبرز النادر المستحسن . كمن يجِدُ في حفرياتِ التراثِ أثراً مهشم القسماتِ مفتت الأجزاءِ فيعيده الى ما كان عليه ، هكذا فعل علي حجازي في شعر علي شمس الدين ، مستنداً إلى الصبر والأناة ، يرفده في عملِه الصعب هذا عاملان إثنان : عامليته وعصاميته . فهو عامليٌّ من قريةٍ مجاورةٍ لمسقط رأسِ الشاعر ، وهو عصاميٌّ كانَت هذه الدراسة جزءاً من رحلة نشاطه العلمي التي لم تتوقف ، والتي واكبت وظيفته كأحد رتباء قوىٰ الأمن الداخلي ، حيثُ كان يقوم بواجبِه الوظيفي مُؤَدِّياً خدمة الوطن ، وقائماً بموجباتِ العلمِ من ناحيةٍ ثانية ، هذا الجنديُّ الأبيُّ الذي يحملُ البندقية بيد ، ليحملَ باليدِ الثانيةِ قلماً يستكملُ خدمة لبنان ، مؤمِناً أن الوطنيةَ عطاءٌ كاملٌ متكامل ، وأن الجِديةَ والثقافَة كالسيفِ والقلمِ يتعانقانِ لخدمةِ الوطن .

وفي الحقيقة ، أن هذه الدراسة قد أدت إلى المحصلاتِ التالية :

ـ كشفت عن شاعرٍ مغمور ، وشعر مَنْسِيّ ، فأخرجت الشاعرَ إلى واجهةِ الظهور ، وقدَّمت نِتَاجَاً شِعْرِياً موحداً ومحققاً ، يؤكد بسبب جمعه بين الكلاسيكية

والحداثة على استمرارِ جبل عامل في محافظته على القديم وتوقه للجديد .

- أوضحت انفتاح جبل عامل على الحياةِ الفكرية بلبنان عامة ، وعلى كونه جزءاً معطاءً من هذا الوطن ، متناغماً فكرياً مع سائر المناطق اللبنانية ، متمثلاً بالعلاقات الأدبية بين شاعرنا وزملائه في الوطن أمثال : مي زيادة ، رشيد نخله ، أمين نخله ، وصلاح اللبابيدي .

- بيَّنت انفتاح لبنان عبر مفكريه ، على سائر أدباء مصر وسوريا وفلسطين والعراق ، حيث التقى شمس الدين بأحمد شوقي ، وعلى الشرقي ، وجبر ضومط، وحسن البحيري ، ليتأثر بهم ويؤثر فيهم .

بهذه المحصلات وبتفاصيلها الغنية يجدر بعلي حجازي أن يواجه القراء والدارسين ، ويحق له بالتالي أن يقدم دراسته مطبوعة ، فيؤكد مشاركته في خدمة التراث وخدمة الوطن ، فيكون كتابه هذا حصيلة جهد سنوات عديدة الدعوة الموجهة الى كل المؤسسات الفكرية في لبنان ، لإحياءِ الذكرى المئويةِ الأولى لولادةِ الشاعر ، التي نحنُ على مشارفها .

أيلول ١٩٨٣
محمد كاظم مكي

تمهيد

- المقدمة : أ - ب - ج - د .
- لمحة في تاريخ جبل عامل السياسي ، والاجتماعي ، والفكري (١٨٦٥ - ١٩٥٠)
- أصل تسمية جبل عامل .
- الأوضاع السياسية والاجتماعية في جبل عامل .
- الحالة الفكرية في جبل عامل .

المقدمة

جبل عامل ، أو « جبل العلماء » كما يسميه العارفون . عرف عبر التاريخ عدداً كبيراً من الأدباء والشعراء ، منهم من ترك تراثاً مطبوعاً ، ومنهم من أودعه بطون الكتب والجرائد والمجلات ، ولم يحفل بجمعه ، اما لضيق ذات اليد ، أو لسبب قاهر ، أو لأي ظرف إجتماعي آخر ، وبقي تراثهم مطموراً وقيمته مغمورة ، فلم يتعدوا بيئتهم الضيقة التي قد تنساهم على مر الزمن ، ولسوء الحظ إن عدد مثل هؤلاء في جبل عامل كثير ، وإن كانوا يتمتعون بباع طويلة في الشعر والنثر .

إلاّ أن الدراسات الجامعية بدأت تتجه منذ مدة ربع قرن ، نحو هؤلاء الشعراء المغمورين تنفض عنهم غبار الغبن علّها تفيهم حقهم ، وتنقذ تراثهم من الضياع ،وترفعهم الى الرتبة التي يستحقون. واذا كان من حق هؤلاء الرواد علينا أن نخرج تراثهم الى حيِّز النور ، فلقد وضعت نصب عيني ، أن أسلك هذا الطريق على الرغم مما في مثل هذه الدراسات من عناء ، وبالطبع أخذت أفتش عن الشعراء الذين لم تتناول أدبهم أيدي الدارسين بعد ، فوجدتهم كثراً أذكر منهم على سبيل العدّ لا الحصر : علي مهدي شمس الدين ، محمد حسين شمس الدين (شاعر جبل عامل) ، موسى الزين شراره ، محمد نجيب مروّة، محمود حسين شمس الدين ،عبد الحسين سليمان ، حسن الحوماني ، السيد جعفر الأمين ، محمد فلحه ، السيد نور الدين بدر الدين ، أحمد حجازي ، توفيق البلاغي ، علي شراره ، محمد رضا الزين ، السيد نجيب فضل الله ، نور الدين فحص ، وغيرهم فأخذت على عاتقي البحث في أدب وشعر وتراث علي مهدي شمس الدين ، لأنه عاش مع من ذكرت ، في مرحلة صعبة من تاريخ جبل عامل ، وبقي طوال حياته واهباً نفسه لهذا الجبل وأبنائه ، يغنيهم شعراً ، ويبثهم الشوق ، ويغضب منهم اذا استكانوا ، ويفرح اذا انتصروا ، عاشرهم في أفراحهم وأتراحهم ، وقال الشعر في مختلف المناسبات ، حتى بلغ ما نظم من شعر الاف الأبيات ، لم يخرج فيها عن حيز هموم وطنه

الكبير ، ولم ينشر من هذا النتاج ، إلاّ كتيّب صغير ، لم يطبعه هو ، بل تبرع بطبعه ، صديقه الشاعر المرحوم أمين نخله ، وهكذا كان عليّ أن أجمع ما ترك الشاعر . وبالواقع ، لم تكن سهلة أبداً ، عملية جمع تراث شاعر رحل ، دون أن يجمع شعره ، أو لعله قد جمعه ولكنَّه تفرّق بفعل فاعل ، وعملية الجمع هذه تتطلب جهوداً مضاعفة لأن هذا التراث الأدبي ، كان موزعاً في الصحف والمجلات التي كانت تصدر ومنها ما يزال يصدر لتاريخه ، كمجلة العرفان الغراء ، وبعض الكتب . وكذلك تم جمع الباقي ، من ألسنةِ الناس مشافهةً ، خاصة وان هذا الشاعر يدرس للمرة الأولى دراسة منفردة ، وما كُتب عنه وعن سيرته ، لا يتعدى الأسطر القليلة ، أو الصفحات المعدودة في بعض الكتب ، وان ما كُتب عنه لم يكن تقييما لأدبه ، إنما كان عرضاً فقط ، فقد وجدت انه ترك مقامات طويلة ، وقصيرة ، لم تشر اليها المجلات ، ولا الكتب بشيء ، وربما يكون الوحيد في جبل عامل ، الذي كتب في هذا الموضوع .

وبما أن الشاعر خاض في جميع الفنون الشعرية ولم تتناوله الدراسات بعد ، رأيت أن أخرجه الى حيِّز النور .

وقد نهجت في دراستي ، المنهج التاريخي الذي ينبثق انطلاقاً من بيئته ، ثم اعتمدت ، بعد عرض نتاج الشاعر الأدبي ، الشعري والنثري ، منهج التحليل والتقسيم ، وقد صنفت نتاجه النثري في باب ، ونتاجه الشعري في باب آخر ، ثم عرضت نوعاً من مقاماته ، التي تشكل فناً جديداً بالنسبة للأدب العاملي الذي تشعبت أغراضه بين تقليدي وغير تقليدي ، وذلك لإلقاءِ الضوء على هذا الأدب ، الذي ما فتىء يواكب التطورات الحضارية والركب الأدبي .

ويتكون الكتاب من مدخل وثلاثة أبواب وخاتمة وفهارس ، أما المدخل فقد خصص ، للحديث عن الفترة التاريخية ، التي عاش فيها الشاعر ، ولانعكاس الحياة السياسية فيها على الأدب ، ثم تطرقت للأحوال الأدبية في جبل عامل ، في ظل هذه الظروف .

ويتألف الباب الأول من ثلاثة فصول ، ففي الفصل الأول استعرضت حياة الشاعر ، من مختلف جوانبها ، وفي الفصل الثاني ، رحت أتعرف على الشاعر من خلال لقاءاته بالعديد من الشعراء ، الذين عاصرهم في لبنان ، وفلسطين ، ومصر والعراق . ثم استعرضت نماذج من التبادل الأدبي معهم . وفي الفصل الثالث

تكلمت عن آثاره في النثر والشعر . أما بالنسبة للنثر ، فقد وقفت منه على مراسلات ومقامات ورواية ، أما الشعر فقد جعلت منه عرضاً خاصاً ، بتعدد القصائد وتوزيعها على الجرائد ، والمجلات ، والكتب ، تسهيلاً لمن يريد العودة إليه والاطلاع عليه ، حيث لا يمكنني إيراد هذا الشعر كاملاً ، لأنه يزيد عن طاقه المطلوب في هذه الدراسة .

أما الباب الثاني بفصليه ، فقد جعلته في مختلف الاتجاهات الشعرية لديه .

في الأول منهما : التقليدية كالمديح ، والهجاء ، والرثاء ، والغزل ، والأغراض الباقية ، وفي الثاني الفنون غير التقليدية كالتأريخ الشعري ، والطفولة ، وتقريظ الكتب ، والفكاهة ، وغيرها ، مما يدلنا على أن الشاعر تابع مسيرة الأدب وتطوره وفنونه .

أما بالنسبة للباب الثالث فقد خصصته ، لتقويم النتاج الأدبي . ففي الفقرة (أ) أجريت تقويماً لجهة الموضوعات والواقع التاريخي .

أما الفقرة (ب) ، فقد خصصت لتقويم الصياغة ، والفقرة (ج) فلتقويم النتاج بالنسبة للأدب العاملي وفي الفقرة (د) ، تكلمت على الجديد المستحدث في شعره ونثره ، وما امتاز به الشاعر من روح مسرحية وما قِيْلَ فيه .

وأخيراً الخاتمة . وقد أنهيت البحث بخلاصة ، كشفت عن الحقائق التالية :

- فن المقامات الجديد على الأدب العاملي . والمقامة الطويلة أو الرواية .
- الروح المسرحي الساخر الذي طغى على شخصيته .
- قدرته على الإرتجال .

وفي الأخير ، وضعت فهرست الدراسة ، وقائمة بالمصادر والمراجع ، وملحقاً يشتمل بعض القصائد والرواية الشعرية ولا بدّ لي من الاشارة قليلاً ، إلى الصعوبات التي واجهتني في هذا الكتاب .

فخلال الحقبة التي كنت أجمع فيها نتاج الشيخ علي شمس الدين فوجئت وفوجيء وطننا الغالي بأشرس هجوم اسرائيلي مدمِّر ، قضى على الأخضر واليابس ، وازهق آلاف الأرواح ، وقضى على المؤسسات التربوية والصناعية ، وكاد يوقف

جميع شرايين الحياة في المجتمع . . . وما أن هدأت الأحوال قليلاً مخلّفة وراءها دماراً كبيراً حتى حملت كتبي مجدداً الى بيروت ، وعدت الى جمع نتاجه من الجرائد والمجلات والكتب ونوادره وأخباره من الأدباء والشعراء المعاصرين .

ولا بد هنا من أن أتوجه بجزيل شكري وعميق امتناني للذين ساهموا بجهودهم في هذا الكتاب وأخص بالذكر :

- سماحة العلامة الشيخ محمد مهدي شمس الدين ، نائب رئيس المجلس الاسلامي الشيعي الأعلى في لبنان .

- الدكتور محمد كاظم مكي ، لما لقيت منه من تشجيع واهتمام .

- الشاعر موسى الزين شرارة ، الأديب الدكتور حسين مروة ، السيد حسن الأمين ، الأستاذ حبيب صادق الذي فتح لي مكتبة جبل عامل الموجودة في المجلس الثقافي للبنان الجنوبي ، والسيد عبد المحسن فضل الله والدكتور عبد الرؤوف فضل الله وعلي موسى شمس الدين .

وأنني أعتذر أن قصّرت في كتابي هذا ، راجياً أن أكون قد وضعت لُبْنَةً جديدة في مدماك التراث العاملي خصوصاً ، واللبناني والعربي عموماً - والله وليُّ التوفيق .

قبريخا - بيروت ٢ / ٢ / ١٩٨٣

علي محمود حجازي

أ - لمحة في تاريخ جبل عامل السياسي والاجتماعي والفكري (١٨٦٥ - ١٩٥٠)

إن كان موضوع البحث والدراسة ، أديب وشاعر عاملي ، فلا بدّ لي من إلقاء نظرة على جميع النواحي التي تأثر بها ، والظروف التي أثـرت به ، حتى غدا يمثل صورة عن فترات ثلاث ، وعاها وشاهدها ، وبالتالي نقلها الينا شعراً ، ومن يطّلع على تسلسل هذه القصائد ، يستغن عن تتبع التواريخ ـ وهذه الفترات الثلاث هي : العثمانية ـ الحكم الفرنسي ـ العهد الاستقلالي ـ وقبل أن أدرس كل ناحية من النواحي الثلاث التي أشرت اليها ، لا بدّ لي من التعريف بجبل عامل وأصل تسميته باختصار .

« أصل تسمية جبل عامل ومساحته وسكانه »

« جبل عامل » ، أو جبل عاملة نسبة الى قبيلة عاملة القحطانية ، التي خرجت الى الشام عند سيل العرم ، ونزلت بالقرب من دمشق ، في جبل هناك عرف بجبل عامله [١] ويبدو أن القبيلة سكنت أولاً ، الجنوب الغربي من بحر الميت ، ثم بدأت تسلك السير صعداً ، نحو الشمال ، فبعد الفتح الاسلامي بقليل ، حلت القسم الأعلى من جبال الجليل ، الذي سمي منذ ذلك الحين «جبل عامل» وبعدها بقرون قليلة ، انتشرت القبيلة في بلاد الشقيف في جنوب لبنان اليوم [٢] .

وسكانه عرب خُلَّص بنسبهم ولغتهم وعاداتهم متحدرون من عاملة بن سبأ

---

(١) أبو الفداء ، عماد الدين اسماعيل . المختصر في تاريخ البشر . دار الفكر بيروت : ١٩٥٦ ج ١ . ص ١٣١ .
٢) الأصفهاني ، أبو الفرج : الأغاني . بيروت ١٩٥٥ ، الجزء الثالث ص ٣٥١ .
٣) القلقشندي : صبح الأعشى . القاهرة ١٩١٩ ج ١ ص٣٦ .

(٢) مكي ، محمد كاظم . الحركة الفكرية في جبل عامل . بيروت ، دار الأندلس ، ص ١٩٨٢ ـ ص ١٠ .
-Encyclopedie de l'islam. A 1-330-331.

ابن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وهي قبيلة هاجرت من اليمن الى أطراف الشام ، قبل الميلاد بثلاثمائة سنة على وجه التقريب ، بعد حادثة سيل العرم [1] . وعاملة من أولاد سبأ الذين تشاءموا . وكان لسبأ عشرة أولاد ، تفرقوا بعد ذلك الحادث العظيم ، نذكر منهم ، الأزد ، كنده ، مذحج ، الأشعرون ، أنمار ، حمير ، ومن أنمار خثعم وبجيله ، وتشاءم أربعة وهم : عاملة وجذام ، ولخم ، وغسان [2] ، وأما حدود جبل عامل فهي ، الى جهة الغرب ، شاطىء البحر المتوسط ، أو بحر الشام ، ومن الجنوب ، فلسطين ، ومن الشرق ، الأردن « الحوله » ووادي التيم ، وبلاد البقاع ، وقسم من جبل لبنان ، الذي هو وراء جبل الريحان ووراء اقليم جزين ، ومن الشمال نهر الأولي ، أو ما يقرب منه ، وهو المسمى قديماً نهر الفراديس ، وهذا التحديد بمجمله ، مما لا شبهة ولا شك فيه . ولكن يقع المتأمل في الحد الفاصل بينه وبين فلسطين ، فقد قيل إنه هو النهر المسمى نهر القرن وحينئذ يدخل في جبل عامل ما ليس منه [3] . وعن حدود عاملة يخبرنا مؤ رخ جبل عامل الشيخ علي سبيتي حيث يقول : حدُّ جبل عاملة القبلي ، النهر المسمى بنهر القرن الجاري ، من شمالي طير شيحا الى البحر ، جنوب قرية الزيب (أقول) وكأنه المسمى قديماً نهر أبي فطرس أو نهر فطرس ، وشمالاً النهر المسمى الأولي ، الذي يصب في البحر شمالي صيدا ، ومن الغرب ، البحر الأبيض المتوسط ، ومن الشرق ، أرض الخيط الى الوادي المسمى بعوبا الى نهر الغجر في الحوله [4] ، وجبل عامل في ماضيه أكثر اتساعاً منه الآن [5] فقد اشتط في امتداده نحو الجنوب ، حتى أشرف على طبريه محاذياً للأردن ، وباتت جبال الجليل تنمى اليه ، وهي الأماكن الأولى التي حلتها قبيلة عاملة [6] ومساحة البلاد ثلاثة آلاف كيلومتر ، وعدد نفوسها ماية وخمسون الف نسمة ، يدينون بالاسلام على مذهب الشيعة الامامية ، بينهم قليل من المسلمين السنيين في الثغور ، وقسم من النصارى بالداخل [7] . وأما عدد

(١) جابر ، محمد . تاريخ جبل عامل ، بيروت ، دار النهار للنشر ، طبعة ثانية ، ١٩٨١ ص ٢٤ ـ ٢٥ .
(٢) جابر ، محمد ، م . ن . ص ـ ٢٥ ـ ٢٦ .
(٣) الأمين ، محسن . خطط جبل عامل . بيروت ، مطبعة الانصاف ١٩٦١ صفحة ٤٧ .
(٤) السبيتي ، علي ، الجوهر المجرد في شرح قصيدة علي بك الأسعد .
(٥) ياقوت ، الحموي . معجم البلدان . ٢ / ١٤ و ٥ / ٤٣٠ .
(٦) مكي ، محمد كاظم . الحركة الفكرية والأدبية ص . ١١ .
(٧) جابر ، محمد تاريخ جبل عامل ص ٢٤ . (ان هذا الاحصاء ذكره المؤلف عند تاريخ وضع الكتاب ، أما اليوم فان عدد سكان الجبل ، يزيد عن ذلك كثيراً ، اذ يقارب ٨١٠ آلاف تقريباً) .

سكانه اليوم ، فيزيد على ثمانماية ألف نسمة وفيه حركة عمران مزدهرة ، ويدين أهل الجبل اليوم بمذهب الشيعة ، الى جانب بقية الطوائف الموجودة فيه[1] .

ب ـ الأوضاع السياسية ، والاجتماعية في جبل عامل من ١٨٦٥ ـ ١٩٥٠م

هذه الفترة الطويلة التي تقارب القرن تقريباً ، لا بدّ من تقسيمها الى مراحل ثلاث :

أولاً ـ مرحلة الحكم التركي المباشر (١٨٦٥ م ـ ١٩١٨ م) .

من يتفحص بطون التواريخ ، ويراجع تاريخ الجبل العاملي يرَ ى أن الدسائس لم تنفك أبداً تحاك على جبل عامل ، ولكن هذا الجبل ، بالرغم من كل ما تعرض له ، كان يتمتع باستقلال داخلي قوي ، ضمن الدولة العثمانية ، وذلك بتضامنه مع الزعماء المجاورين أمثال الشيخ ظاهر العمر ويروي لتاريخ تلك الحقبة ، الأمير حيدر الشهابي إذ يقول عن الشيخ العمر : وكان متفقاً مع مشايخ المتاولة ، حكام مدينة صور وبلاد بشاره . وكان في تلك الأيام أعظمهم جاهاً وأكثرهم مالاً ورجالاً الشيخ ناصيف النصّار، وكان تحت يده حصون منيعة ، وأبطال أشداء ، فطابت لهم الأيام ، وغفلت عنهم حكام بلاد الشوف من الغارات والغزوات المعتادة[2] . وقبل زوال الحكم الاقطاعي عن جبل عامل ، بعد مقتل علي بك ومحمد بك ، بعد استدعائهما لدمشق ، من قبل واليها يومئذ شرواني زاده محمد رشدي باشا ووفاتهما ، أدرك تامر بك الحسين ، مقاصد رجال الدولة ، فعرض على أبناء عمه مساعدته ، والقيام بثورة ضد السلطة ، فأبيا عليه حتى لا يزيد الخرق اتساعاً . وسقطت الحكومة الاقطاعية الثالثة ، وانتهت بانتهاء حياة علي بك الأسعد ، حياة جبل عامل السياسية . وزال الحكم الوطني الاقطاعي من البلاد ، وحكمها الترك حكماً مباشراً ، إلى أن انتهت الحرب العظمى[3] . وقد

---

(١) ومما يؤكد أن مساحته ثلاثة آلاف كيلومتر ، كتاب التاريخ العاملي لعلي الزين ص ٣٨ اذ يقول : «ويبلغ متوسط طول هذا القطر من الجنوب الى الشمال نحواً من ثمانين كيلاً (كيلومتر) ومتوسط عرضه ، اذا جعل منها من الشرق الجنوبي ضفة بحيرة الحولة ومن الشرق الشمالي تنهي(جبل الطهر) الى ساحل البحر نحواً من أربعين كيلا فيكون مربع المساحة نحواً من ثلاثة آلاف كيل مربع » .

(٢) الشهابي ، حيدر أحمد . تاريخ الأمير حيدر أحمد الشهابي . ١ ـ ٣ بيروت . دار الأثار ، ط ٢ ، ج ٢ ص ٨٠١ .

(٣) جابر ، محمد . تاريخ جبل عامل ص ١٦١ .

لعبت تركيا دوراً خطيراً ، اذ ضربت الحركة الاستقلالية في جبل عامل ، عن طريق ضرب زعامته التقليدية ، عبر أكثر من قرن ، والتي كانت تتقلب بين آل علي الصغير (الأسعد) ، وآل شكر ، وآل سودون ، ومشطاح ، وآل بشارة ، هذه العائلات الاقطاعية التي كانت تقوم في حكمها على التصفيات . وفي الرواية التي يذكرها علي الزين [1] في كتابه : « مع التاريخ العاملي » قصة علي الصغير مع آل شكر ويناقشها بشكل علمي صحيح ، يبرز لنا مقدار ما للتطاحن الاقطاعي على السلطة ، من تأثير سلبي على الجبل العاملي ، وبعد أن ضربت هذه العائلات الاقطاعية ، عمد الأتراك العثمانيون الى الزعماء ذوي الاقطاعات ، من رؤساء العشائر ، فاقصوهم عن الحكم والسيطرة على الشعب ، ومنحوا صلاحية واسعة للوجهاء ، وزعماء الأسر من الدرجة الثانية . وكانوا لا يردّون لهؤلاء طلباً بشأن تنصيب الحكام وعزلهم ، وأغروا كل فئة بالأخرى ليتسنى لهم حكم البلاد ، وعلى هواهم وكما يبتغون [2] . وإذكاء النعرات بين الزعماء ، واعادة ضربهم ببعضهم ليتطاحنوا على حساب هذا الشعب ، ليشكل امتداداً للخلافات التي ما كانت لتستقر حيناً حتى تنشب أحياناً ، فبعد أن كانت في البداية داخل الأسر الاقطاعية الواحدة ، تعدت ذلك الى طبقات الأهالي فكان في الجنوب ، بين آل علي الصغير والوجهاء من آل الزين (شحور) ، وآل فرحات (ميس وبرعشيت) ، وآل العبد الله (الخيام) وغيرهم ، وفي الشمال كان بين آل صعب والوجهاء من آل فحص ، وصفا ، وجابر ، وآل القبيسي . وظلت الحالة السياسية كذلك الى أن جاء الى هذه البلاد مدحت باشا والياً على سوريا . وهو الذي وضع الدستور العثماني ، وخلع السلطان عبد العزيز ، الملك الظالم واتبعه بابن أخيه السلطان مراد الرابع ، بن عبد المجيد لضعفه وعدم كفاءته [3] ، وحوّل جهوده الى سوريا وأجرى ضروباً من الاصلاح وتحسين الادارة ، وضبط الأمن ، واحياء العدل ، وكان معروفاً بحبه للعنصر العربي ، فأطلق الحريات ، وكان يزيد في حبه للعرب على زعماء العرب أنفسهم إذ يقول : إن نجاح الاسلام في الشرق كله موقوف على نجاح العرب ، فأثار القضية العربية ،

---

(١) الزين ، علي . مع التاريخ العاملي . ص ٩٤ - ١٢٤ - ويروي منها قصة آل شكر وعلي الصغير ، ثم يناقش ما جرّته على جبل عامل ويعرض لمن رواها أمثال السيد محسن الأمين ، والشيخ السبيتي ، وشبيب الأسعد وغيرهم ويروي القصة ذاتها محمد جابر ، في تاريخ جبل عامل ص : ٤٤ - ٤٩ .

(٢) تاريخ جبل عامل ص ١٦٥ - ١٦٦ .

(٣) م . ن . ص ١٦٩ .

وساعد على إنماء فكرة الاستقلال ، والتخلص من جور الترك الكامن في قرارة نفوس زعماء الأمة ، وقادة الأفكار منها ، وتألفت الجمعية السرية العربية ، لاستعادة مجد الأسلاف وعزهم البائد ، فنشرت تعاليمها ومبادئها نظماً ونثراً ، فأحدثت في البلاد ضجة عظيمة وانقلاباً عاماً ـ ولم يرض الواشون الجواسيس لهذا الوطن بأن ينعم بمصلح عظيم مثل مدحت باشا ، فأوغروا صدر السلطان عليه ، فنقله الى ولاية أزمير ثم حوكم ونفي الى الطائف ، حيث لاقى الموت شنقاً رحمه الله . وأرسلت تركيا بعده حمدي باشا ، ليخمد الحركة التي أثارها مدحت باشا . وأما حمدي باشا فاشتهر باعتداله ونزاهته ، وتمسكه بروح الشريعة الاسلامية ، غير أن نزعته كانت تركية محضة [1] . وأجرى بعض التبديلات في جبل عامل ، اذ أمر بنقل الحاكم السابق رشيد بك أباظة الى قضاء مرج العيون ، واختار للنبطية ، الزعيم المعروف ، المغفور له رضا بك الصلح ، وكان في عنفوان شبابه ، متوقد الذهن ، وافر العقل ، عالي الهمة ، مشبعاً بالأفكار العربية يلتهب غيرة ورغبة بالإصلاح ، وانهاض البلاد . وبالأجمال فقد كانت أيام حمدي باشا على قصرها أيام هدوء تخللها بعض التحسين في الادارة والمعارف [2] . وبالاجمال فان الحركة العربية خمدت في العهد الحميدي ، مدة ثلاثين عاماً ، حلّ فيها البلاء ، واشتدت الخطوب ، وسادت الفوضى ، وازدادت الرشوة ، وساد الجور ، وتفاقم الظلم وأصبح ولاة الأمر لا عمل لهم ، الاّ جمع المال ، والتمتع بالملاذ ، واحتراف الجاسوسية والتنكيل بمن رفع صوته بالشكوى ، أو طالب بالاصلاح ، أو تأوه من العسف [3] ، وفي هذه الأجواء العصيبة قامت الثورة في مكدونيا ، وقام الضباط باسقاط عبد الحميد ، وتعرضت القضية العربية للصدمة ، وابتدأ النضال بين العرب والأتراك الاتحاديين .

وفي سنة (١٩١٣م ـ ١٣٢٢هـ) عقد مؤتمر باريس ، أول « مؤتمر عربي» يمثل شتى الاتجاهات المعارضة للمركزية التركية ، على اختلاف جذورها الثقافية ، وانتماءاتها الأيديولوجية السياسية [4] ، ووقف الأتراك ضد المؤتمر بشتى الوسائل ،

---

(١) جابر ، محمد . تاريخ جبل عامل . ص ١٧٣ .

(٢) م . ن . ص ١٧٤ .

(٣) م . ن . ١٧٨ ـ ٢ ـ البرت حوراني . الفكر العربي في عصر النهضة . بيروت ، ١٩٧٧ ص ١٣٤ .

(٤) كوثراني ، وجيه . الاتجاهات الإجتماعية ـ السياسية ، في جبل لبنان والمشرق العربي . ١٨٦٠ ـ ١٩٢٠ . معهد الانماء العربي ، الطبعة الأولى . ١٩٧٦ ص ٢١٣ .

وبدأت حركات التحرر تنهض في وجه الدولة العثمانية ، وقامت الثورة العربية الأولى ، وأطلق الشرارة الأولى الأمير فيصل (١٩١٦ م - ١٣٣٥ هـ) ، وشهدت هذه الحقبة ، محاولة لاقامة الوحدة الاسلامية ، بهمة عدد من المفكرين ، أمثال عبد القادر قباني ، ورشيد رضا ، وشكيب أرسلان ، وعبد الرحمن الكواكبي ، ومحسن الأمين [1] . وفي سنة (١٩١٨ م - ١٣٣٧ هـ) انتهت الحرب الكونية الأولى ، وبزوال آخر جندي تركي غاشم ، عن أرض جبل عامل ، ابتسم الناس لأن حكومة عربية ، بدت كنجمة مؤلقة في السماء البعيدة ، حلماً يخلصهم من نير العبودية ، وسرعان ما تهاوت عروش أحلامهم ، وسقط الناس في حكم جديد ، هو الاستعمار الفرنسي ، الذي دام حتى سنة (١٩٤٣ م - ١٣٦٢ هـ) ، رافقه العديد من الثورات في جبل عامل ، وفي سوريا ، وفي فلسطين ، وقامت خلاله الثورة السورية الكبرى ، من سنة (١٩٢٥ م - ١٣٤٤هـ) حتى (١٩٢٧ م - ١٣٤٦ هـ) ، وفي سنة (١٩٤٣ م - ١٣٦٢ هـ) بدأ الحكم الوطني ، الذي عليه ألقيت مسؤوليات جسام ، مسؤوليات اصلاح أحوال بشر تعرضوا للضغط والاضطهاد ، وعبر أكثر من خمسة قرون تعرضت فيها أحوالهم الاجتماعية للنكبة وأحوالهم النفسية للتشويه . فكان عهد الرئيس بشارة الخوري فاتحة المسيرة .

ج - لمحة موجزة عن الأوضاع الاجتماعية في جبل عامل :

ان الحالة الاجتماعية لكل شعب ، تعكس الوضع الذي يحياه هذا الشعب معيشياً وفكرياً .

١ - الوضع المعاشي : يتعلق بالحالة الاقتصادية للسكان من صناعة وزراعة وتجارة ، ومن حياة الشعب ، وحالتها الأمنية ، وحريتها ، ولو ألقينا نظرة دقيقة على الفترة التي جاء فيها علي شمس الدين في الربع الأخير من القرن التاسع عشر ، الى منتصف القرن العشرين لوجدنا جبل عامل عموماً يعاني حالة من الفقر والفوضى ، لأن هذا الجبل ، ما أن يتخلص من مستعمر تركي لا يعرف من أمور الناس الاّ افقارها واذلالها ، حتى يقع في حكم استعماري آخر لا تهمه الاّ مصالحه أولاً ، ثم تأتي الحركة الاستقلالية ، وهي فترة وليدة ولم يكن بعدها الحكم الوطني قد أصلح ما لم يبنَ أصلاً .

---

(١) كوثراني ، وجيه . ص ٨ .

ويكفي أن نعرض صورة من صور المعيشة التعسة ، التي عاشها لبنان بشكل عام ، ما قاله فيليب حتي ، عن الحالة بين الحربين العالميتين الأولى والثانية ، بعد أن يعرض الأحوال السياسية ، وطغيان الأتراك والفرنسيين ، يتطرق للأحوال الاجتماعية فيقول : لا نظن أن ولاية من ولايات السلطة العثمانية ، قاست ما قاساه لبنان ، وأول ما نكب به لبنان اقتصادياً ، زوال موسم الاصطياف والسياحة ، والتحاويل المالية ، التي كان يتلقاها اللبنانيون من شطره المغترب ، كانت تتأخر أشهراً ، وسنين ، وسدت طرق البحر ، ولم يحاول الأتراك ، جلب الطعام والدواء والملبس من الخارج ، فقلّت البضائع ، وخلت الأسواق من ضروريات الحياة ، وقطع الأتراك أحراش لبنان وقوداً للقطر الحديدية التي كانت تستخدم لأغراض عسكرية ، أما الأسعار فقد ارتفعت ارتفاعاً جنونياً ، وأنزل الأتراك الى الأسواق ، عملة ورقية لأول مرة في تاريخ البلاد . . . وعن المجاعة يقول : أما المعسرون فبعد أن فرغوا من بيع أشيائهم ، قصد قسم منهم الداخلية ، لتحصيل الأقوات من مخالب الأفات ، وقسم ظلوا في قراهم ، يستقبلون الموت تحت سقوف منازلهم ، وقسم هبط الى الساحل ، فأصاب بيروت منهم نصيب كبير ، فانضموا الى متسوليها ، وأصبحوا جيشاً كبيراً ، وبعد أن يعرض للمناظر التي تتفتت لها الأكباد ، كيف يلتهم الجياع ، بقايا الدِمَنْ والمزابل ، بحثاً عن قشور الموز والجيف وغيرها ، يقول : في هذه الأثناء انتشرت الأمراض والأوبئة بشكل مخيف ، فكأن الضربات التي ضرب الله بها المصريين القدماء ، حلت بلبنان ، وكان الذباب ينقل حمى التيفوئيد ، وكان القمل يحمل حمى التيفوس ، وكانت الجرذان تنقل عدوى الطاعون ، وكثر البعوض ، وزادت الوفيات من حمى الملاريا ، وكان الناس يشربون المياه ملوثة بجراثيم الزحار ، وكانت أشد المصائب ارتال الجراد التي غزت البلاد في نيسان (١٩١٥م - ١٣٣٤ هـ) [١] وما زاد في الأمر سوءاً فرض الضرائب على الناس ، وطريقة تحصيلها مضاعفة عدة مرات ، وما قاله علي الزين عن الضرائب ، خير صورة اذ يقول : لا ترى في جميع العادات ، والتقاليد ، والأنظمة الاقطاعية ، ما حاق ضرَرُه بالبلاد ، كالفوضى والتعسف في انشاء الضرائب وتحصيلها ، فان هذه الفوضى ، مع تنزيه ذوي الانصاف ، الذين هم من أعيان البلاد ، عن التزام المقاطعات ، وضمان الأعشار ، وتركها لفئة من الناس لا ترعوي لحلال أو حرام ،

(١) حتي ، فيليب . تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخية الى عصرنا الحاضر . ترجمة أنيس فريحة . بيروت ، دار الثقافة ط٣ ١٩٧٨ ، ص ٥٨٩ - ٥٩٠ - ٥٩١ .

ولا يردعها قانون أو دين عن الاستبداد والجور ، واستباحة الأعراض والأموال والدماء ، في سبيل أغراضها ، ومطامعها الشخصية وكانت سبباً لخراب عدد من القرى والمزارع ، وتعطيل كمية كبيرة من الأرض الزراعية ، في البلاد ، ثم سبباً للقضاء على الملاكين الصغار ، وشطر الأمة في اكثريتها الساحقة الى شطرين [1] . أسياد وفلاحين . وكانت هذه الضرائب سبباً في تهرب الناس ، من امتلاك الأرض ، وبهذه الطريقة ، انتقلت ملكية أكثر قرى جبل عامل الى أيدي الاقطاعيين ، « كحانين » والحنّيه وغيرهما من القرى . وبقي أن نعطي صورة للزعماء ، الذين كان همّهم التقاتل والمنازعات ، وعن ذلك يقول محمد جابر : وازداد جبل عامل شقاء وتعاسة ، باختلاف زعمائه في تلك الأوقات العصيبة ، فلم تحرمه الحكومة التركية البائدة من أفضالها ، بما كانت تبثه من روح العداء بين أهله ، ووجهائه ، وزعمائه [2] ، ومما زاد الحالة سوءاً أيضاً انعدام الزراعة ، وخاصة زراعة التبغ ، التي قُضي عليها ، ومنح احتكارها للشركات الأجنبية ، وكانت المورد الوحيد لجبل عامل من زمن مديد ، اذ لم يكن للحبوب أسواق رائجة في خارج البلاد ، فتعطلت الزراعة . وبارت الأرض ، وكثر البطّالون وانتشرت مع هذه العوامل الأخلاق الفاسدة ، والأجيال الشريرة ، وامتدت أيدي اللصوص وقطاع الطرق الى مال الشعب البائس ، فاختل الأمن وسادت الفوضى [3] .

عوامل كلها ، أطبقت على المجتمع العاملي ، فقضت على اقتصاده ، وتركته عرضة للنهب والسرقة ، والتحكم برقاب سكانه . وبعد ذلك ، انتفض سكان جبل عامل ، على هذه الأحوال المزرية ، وقامت فرق مسلحة منهم ضد فرنسا ، ومن هذه الفرق المسلحة ، وأكثرها عملاً في ذلك الوقت ، كانت ثلاث : فرقة صادق الحمزة ، وفرقة أدهم خنجر ، وفرقة محمود الأحمد بزي [4] . وبدأ حكام الانتداب يعتقلون العلماء الوطنيين واعتبروهم محرضين وموزعي المناشير ضد فرنسا وممّن أعتقل محمد جابر آل صفا العاملي ، بتهمة وضع تلك المناشير الثورية ، وبسبب هذا الاعتقال ، حصل اضطراب في البلدة ، وكاد يقع ما لا يسر الفرنسيين ، لولا ان

---

(١) الزين ، علي . مع التاريخ العاملي ، ص ٤٤٧ .

(٢) جابر ، محمد . تاريخ جبل عامل ص ١٦٩ .

(٣) م . ن . ص ١٦٩ .

(٤) سعد ، حسن . جبل عامل بين الأتراك والفرنسيين ١٩١٤ ـ ١٩٢٠ . رسالة دبلوم في التاريخ . جامعة بيروت العربية ، طبعت ، ١٩٧٨ . ص ٦١ ـ ٦٢ .

الحاكم أطلق سبيل المذكور [1] .

د ـ الحالة الفكرية .

من الغريب فعلاً ، أن تحرق كل معالم التراث الفكري العاملي ، على يد أحمد باشا الجزار ، وتقفل المدارس ، ويقتل العلماء ، أو يساقوا الى الخازوق في عكا ، أو ينفوا أو يهاجروا الى العراق وايران ـ في وقت كانت فيه بذور العلم والثقافة ، تدخل الى العالم العربي محملة على جناح الحملة العلمية النابليونية الفرنسية .

والذي يلفت الانتباه فعلاً هو : أن تحرق مكتبات عاملية بكاملها في أفران عكا ، وتنهب وتباع في الأسواق ، وتقفل المدارس ، ويفرغ الجبل من علمائه ، ومع ذلك نجد ان الحالة الأدبية فيه لم تتأخر ، ونرى ان معظم الشعر الذي قيل في مدح الزعماء الذين حاربهم الجزار ، لا زال موجوداً ، رغم كل ما حصل ، ويوجز محمد جابر هذه الحالة فيقول : فأغلقت المدارس ، وأقفلت معاهد العلم ، وانقطعت سلسلة التدريس ، بعد أن تبوأت منزلة رفيعة ، وأحرزت شهرة واسعة ، يقرن معها اسم جبل عامل بالاجلال والاعظام في سائر أقطار الشيعة ، من الهند الى ايران الى روسيا الى غيرها من بلدان الشيعة . ولما انتهت حياة الطاغية الجزار ، وقضى غير مأسوف عليه في سنة (١٢١٩ هـ ـ ١٨٠٤ م) . استراحت البلاد بعد اتفاق عكا ، وعاد الأمن الى نصابه ، ونهضت من كبوتها توصل ما انقطع وتبني ما تهدم . وعادت الحركة العلمية [2] .

وبعد فراغ جبل عامل من العلماء الا من تخفى على « مبدأ التقية » ولم يجاهر بنفسه ، في هذا الوقت أرسلت الحوزة العلمية في العراق ، العلامة الشيخ حسن قبيسي ، الى جبل عامل ، حيث أسس مدرسة الكوثرية ، بايعاز من علماء الشيعة ، وأساطينها في النجف الأشرف ، أول مدرسة علمية ، في العهد الثاني من حياة جبل عامل العلمية ، تُدَرّسْ فيها العلوم العربية والدينية ، وآداب اللغة ، وكان الناس في

---

(١) جابر ، محمد . تاريخ جبل عامل . ص ٢٢٥ . ٢) فرحات ، هاني . الثلاثي العاملي في عصر النهضة : الشيخ أحمد رضا ، الشيخ سليمان ظاهر ، محمد جابر آل صفا . رسالة ماجستير في الفلسفة ، بيروت ، طبعت في الدار العالمية للطباعة والنشر : ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م ص ٤٠ .

(٢) تاريخ جبل عامل ٢٤٠ ـ ٢٤١ .

ظمأ لارتشاف مناهل العلم بعد تلك الصدمة التي دهمت البلاد [1] .

وفي أقل من مرور قرن على النكبة ، ينهض العامليون بتراثهم ، يعيدونه الى مكانته المعروفة ، عبر ثلاثة أدوار : دور الاحياء والبعث ، دور التطور والانتقال ، ودور التجديد والترف الفني [2] ، على أن الأدب لم يتوقف أبداً خلال هذه الأدوار ، وعن هذا يقول محمد كاظم مكي : وفي جبل عاملٍ من لبنان ، لم يتوقف الفكر والأدب عن الحركة ، إنما بقي كما سبق له مسترسلاً في اغترافه ثقافته من ينبوع الشرق ، بتراثه الفكري الكلاسيكي القديم ، ومن جامعة النجف بعطائها في الفقه والتشريع ، ديني الطابع كان في نتاجه وتعليمه [3] .

والدكتور مكي يربط حركة التجديد ببناء المدارس فيقول : ولم تبرز محاولات للتجديد حتى عام (١٣٠٠ هـ - ١٨٨٢ م) ، يوم افتتحت أول مدرسة فيه على الطريقة الحديثة ، تساير الجديد ، فكانت الشعاع الخافت الذي أبرز الحد والتاريخ لبدء النهضة في جبل عامل ، التي تأخرت أمداً بعيداً عن النهضة في مصر ، وفي جبل لبنان والساحل [4] .

ولكن ، من يراقب تاريخ انتشار المدارس في جبل عامل ، يرَ انها قديمة جداً تعود الى مشاهدة أول اشعاع للتثقيف على يد أبي ذر الغفاري [5] ، الذي شاد جامعين ، الأول في ميس الجبل ، ولا زال الى اليوم ، يعرف بمسجد أبي ذر ، والثاني في الصرفند ، ولكن إنشاء المدارس في جبل عامل ، بشكل المدرسة المتعارف عليه ، مكاناً للتعليم انما يعود الى «مدرسة جزين» التي أسسها بعد سنة (١٣٧٠ م - ٧٧٢ هـ) ، الشهيد الأول محمد بن مكي [6] (١٣٣٤ م - ٧٣٥ هـ) حتى

---

(١) جابر ، محمد . تاريخ جبل عامل : ص . ٢٤١ - ٢٤٢ .

(٢) الزين ، علي ، أوراق أديب . ص ٢٧ .

(٣) مكي ، محمد كاظم . الحركة الفكرية والأدبية في جبل عامل . بيروت ، دار الأندلس ط٢ (سنة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٢ م) . ص ١٩٦ .

(٤) - الحركة الفكرية - ص ١٩٦ .

(٥) تاريخ جبل عامل . ص ٢٣٣ - يقول : في الوقت الذي نُفي فيه الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري رضي الله عنه ، من الحجاز الى الشام في عهد الخليفة الثالث فوقع في هذه البلاد واتخذ لنفسه فيها مقامين في قرية الصرفند على ساحل البحر الأبيض ، وفي ميس .

(٦) الزركلي ، خير الدين . الاعلام، لاط لات . الطبعة الثانية ج ٧ / ١٣٣٠) الشهيد الأول (٧٣٥ - ٧٨٦ هـ) (١٣٣٤ - ١٣٨٤ م) محمد بن مكي بن محمد بن حامد العاملي النباطي الجزيني ، شمس الدين الملقب بالشهيد الأول . فقيه إمامي ، أصله من النبطية في بلاد عامل ، سكن (جزين) بلبنان ورحل الى بلاد العراق والحجاز =

(١٣٨٤ م ـ ٧٨٦ هـ) . الفقيه والشاعر ، تجنباً لمشاق السفر الى النجف اثر غارات التتار [١] كما يعود الى بقية المدارس التي لها أهمية كبرى في ذلك الوقت كمدارس مشغرى ، وجبع ، وعيناتا وميس ، والنباطية ، وكرك نوح ، وبعلبك ، وهاتان الأخيرتان لم تكونا داخلتين في جبل عامل ، الاّ أنه صار متعارفاً إدخالهما فيه ، فالمدرسة النورية في بعلبك ، درس فيها الشهيد الثاني في المذاهب الخمسة، ثم أنشئت بعد القرن العاشر عدة مدارس، استمرت إلى ما قبل هذا العصر،وكانت تظهر وتختفي بحسب وجود المدرسين فيها،ومن يقوم مقامهم بعد موتهم وعدمه[٢] وأهم هذه المدارس: مدرسةشقراء،أنشأها أبو الحسن موسى الحسيني الأمين (ت ١٧٨٠ م) ومدرسة جويا أنشأها آل خاتون ، ومدرسة النباطية الفوقا ، ومدرسة الكوثرية للشيخ حسن قبيسي (١٢٥٨ هـ) ، ومدرسة جبع أنشأها الشيخ عبد الله نعمه (١٣٠٣ هـ) ، ومدرسة حنوية أنشأها الفقيه الشيخ محمد علي عز الدين . ومدرسة النميرية أنشأها السيد علي ابراهيم ، ومدرسة أنصار ومدرسة عيتا الزط ، أنشأها السيد جواد مرتضى ، ومدرسة مجدل سلم ، أنشأها الشيخ مهدي شمس الدين ، ومدرسة بنت جبيل ، أنشأها سنة ١٢٩٧م العالم الشيخ موسى شراره ، ومدرسة النباطية التحتا ، أنشأها السيد حسن ابن السيد يوسف الحبوشي . ومدارس عيناتا ، وشحور ، وطيردبا ، وغيرها من مدارس صنور التي تعتبر القلعة المنيعة من قلاع العلم ، ومن صور نبغ الشاعر عبد المحسن الصوري (٣٣٩ هـ ـ ٤١٩ هـ) (٩٥١ م ـ ١٠٢٨ م) [٣] ، ومن المظاهر العلمية التي شاركت في النهضة قيام المدارس التي لا تزال قائمة الى اليوم . كمدرسة نمونه رشدي التي أنشأتها الحكومة التركية في صيدا عام ١٨٧٧م،ومدارس جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية،تأسست في صيدا (١٢٩٦هـ ـ ١٨٧٩م) ، والمدرسة الوطنية في صيدا أنشأها الخوري الياس

= ومصر ودمشق وفلسطين وأخذ عن علمائها ، واتهم في عهد السلطان برقوق بانحلال العقيدة فسجن في دمشق سنة ثم ضربت عنقه فلقب بالشهيد .

(١) عانوتي ، أسامه . الحركة الأدبية في بلاد الشام خلال القرن الثامن عشر . بيروت . أطروحة دكتوراه ، جامعة القديس يوسف ، طبعت ، منشورات من الجامعة اللبنانية ١٩٧٠ / ص ٣٦ ـ ٣٧ .

(٢) الأمين ، محسن . خطط جبل عامل. ص ١٤٩ / ١٥٠ .

(٣) الأمين ، محسن . م . ن . ص ١٥٠ ـ ١٥٣ .

٢) (جابر ، محمد . تاريخ جبل عامل. ص ٤٠ م ـ ٢٥٦ .

٣) مكي ، محمد كاظم . الحركة الفكرية والأدبية في جبل عامل . ١٩ ـ ٣٠

٤) الأمين ، نوار . الأدب العاملي في النصف الأول من القرن العشرين . ص ، ٦ ـ ١٠ .

٥) مصطفى ، قيصر . الشعر العاملي الحديث. ص ١٠٦ ـ ١١١ .

عطية ، ومدرسة الأخوة المريميين في صيدا ، التي غادروهـا ١٩٠٩م ومدرسـة الفنون الأميركية في صيدا ، ومدرسة الاناث ، أيضا في صيدا ومدارس الارساليات في صور ومرجعيون وجزين ومدرسة دير المخلص ، وأقيمت مدارس رسمية في جبل عامل ، والمدرسة الجعفرية في صور [1] .

وكذلك كان للصحافة الدور البارز في إحياء التراث العاملي ، وعرف جبل عامـل الصـحف ، والمجـلات ، وأول نشـاط صحفـي في الأرض العـاملية عام (١٩٠٩ م) بتأسيس مجلة العرفان وتلتها جملة من الجرائد والمجلات [2] . ودخلت المطابع الى جبل عامل عام ١٩١٠م، وأنشأها أحمد عارف الزين، والى جانب هذه الظواهر العلمية ، قامت الجمعيات الأدبية والمؤسسات الاجتماعية ، تشارك في بناء النهضـة العـاملية . ومـن هذه الجمعيات : جمعية العلماء العـامليين ، أو الجمعية الخيرية العاملية في صيدا وجمعية المقاصد الخيرية الاسلامية في النبطية [3] وغيرها . وكذلك شارك في هذه النهضة وجود العديد من المكتبات ، التي تحوي محفوظات ونفائس جبل عامل وأكثر هذه المكتبات خاصة يملكها العلماء والأدباء ما عدا بعض المكتبات ، كمكتبـة التهـذيب العـاملية(١٩٣٠مـ ١٣٤٩هـ) ، المكتبـة الانجيلية في صيدا (١٩٠٢ م) [4] وشاركت الرحـلات العلمية في هذه النهضـة ، وأهـم هذه الرحلات إلى ايران والنجف والعراق ومصر .

وفي الخلاصة يمكننا أن نقول أن جميع العوامل التي كانت تشد الحركة الفكرية العاملية الى الوراء لم تكن بالواقع الا دفعات قوية انطلق فيها العلماء العامليون الى الأمام بجهد متواصل لاعادة ما تهدم من الصرح الثقافي لديهم فهبوا كما شاهدنا بكل وسائلهم للنهوض من جديد على أسس صلبة قوية لا تزعزعها عاتيات الأيام ، وان هذه العوامل مجتمعة أينعت ولا زالت تزخر بهذا العطاء الفكري الحـالي الـذي لا ينضب ـ واستطـاع بفضلهـا أن يصـدِّر جبـل عامـل علماء في مختلف فنـون الاختصاص .

---

(١) الحركة الفكرية ، ص : ١٩٩ ـ ٢٠٧ .
(٢) م . ن . ص : ٢٠٥ .
(٣) م . ن . ص . ٢١١ ـ ٢١٦ .
(٤) م ـ ن . ص . ٢١٧ ـ ٢١٨ .

البَابُ الأوّل

الفصـــل الأول

علي مهـــدي شمس الدين الرجـــل

١ ـ حياته .

٢ ـ نسبه .

٣ ـ أسرته .

٤ ـ بلدته .

٥ ـ دراسته (أماكنها ، مّراحلها) .

٦ ـ ثقافته .

٧ ـ القضاء .

٨ ـ وفاته .

الشيخ علي مهدي شمس الدين العاملي

١ ـ حياته :

ولد علي مهدي شمس الدين عام (١٣٠٢ هـ ـ ١٨٨٤ م) في مجدل سلم [١] التابعة لقضاء مرجعيون ، من أبوين جليلين ، والده الشيخ مهدي ، ووالدته السيدة سعدية تاج الدين [٢] نشأ وترعرع في كنف والده ، وعليه تلقى علومه الأولية ، وبعد أن توقفت مدرسة البلدة [٣] ، تلك التي أسسها والده ، عن العطاء ، انتقل الى مدرسة شقراء ، حيث تابع علومه على السيد علي محمود الأمين [٤] (١٣٢٨ هـ / ١٩١٠ م) ، في سنة ١٩٢٢ م عين قاضياً شرعياً في محكمة مرجعيون الجعفرية ، ثم انتقل بعد مدة وجيزة الى مدينة صور ، ليعود بعد عام واحد الى مرجعيون ، التي استمر مقيماً فيها مع عائلته حتى أواخر عام ١٩٣٢ م حيث استقال من سلك القضاء الشرعي ، وترك مرجعيون الى مسقط رأسه مجدل سلم .

في سنة ١٩٣٢ م ، دخل السجن لمدة لا تزيد عن الشهر ، على أثر تهمة وجهت اليه بسبب بعض أحكامه كقاض ، وغادره بعد أن ثبتت براءته [٥] .

---

(١) الأمين ، محسن . خطط جبل عامل . ص ٢٩٠ : مجدل سلم قرية من ناحية هونين الملغاة . تتبع اليوم قضاء مرجعيون (٢) الأمين ، نوار . الأدب العاملي في النصف الأول من القرن العشرين : قرية تبعد حوالي ثلاثة كلم عن شقراء .

(٢) تذكرة هوية الشيخ علي الشخصية الموجود عنها صورة بحوزتي .

(٣) جابر ، محمد . تاريخ جبل عامل . ص ٢٤٤ .

ـ الخطط ص ١٥٢ : (الشيخ مهدي شمس الدين مؤسس أول مدرسة في مجدل سلم) ـ الأمين ، نوار . الأدب العاملي صفحة ٩ .

(٤) الأمين ، محسن . الخطط ص ٢٤ ـ (السيد علي محمود الأمين) ولد في شقراء حوالي ١٢٧٦ هـ وتوفي في سنة ١٣٢٨ هـ والدته بنت الشيخ علي شمس الدين ـ جد الشاعر لأبيه . كانت من فضليات النساء عاقلة . عابدة ، ذهبت مع والديها الى العراق وعادت معهما وولداها هما السيد علي والسيد محمد .

(٥) يروي الحادثة بنفسه في المخطوطة التي تركها ولكن قراءتها يلزمها مجهر لسوء الخط وصغره (على عكس المعروف عنه من تقليده للخطوط) والمرجح أنه كتبها في غير الحقبة التي كتب بها المخطوطة ـ لتغيير الخط والحبر .

قام بعدة رحلات الى فلسطين وسوريا ومصر ، وكانت له لقاءات عديدة مع الشعراء ، ولكن العلاقة المتميزة كانت مع الشاعرين رشيد وأمين نخله .

تعرّض للمضايقات السياسية من قبل بعض الزعماء المحليّين الذين ثار بوجههم منتقداً سوقهم للانسان العاملي ، سوق النعاج ، متهماً إياهم صراحة بتجهيل هذا الشعب وبيع أرضه للعدو الصهيوني . كان زاهداً في الدنيا ، لا يهتم بمظهره الخارجي ، يرتدي عمة بيضاء ، وجلباباً متواضعاً ، حتى شبهه معاصروه بأحمد الصافي النجفي . وفي سنة ١٩٥٠ م كف بصره [١] ولكنه لم يكف عن العطاء الشعري بل إتخذ طابع اللوم والعتاب والمرارة ، تزوج ورزق ثلاثة ذكور وثلاث اناث .

٢ ـ نسبه

هو علي بن مهدي بن علي بن حسين بن . . . . بن « محمد بن مكي بن محمد بن حامد العاملي الجزيني[٢] المعروف بالشهيد الأول » ، من أسرة علم وفقه وأدب . وهذه الأسرة تنتشر اليوم في أكثر قرى جبل عامل مثل : عربصاليم ، مجدل سلم ، قبريخا ، حنويه ، جون ، النبطية ، وغيرها كباقي الأسر الدينية أمثال : السادة آل فضل الله ، وآل الأمين والمشايخ آل نعمة وغيرهم وشمس الدين شهرة عرفت بها هذه الأسرة [٣] ولا تزال الى اليوم تتصدر الوجهة الدينية .

مقر هذه الأسرة الأساسي « جزين » معقل العلماء ، وجامعتهم ، التي

---

(١) الأمين ، محسن . أعيان الشيعة . ـ تحقيق حسن الأمين ، بيروت . دار صادر ، الجزء ٤٢ ط . صفحة ١٦٨ (وعمي في آخر أيامه) وروي « أنه أصبح كفيفاً ، أكثر من معاصر له » .

(٢) هو الشيخ شمس الدين أبو عبد الله الشهير محمد بن مكي العاملي الجزيني ، كان علاّ ماهراً فقيهاً محدثاً مدققاً ثقة متبحراً كاملاً جامعاً لفنون العقليات والنّقليّات ، زاهدا عابداً ورعاً شاعراً أديباً ومنشئاً ، فريد دهره ، عديم النظير في زمانه . كانت وفاته سنة ٧٨٦ ، اليوم التاسع من جمادي الأولى ، قتل بالسيف ثم صلب ثم رجم (ثم أحرق) بدمشق في دولة بيدر وسلطنة برقوق بفتوى القاضي برهان الدين المالكي وعباد بن جماعة الشافعي بعدما حبس سنة كاملة في قلعة الشام . (الحر ، محمد بن الحسن أمل الآمل ، تحقيق السيد أحمد الحسيني ، بغداد ، مكتبة الأندلس ، ط الأولى سنة ١٣٨٥ هـ ص ١٨١ ـ ١٨٢ ـ ١٨٣) القسم الأول ، مكي ، محمد كاظم بالحركة الفكرية والأدبية .ص ٢٩ ـ الشهيد الأول هو محمد بن مكي بن شمس الدين ولد في جزين ٧٣٤ هـ ـ ١٣٣٤ م ودرس فيها ثم انتقل الى العراق .

(٣) فضل الله ، مهدي . لمحات من الفكر الشيعي في لبنان . رسالة ماجيستير في الفلسفة الجامعة اللبنانية . لاط لات ص ٢١٥٣ (الأمين ، نوار ، الأدب العاملي في النصف الأول من القرن العشرين صفحة ٦ تقول في مجمل قولها عن مدرسة جزين ، أنشأها العلامة الشيخ السعيد شمس الدين محمد بن مكي الجزيني العاملي . (مخطوطة مهدي شمس الدين بداية الهداية ونهاية الدراية الصفحة الأولى .) لدي صورة عنها .

يتخرجون منها ، وعن هذه الأسرة يحدثنا السيد محسن الأمين بقوله في حديثه عن جزين[1] : وتخرج منها جماعة من أكابر العلماء ولكن مجاورتها لجبل لبنان وظلم حكامه وتسلط سكانه على أهلها بالظلم أوجب هجرتهم وابتداء هجرتهم منها حوالي (١٢٥٥ هـ) ويتابع السيد الأمين في الخطط ليقول : كما أن آل شمس الدين الموجودين في جون وعربصاليم كانوا فيها وهاجروا منها ويقال أنهم من نسل الشهيد الأول الشيخ شمس الدين محمد بن مكي العاملي الجزيني . ويتابع راوياً عن الشيخ يوسف البحراني في كلامه عن جزين أنها بلد الشهيد الأول وبها ذريته ولعله يريد بهم آل شمس الدين المذكورين ويؤكد هذا القول الشيخ مهدي شمس الدين في غرة مخطوطته « بداية الهداية ونهاية الدراية » . انه ينتسب الى الشهيد الأول الشيخ السعيد محمد بن مكي الجزيني العاملي بقوله : « كتاب بداية الهداية ونهاية الدراية ، تأليف العالم العلامة شيخ الطائفة الشيخ شيخ مهدي المشتهر ، بشمس الدين العاملي الجزيني » . وهذا ما ينطبق فعلا على التعريف الوارد في كتاب « أمل الآمل » .

٣ ـ أسرته .

ولد علي مهدي شمس الدين [2] من أبوين كريمين ، من أسرة علم عريقة في جبل عامل ، والده الشيخ مهدي [3] ابن الشيخ علي شمس الدين [4] الشاعر المعروف (١٣٢٨ هـ) (١٩١٠ م) .

والشيخ مهدي ، فقيه ، وأديب ، وفيلسوف ، وزاهد فاضل ، وكان شاعراً معروفاً بسعة الاطلاع والأدب الرفيع ، من صفاته أنه كان جليلاً ، حاضر الجواب ، بهي الطلعة ، كثير الترحال ، تلقى علومه الأولية على والده الشيخ علي ، ثم انتقل الى مدرسة حنويه [5] ، حيث أكمل دراسته على العلامة الشيخ محمد علي عز الدين (١٣٠١ هـ) بعد رجوعه من النجف الأشرف ثم انتقل الى مدرسة

---

(١) الأمين ، محسن . خطط جبل عامل . ص ٧٢ .
(٢) الأمين ، محسن . ـ أعيان الشيعة . ج ٤٢ صفحة ١٦٨ .
(٣) م . ن . ج ٤٨ ص ١٥٦ .
(٤) م . ن . ج ٤١ من الصفحة ١٢٥ حتى ١٣٣ . (توفي شاباً)
(٥) جابر ، محمد ، تاريخ جبل عامل . ص ٢٤٤ (وقد ذكر المؤلف عن الشيخ مهدي شمس الدين : رأيته لأول مرة وأنا شاب حدث وقد قدم الى النبطية في احدى السنين ، فرأيت شيخاً جليلاً ملء برديه المهابة والوقار ، بهي الطلعة ، حاضر الجواب ، وكان يصطحب في أسفاره كيساً صغيراً من نسيج أبيض يضم كتبه وأوراقه وما يحتاج =

جبع (1) حيث أكمل دراسته على يد العلامة الشيخ عبد الله نعمه الذي أجازه بالاجتهاد المطلق ثم ذهب الى النجف الأشرف حيث أكمل تحصيله ، وأحرز درجة الاجتهاد منه .

« أما بخصوص ولدنا الشيخ مهدي شمس الدين فلقد عاد لموطنه ودليلاه هديه ونبله ، ورفيقاه نقله وعقله ، ولقد بلغ من الفقه الغاية ، ومن المعارف الكفاية ، وباقي العلوم النهاية ، ومن العمل أعلى درجة ، والخبر يوضح الخبر ، وبالامتحان يعز المرء أو يهان » .

انضمَّ مدرساً الى هيئة التدريس (2) في جبع ، وانتقل الى مدرسة حنويه كذلك مدرساً ، ثم ما لبث أن تركها الى مسقط رأسه مجدل سلم حيث افتتح فيها أول مدرسة (3) خاصة ، علّم فيها القرآن والأدب ، والنحو ، وضمت عدداً كبيراً من العلماء الذين تتلمذوا عليه ومنهم : السيد محسن الأمين (١٩٥٢) ، والشيخ محمد دبوق ، والشيخ عبد الحسين صادق ، والسيدين حيدر وجواد آل مرتضى ، والشيخ علي زغيب وغيرهم .

إمتاز الشيخ مهدي بأخلاقه الرفيعة ، وذاكرته القوية التي كانت مدار تعليق واعجاب ، وكان مؤمناً زاهداً . كتب له الشيخ محمد علي عز الدين عقب انقطاعه عن دروسه ما يلي : (4)

« اني لأعجب ما حصل منك ، وذلك لجهلي السبب ؛ فان كان السبب ما يذكره بعض الناس من الحاجة فأين بتلك ، فان عهدي بك في السنين الماضية شعارك التوكل ودثارك القناعة ، وبذلك بلغك الله سبحانه ما تريد » .

= الى مراجعته وتدوينه ، وقد كتب على ظهر الكيس ثلاثة أبيات :

١ ـ خمس وستون من عمري مضت حججا ... أفنيت أيامها بحثا وتدريسا
٢ ـ ما أن أقمت نهارا نضو بلقعه ... ولا رأيت بدار الجهل تعريسا
٣ ـ أطوف بالكيس أبواب الألى ملكوا ... روض العلى فلعلي أملأ الكيسا

(1) فضل الله ، مهدي . لمحات في الفكر الشيعي في لبنان . رسالة ماجستير ، في الفلسفة ـ الجامعة اللبنانية . ص ١٥٣ .

(2) فضل الله ، مهدي . لمحات من الفكر الشيعي في لبنان . ص ١٥٣ .

(3) الأمين ، محسن الخطط . ص ١٥٢ ـ قال السيد محسن : مدرسة مجدل سلم أسسها العلامة الشيخ مهدي شمس الدين قرأت فيها بعض المطول وحاشية ملا عبد الله بعد انتقالي اليها من مدرسة عيثا ، ثم انتقلت منها الى مدرسة بنت جبيل .

(4) جابر ، محمد . تاريخ جبل عامل . ص ٢٤٤ .

ترك مؤلفات عدة جميعها مخطوط الى الآن منها - « البستان » و« بداية الهداية ونهاية الدراية »، «ومصباح هداية الأمة لعصر الأيمة »، وله مؤلفات فقهية عديدة لا تحمل عنواناً معيناً لأنها أصبحت بالية مهترئة ، وتوفي رحمه الله سنة ١٣٣٤ هـ / ١٩١٥ م) عن خمسة وثمانين عاماً وله قصائد عديدة في مختلف المناسبات ، وشعر في الطبيعة العاملية .

وأما جده الشيخ علي حسين شمس الدين [1] (١٣٢٨ هـ / ١٩١٠ م) فهو من الشعراء الأفذاذ في جبل عامل . تتلمذ على العلامة السيد علي إبن السيد محمد الأمين حفيد العلاء ، السيد أبي الحسن موسى بن حيدر ، وكان السيد علي محمد الأمين من العلماء المحققين والفقهاء المدققين . وقصده طلاب العلم من كل صوب ، وامتلأت بهم مدرسة شقراء ، التي أسسها جده أبو الحسن موسى ، وتخرج عليه الكثيرون من علماء جبل عامل ، كالشيخ علي مروه ، والشيخ علي زيدان ، والشيخ محمد السبيتي ، والشيخ سليمان قعيق والشيخ صادق إبن الشيخ ابراهيم إبن الشيخ يحيى ، والشيخ علي شمس الدين -

إذاً ؛ تخرج الشيخ علي حسين من مدرسة شقراء ، وهو عالم جليل ، وشاعر وله أشعار عديدة في أعيان الشيعة الجزء الحادي والأربعين .

٤ - (بلدته)

« مجدل سلم »

جاء في « خطط جبل عامل » [2] ان « مجدل سلم » ومجدل بميم مفتوحة ، وجيم ساكنه ودال مهملة مفتوحة ولام ، يأتي كثيراً في أسماء القرى ، مضافاً الى غيره في سوريا وجبل عامل وفلسطين ، نظير كفر ، طير ، وغيرها ، وهم ينطقونه بفتح الميم كما مر « والمجدل كمنبر هو القصر في اللغتين العربية والسريانية . في القاموس [3] مجدل كمنبر القصر وزاد صاحب تاج العروس [4] ، المحكم البناء ،

---

(١) خطط جبل عامل صفحة ١٥ - ١٦ (٢) (مصطفى ، قيصر . الشعر العاملي الحديث في جنوب لبنان . ص ١٢٤ س ١١ .

(٢) الأمين ، محسن . م . ن . ص ٢٩٠ .

(٣) الفيروز أبادي ، محمد بن يعقوب . القاموس المحيط . مصر ، المطبعة الحسينية المصرية ١٣٣٠ هـ - ج ٣ ص ٣٤٦ / ٣٤٧ .

(٤) الزبيدي ، محمد مرتضى الحسيني . شرح القاموس المسمى تاج العروس من جواهر القاموس : (موجود في كلية الآداب لا ط لا ت) جزء ٧/٢٥٣ .

وفي القاموس أيضاً مجدل كمنبر موضع وفي شرح النهج الحديدي المجدل الحصن المنيع ، وفي معجم البلدان [1] مجدل بكسر الميم هو القصر المشرف ، وقيل مجدل بفتح الميم اسم موضع في بلاد العرب ، وفي تاج العروس أيضاً : المجدل كمقعد ومنبر : بلد في نواحي الشام ، وقيل اسم جبل وأيضاً أطم لليهود بالمدينة قاله نصر ، وفي لسان العرب [2] المجدل بفتح الميم : الجماعة من الناس ، لأن الغالب عليهم اذا أجتمعوا أن يتجادلوا ، وفي أساس البلاغة [3] : المجدل بفتح الميم تعني القصر .

المجدل تعني القصر أو الحصن ويظهر أنه كان بهذه القرى في جبل عامل حصون أو قصور مضافة الى أناس ، وسميت بذلك تلك القرى .

وسِلِم بسين مهملة ولام مكسورتين وميم . « ومجدل سلم » قرية من ناحية هونين [4] الملغاة ، فيها آثار لأمراء جبل عامل من آل علي الصغير وآثار طرق كانت معبدة وأزجات .

أما اليوم فـ « مجدل سلم » تتبع قضاء مرجعيون ، وان كانت تبعد عنه مسافة بعيدة ، وأقرب طريق الى مرجعيون هي طريق الشهابية الغندورية الطيبة ـ يبلغ طولها ثلاثين كلم تقريباً ، والطرق الثانية عبر تبنين بنت جبيل ـ حولا ـ الطيبة ـ مرجعيون ولا تقل عن الأولى ، الاّ أن طريقاً قد شقّت بين بلدتي شقراء وحولا اختصرت جزءاً من المسافة . والطريق الثالثة ، وهي طريق صور ـ القاسمية ـ النبطية مرجعيون ، تبلغ مسافة بعيدة جداً ، وكذلك القاقعية والنبطية بعيدة أيضاً ، لأن الطريق الأولى تمر في واد صعب هو وادي الحجير ، يتعرض بين الحين والحين للانهيارات ، وقد ألحقت بقضاء مرجعيون [5] مع ثلاث قرى أخرى لها الحالة نفسها وهي ـ الصوانه ، تولين ، قبريخا (لأغراض انتخابية) .

مجدل سلم تقع على هضبة ،ذات موقع استراتيجي مهم بالنسبة للحروب التي كانت تقع بين العامليين وخصومهم . اذ تطل من الجهة الشرقية على وادي

---

(١) الحموي (ياقوت أبو عبد الله) . معجم البلدان . بيروت ، دار بيروت ـ دار صادر . م ٥ / ٥٦ ـ ٥٧ .

(٢) ابن منظور الافريقي . لسان العرب . دار صادر ١١ / ١٠٥ .

(٣) الزمخشري . أساس البلاغة . ص ٨٦ .

(٤) جابر ، محمد . تاريخ جبل عامل . هونين كانت مركز المقاطعة لأن التقسيمات التي كانت جارية هي أن القرى كانت تتبع المراكز الحربية الموجودة فيها قلاع ، كقلعتي تبنين وهونين وغيرهما . وعلى رأس كل منها حاكم .

(٥) الأمين ، محسن . خطط جبل عامل . ص ٢١٧ . جديدة مرجعيون في جبل عامل ، صارت مركزاً لقضاء مرجعيون في عصرنا بعد أن كان الحاكم المسمى بالقائمقام يقيم في كفركلا .

السلوقي [1] الذي يفصلها عن قريتي « طلوسه » [2] وبني حيان [3] ووادي السلوقي [4] يشكل مجرى لنبع يتفجر أواخر الشتاء ، ويصب في نهر الحجير [5] وتحدّها من الناحية الشمالية بلدة قبريخا ، ويفصلها عن « خربة سلم » من الجهة الغربية وادعميق ،ويفصلها عن بلدة شقراء ، من الجهة الجنوبية ، واد عميق ايضاً ، ومن الجهة الجنوبية منها تقع قلعتا « القط » [6] و« دوباي » [7] أو(دوبيه) .

سكانها اليوم يبلغون ستة آلاف نسمة ، شعب مغامر كباقي سكان جبل عامل يحب الهجرة ، والسفر في سبيل عيش أفضل ، والقسم الآخر يعمل في الزراعة ، وأهمها التبغ والقمح والذرة وغيرها . ويحبون الفكاهة والنكتة إجمالاً ، ويشاركون بقية سكان القرى المجاورة الأفراح والأتراح .

فيها اليوم نهضة عمرانية ، الاّ أن أغلبية أبنيتها تحافظ على طابعها القديم وسط أشجار السرو ، وفيها مدرسة بناؤها قديم من الحجر الصخري ، الاّ أنه قد شيّد في الناحية الجنوبية منها ، مدرسة على مساحة أرض ، تبلغ عشرة آلاف متر مربع ، وتتألف من ثلاث وعشرين غرفة ، تبرع بتكاليفها أبناء البلدة ، وفيها بركة قديمة حيث كان يقصدها الطلاب للوضوء حيث يقول الشيخ مهدي :

ذهب التلاميذ يسبغون وضوءهم   في بركة حفرت بأرض المجدل [8]

وكذلك « المراح » حيث البيت القديم للشيخ علي وفيه عاش أيام طفولته ،

---

(١) الأمين ، محسن ، **خطط جبل عامل** ص ٢٤١ : السلوقي نهر يجري في الشتاء اذا كثرت الأمطار في وادي السلوقي يتصل آخره بأول وادي الحجير .

(٢) م . ن . ص ٢٠٥ ـ طلوسه من عمل مرجعيون

(٣) م . ن . ص ٣٦٢ . بني حيان . قرية من ناحية هونين الملغاة وعمل مرجعيون

(٤) وفي أحد متفرعات وادي السلوقي المؤدية الى بلدة قبريخا لا يزال اليوم هناك واد يعرف « بوادي الرصيف » نسبة الى رصفه بالحجارة . وقد كانت هذه الطرقات ترصف بالحجارة ليسمع الناس وقع حوافر الخيل عند الحروب ، وأوردت هذا للدلالة على أهمية الوادي العسكرية .

(٥) قال روبنصون عن وادي الحجير، يبعد الليطاني عن خربة سلم أقل من ٣ ساعات بطريق وادي حجير نزولا (ويصب نهر السلوقي في وادي حجير المذكور : روبنصون ، ادوار . يوميات في لبنان . تر. أسد شيخاني . منشورات وزارة التربية . ص ١ . ١٩٤٩ ج ١ / ١٦٣ .

(٦) قلعة القط: جبل صغير من الحجارة في أرض مجدل سلم ، تأوي اليها السنانير البرية ، وبذلك سميت ، قلعة القط ، فالقط بلسان أهل جبل عامل ، الهر ، وهي ليست قلعة وانما سميت بذلك تشبيهاً بالقلعة .

(٧) قلعة دوبيه : قلعة قديمة لها خندق ، وفيها لوازم الحصار ، يحيط بها واد من جهاتها الثلاث عدا الجنوبية ، لها ربض من غربها يسمى الزنار (١) الأمين ، محسن . خطط جبل عامل . ص ، ٢٣٢ .

(٨) نقلاً عن الدكتور عبد الرؤوف فضل الله من لقاء معه .

وقال معظم شعره .

٥ ـ دراسته ، أماكنها ، مراحلها .

تلقى علي مهدي شمس الدين علومه ، حسب النظام الذي كان قائماً ، في مدارس جبل عامل [١] ، اذ كانت المدارس ، تتبع نظاماً موحداً ، للبرامج والكتب [٢] ووقت الابتداء ، وأوقات التعطيل ، وكيفية ومدة التدريس وغير ذلك ، وأول ما يبتدىء به الطالب ، حفظ القرآن ، وتعلم الكتابة ، وبعدها يبتدىء بعلم النحو ، فيحفظ متن الأجروميه واعرابها ، ويقرأ شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام الأنصاري في النحو ، ثم يبدأ الطالب بقراءة حاشية سعد الدين التفتازاني على متن عز الدين الزنجاني في صرف الفعل وبعدها يقرأ شرح الفية إبن مالك ، ثم المغني في النحو لابن هشام ، وبعدها يقرأ المطول أو المختصر في المعاني والبيان ، ويقرأ مع المطول حاشية ملا عبد الله اليزدي على تهذيب المنطق للتفتازاني في علم المنطق وشرح الشمسية للقطب الشيرازي ، وبعد ذلك يبدأ بأصول الفقه ، فيقرأ معالم الأصول للشيخ حسن ابن الشهيد الثاني (١٠١١ هـ / ١٦٠٢ م) وكفاية ملا كاظم الخرساني ، وشرح اللمعة في الفقه ، وبعدها يقرأ رسائل الشيخ مرتضى الأنصاري في الأصول ، ورياض المسائل وكتابه في الطهارة ، وكتابه في الصلاة وكلاهما فقه استدلالي ، وبعد هذه المرحلة ، قد يذهب الطالب الى النجف الأشرف ، وكذلك كان يدرس الى جانب ذلك الحساب ، على خلاصة الحساب للشيخ البهائي والأدب ، ويقتصر على حفظ الأشعار والمطارحة بها ، وكان أغلب التلاميذ يجبرون على حفظ لامية العرب .

وكانت دراسته الأولى ، على والده الشيخ مهدي شمس الدين ، مؤسس مدرسة مجدل سلم [٣] وكان الوالد فيلسوفاً وشاعراً وأديباً ، ترك في نفسه حب العلم ، والاطلاع ، للسير على خطاه ، وبعد أن توقفت مدرسة البلدة عن الدراسة ، انتقل الى مدرسة شقراء التي أعاد بناءها السيد علي محمود الأمين (١٢٧٦ هـ / ١٣٢٨ هـ) ، والسيد علي عالم محقق ، فقيه أصولي ، قوي الحجة

---

(١) الأمين ، محسن . خطط جبل عامل ص ١٥٣ .

(٢) جابر ، محمد . تاريخ جبل عامل . ص ٢٤٧ .

(٣) الأمين ، محسن . الخطط. ص ١٥٢ ـ ٢) مكي : محمد كاظم . الحركة الفكرية في جبل عامل ص ٣٥ .

٣) الأمين ، نوار الأدب العاملي في النصف الأول من القرن العشرين . ص ١٠ ـ ١١ .

ورع ، كان تقياً شاعراً وأديباً ، معتدل السليقة ، سافر الى النجف وبقي فيها احدى وعشرين سنة ، وأول عمل قام به عند عودته الى الوطن ، اعادة بناء مدرسة شقراء ، التي كان يعلو تاجها ثم ينخفض ، كبقية المدارس في جبل عامل ، التي كانت تزول بزوال مؤسسيها . وتوافد اليها الطلاب من جميع الأقطار ، وتخرج منها طلبة أفاضل ، قبل أن ينحل عقدها ، وعلى يديه ، أجيز الشيخ علي مهدي شمس الدين الذي ظل حافظاً له الجميل ، يمدحه في كل مناسبة ، ومن خلال القصائد الطويلة التي مدحه بها وجلّها منشور في كتاب أعيان الشيعة للسيد محسن ، الجزء الثاني والأربعين ـ نعرف مقدار تعلق هذا الشيخ باستاذه ووفائه للمعلم بشكل عام ، اذ يقول في مقطوعة للمعلم

فضل المعلم في الحياة فضل السماء على النبات [1]

وأما الاجازة فيعرِّفها السيد محسن الأمين وهي متعددة [2] :

(ومنها) اجازة الرواية وهذه لا يشترط في المجاز بها أن يكون مجتهداً (ومنها) اجازة الاجتهاد : وهي شهادة بأن المجاز ، صار له ملكة استنباط الفروع من الأصول وأنه ثقة عدل ، يصح أخذ الأحكام عنه ، ويعرف ذلك بالممارسة ، لا سيما إن كان من تلاميذ المجيز) .

٦ ـ ثقافته :

في كنف الأجواء السياسية ، والفكرية ، والاجتماعية ، التي عرضت في مقدمة هذا الكتاب ، تنشأ الشاعر ضمن أجواء دينية خالصة ، حيث كانت المدارس الخاصة تلقن الدروس الدينية ، من حفظ القرآن غيباً ، وتعلم الكتابة . ودروس النحو ،والصرف ، والاعراب ، والبيان ، والبلاغة ، والبديع وعلم المنطق ، والفقه ، لكن دراسة الفقه تتطلب تعمقاً كبيراً ، وكان يدرس علم الكلام بقسميه : الجواهر والأعْرَاض ، والآلهيات وعلم التفسير وعلم الحساب ، وفن الأدب ، ويقتصر تعليم الأدب على حفظ الأشعار خاصة لامية العرب [3] .

---

(١) القصيدة موجودة في المخطوطة (١) ص ٥ .

(٢) الأمين، محسن : سيرته بقلمه وأقلام الآخرين ، تحقيق حسن الأمين ، مطبعة العرفان صيدا ص ٥١ .

(٣) الأمين ، محسن . خطط جبل عامل . ص ١٥٣ ـ ١٥٥ . (٢) مكي ، محمد كاظم . الحركة الفكرية والأدبية في جبل عامل ص ٣٩ .

وأما مصادر ثقافته الواسعة ، فمُتعددة منها : القرآن ـ وكتب الحديث النبوي الشريف ، الكتب التي كتبها العامليون في الفلسفة ـ كتب اللغة والصرف والمنطق ـ الدواوين الشعرية للشعراء القدماء أمثال المتنبي والمعري والشريف الرضي ، ولـم يطلع على الثقافة الأجنبية . ويبدو اطلاعه على كتاب الحيوان للجاحظ ، من خلال احدى قصائده الطوال التي زادت على المائة والثلاثين بيتاً في أدق تصوير للحيوان .

له الفضل في اعادة خط كتب والـده ، المخطوطـة بخطـه الى اليوم ، وهـي « بداية الهداية ونهاية الدراسة » [1] ، و« البستان » وعدة مؤلفات أخرى لم تطبع أبداً ووضع شخصياً (سياج البستان) « والبستان » : الكتاب الذي ألفه والده كما قلت سابقاً .

٧ ـ القضاء

كان جبل عامل يقسم الى ثماني نواح أو مقاطعات ، كل مقاطعة يلحق بها قرى ويحكمها حاكم واحد . وهذه النواحي الثمان ، أربع منها في القسم الجنوبي وتسمى بلاد بشاره وهي : جبل هونين وقاعدته بنت جبيل ، وجبل تبنين وقاعدته تبنين ، وساحل قانا وقاعدته قانا ، وساحل معركة وقاعدته صور ، وحكامها من آل علي الصغـير ، ويتـألف من هذه المقاطعـات الأربـع الجنـوبية ، قضـاء صور ومرجعيون ، وبعد الحرب العالمية الأولى ألحقت بعض قراهـا بفلسطـين وهـي : هونين ، والمنارة ، وقدس ، ويوشع ، والمالكية ، وصلحه ، وطير بيخا ، وسروج ، ومزرعة النبي . والمقاطعات الشمالية أربع وهي : مقاطعة الشقيف ، وحكامها من آل صعب وأصلهم أكراد ، ومقاطعتا الشومر ، والتفـاح ، وحكامهما من المنـاكره ومقاطعة جزين .

وكانت الحكومة تعين قضاة من الشيعة في هذه المقاطعات الثمـاني ، باسـم نائب أيام حكم العشائر ، كما كان يطلق على القضاة عموماً في الألوية والأقضية في عهد الدولة العثمانية ، وبعد زوال حكم العشائر سنة ١٢٨٢ هـ / ١٨٦٥ م ، تم تعيين قائمقاميات ومديرين ، فقد عين في مركز كل قضاء قاض حنفي في صيدا ، وصور ، ومرجعيون ، يكون مرجعاً لجميع الفرق والمذاهب في الحكم والقضاء ،

---

(١) مخطوطة بداية الهداية ونهاية الدراية

ومنعت الدولة التركية الناس من الترافع الى غيرهم بغير المذهب الحنفي [١] وبعد الحرب العالمية الأولى والحاق جبل عامل وغيره بلبنان ، جعل المذهب الجعفري [٢] رسمياً في لبنان بعد أن كان أكثرهم أيام الأتراك لا يجهرون بمذهبهم بل يقتلون على التشيع ، كالشهيد الأول [٣] وشبيب باشا الأسعد الذي اضطر أن يقول في أول ديوانه [٤] انه قائم على المذهب الشافعي خوفاً من الملاحقة ، ورغبة في طبع الديوان . وقد عين منهم قضاة في صيدا ، وصور ومرجعيون ، والنبطية ، وبعلبك ، وبرج البراجنة ، والهرمل ، وكانت وظيفتهم كغيرهم من قضاة السنة ، محصورة في النكاح ، والطلاق ، وفرض النفقة ، والمواريث ، والوصايا ، وولاية الأوقاف والقاصرين ، وعين لهم محكمة تمييز في بيروت ، مؤلفة من رئيس وعضوين ، ثم أبدلت بمحكمة استئناف ، ولكن مرجع القضاء الحقيقي في جبل عامل ، كان يتولاه العلماء المجتهدون في المراحل الزمنية ، وفي عهد الاحتلال الفرنسي ؛ فجميع القضاة من قبل الحكام ، ليس لهم من القضاء الا الاسم ، اذا لم يكونوا مجتهدين عدولاً ، لأن الشيعة الامامية الجعفرية ، تعتقد حسبما رسمه لهم أئمة أهل البيت ، أن منصبي الفتوى والقضاء ، مخصّصان بالفقهاء المجتهدين الثقات العدول القادرين على استنباط الأحكام الشرعية ، من الأدلة الأربعة : الكتاب والسنّة والاجماع ، ودليل العقل[٥] .

وقد عين الشيخ علي مّهدي شمس الدين قاضياً [٦] ، شرعياً في مرجعيون ثم انتقل الى مدينة صور ، ليعود بعد عام الى مرجعيون ، وبقي يمارس مهنته القضاء حتى عام ١٩٣٢ م .

وخلال وجوده في مرجعيون حصل التباس في معاملة تسجيل أرض لأشخاص من بلدة القليعة قضاء مرجعيون ، وهذه الأرض تخص أشخاصاً من العائلة نفسها مسافرين في مصر ، ولدى عودتهم أقاموا دعوى ضد القاضي ، لأنهم اعتبروه

---

(١) الأمين ، محسن . خطط جبل عامل ، ص١٠٨ ـ ١١٢ . (٢) ـ جابر آل صفا، محمد . تاريخ جبل عامل ص ١٦٥ .

٣) محمد كاظم مكي ـ الحركة الفكرية والأدبية . ص ٢٠ .

(٢) الأمين ، محسن . خطط جبل عامل . ص ١١٢ ـ ١١٣ .

(٣) الشهيد الأول : محمد بن مكي الجزيني العاملي (الفصل الأول ص ٣١)

(٤) ديوان شبيب باشا الأسعد ـ المقدمة .

(٥) الأمين ، محسن . خطط جبل عامل . ص ١١٢ ـ ١١٣ .

(٦) الأمين ، محسن . أعيان الشيعة . الجزء ٤٢ ص ١٦٩ .

المسؤول الأول عن الاهمال في التسجيل، فوجهت اليه التهمة رَسْمياً، فالتجأ الى هونين حيث التقى هناك صديقه المرحوم عبد اللطيف الأسعد، ولما انبرى للدفاع عنه المحامي أمين نخلة، حضر الجلسة التي ترأسها الرئيس سامي الصلح، وتغيب الفريق المدعي، فأوقف الشيخ في سجن الرمل ريثما يحضر أصحاب القضية، وفي الجلسة الثانية أصدر الرئيس الحكم بالبراءة [1] وعاد الى مرجعيون، ليقدم استقالته من القضاء الشرعي، وعاد الى بلدته مجدل سلم أواخر عام ١٩٣٢ م. ويصف دخوله السجن اذ يقول:

دخلت الى الغرفةِ الرابعة	وعيني من أسف دامعة
ولما دخلت لها قطبت	كتقطيب زنجية جائعة
وقالت وقد هالها موقفي	وباتت تخاطبني جازعة
أراك دخلت بلا قائد	فاين قيودك والجامعة
فقلت لها عمتي وحدها	من القيد في أرجلي مانعة
فقالت بعرضي وديني معا	يمينا وبالذمة الواسعة
بأن المقادير يا ويلتاه	مدى الدهر طاساتها ضائعة
فقلت لها ليس فوق الذي	أعانيه من نكبة واقعة
حرمت النسيم ورؤيا النجوم	وأنوار شمس الضحى الساطعة [2]

٨ ـ وفاته.

توفي الشيخ علي شمس الدين يوم السبت الواقع في ١٦ كانون الثاني، عام ألف وتسعماية وأربعة وخمسين، عن سبعين عاماً قضاها في خدمة الأدب والشعر، تاركاً أثراً ضخماً، بعثرته الأيدي، وذهب مع الأهمال. ونعتـه مجلة العرفان الغـراء الصادرة في تلك الفترة بما يلي:

« نعي الينا من مجدل سلم، الشيخ علي مهدي شمس الدين، وكان من الأدباء، والشعراء، الذين يشار اليهم بالبنان بجبل عامل، وكان حاضر البديهة، ينظم ليس البيت والبيتين على البداهة، بل ينظم العشرة والعشرين، وشعره سهل

---

(١) روى القصة ابنه حسن شمس الدين معاصر، كان في سلك الدرك ثم أحيل الى التقاعد يقيم الآن في الشياح، متزوج وله بضعة أولاد.

(٢) القصيدة موجودة في أعيان الشيعة جزء ٤٢ / ٢ ابراهيم، علي. شعراء من لبنان. بيروت، مكتبة منيمنة، الطبعة الأولى، شباط ١٩٦٤ ص ٢٥٥.

ممتنع وهو مكثر ، فلو جمع شعره لكان ديواناً كبيراً »[1] .

وتتابع العرفان : مدح المرحوم جبر ضومط العلامة اللغوي المشهور لمسألة لغوية ، وتوطدت بينهما الصداقة ، وكف بصره أواخر أيامه ، حتى قضى مأسوفاً عليه جد الأسف » .

وقد ألقيت الكلمات والقصائد الشعرية في تأبينه ، منها خمس قصائد شعرية وتسع كلمات طويلة ، كلها جاءت تدل على الفراغ الذي تركه الشاعر ، وعلى المنزلة الرفيعة التي كان يتبوأها ، والمعاناة التي كانت تتصارع في داخله ، حيث عاش جبل عامل حلمه الدائم وهاجسه الأول .

والمؤسف حقاً ، أن لا يقام مهرجان تكريمي للشاعر ، على المستوى اللائق والرفيع الذي بلغه ، وقد أكّد لي أحد الشعراء المعاصرين[2] مدى تحرق الشعراء في تلك الحقبة لاقامة مثل هذا المهرجان التكريمي .

---

(١) العرفان م ٤١ / ٤٧٥ سنة ١٩٥٤ .

(٢) الشاعر موسى الزين شرارة من حديث مسجل معه .

الفصل الثاني
لقاؤه مع الشعراء - أمكنة اللقاء بهم

كان الشاعر وثيق الصلة بالأدباء ، غنياً بأصدقائه الشعراء ، وكان له معهم جولات في الشعر ، اشترك في أكثر من مهرجان ، وأكثر من مناسبة ، ذهب بعيدا خارج وطنه لبنان ، فزار حيفا ، وعدة مدن في فلسطين ، زار دمشق وشمالي سوريا (نُبّل ، الفوعا وغيرها) ، زار مصر بدعوة من أمير الشعراء أحمد شوقي . هذا عدا لقاءاته العديدة بالشعراء اللبنانيين على أرض الوطن .

(أولاً في لبنان)

١ ـ لقاؤه مع الشاعر رشيد نخله

التقى الشاعر رشيد نخله [1] لأول مرة في صوُر ، حيث كان الشاعر نخلـه يشغل وظيفة قائمقام وهو يشغـل منصـب قاض شرعـي ، فتوطـدت بينهما عرى الصداقة وتتالت الزيارات ، وتشعبت هذه الصداقة ، لتشمل المحامي الشاعر أمين رشيد نخله الذي كانت تجمعه بالشاعر شمس الدين محبة خالصة . وهناك حادثة [2] معروفة لدى الجميع وتتناقلها المجـالس للتفكـه والتنـدر ، وذلك حـين قرأ نخلـه قصيدته المشهورة ومنها :

أنـا لا أصـدق أنَّ هـ ـذا الأحـمـر المشـقوق فـم
بـل وردة ريـانـة حمـراءُ مـن لحـم ودم

---

(١) رشيد نخله : (ت ١٩٣٩) ولد في الباروك (لبنان) أديب وشاعر لبناني لقب بـ « أمير الزجل » له « ديوان » والنشيد الوطني اللبناني وعن ولادة أمين نخله يذكر Joseph Sokhn في كتابه Les auteurs libanais contenporains

P. 184: Amine nakhlé est né les 25 juillet 1901: son père, Rachid nakhlé, etait un eminent jour naliste qui lutta contre les ottomons et n'hésita pas. Comme beaucoup de libanais à l'epoque, à collagorer au peril de sa vie avec la france.

(٢) ابراهيم ، علي . شعراء من لبنان . ص ٢٤٧ .

أقترح عليه الشيخ شمس الدين أن يغيّر لفظ المشقـوق ، فأبـى الأمـين أن يجيب ، فطلب منه أن يعيدها عليه ليكتبها ، وكان الأمين يملي والشيخ يكتب وعند الانتهاء ، تبينّ أنه غير القافية والموضوع ، وحوّلها عابثاً ماجناً لناحية خاصة .

أرسل اليه الشاعر أمين نخله ، مقطوعة يشكو فيها أحد المشائخ قال [1] :

لنـا صاحـب يا شيخ رب عمامة ... كالبـرج لكن فوق تلك نفاق
اذا غاب عن عينـي تسـلل حيّة ... وان جاء حيّا خادمـي ورواقي
حلفت بمسدول الشهـور على منى [2] ... وسبـع سماوات وسبـع طباق
لئـن كان هذا الشيخ من أمـة الهدى ... فلست بشيعي الغـرام مـذاقي

وقـد بادلـه الشيخ علي شمس الـدين عدة قصائـد ، منهـا هذه القصيدة الطويلة، التي تبرهن عن مدى تعلّق الشيخ علي بصديقه الشاعر، اذ يعرّفه فيها بالأديب ، والشاعر ، والمحامي اللامع ، الذي سيصون الحقوق العامة والخاصة ، ويماثل بينه وبين أبي اسحاق الصابي والفارابي . ومن ثم يبثه السلام ، على لسان فتية جبل عامل الذين تعلقوا بالشاعر نخله ، ومن ثم يرد فيهـا على الشيخ الـذي أزعجه ، وأخيراً يتمنى له طول العمر ، لأنه جمع القلوب على محبتـه ، ومـن هذه القصيدة الطويلة يقول معاتباً :

أمـين يـا فـتـى الأدب ... هجـرت مـن غـير مـا سبب
وكنـت معـدن النهى ... وكنـت منبـع الطرب
بلبـل عـاف أيـكه ... وطـالما فـوقـه خـطب
كـلما صـاح صـيحة ... رددت صـوتـه الـعرب
ماذا عليك اذا رثيت لما بي ... وقـرأت حاشية الوفـا بكتابي
يا هاجـر الأقـلام كيف هجرتها ... والعهـد انـك سيد الكتاب
الضـاد تسـأل عن أبـي اسحاقها [3] ... في كل ناحية فأين الصابي ؟

---

(1) القصيدة : نقلتها عن حديث مسجل مع الشاعر موسى الزين شراره (رفض أن يقول اسم الشيخ لأنه توفي)

(2) منى ـ مكان يزوره الحجاج كل عام في المملكة العربية السعودية .

(3) أبو اسحق الصابي : هو أبو اسحق بن ابراهيم بن أهـرون بن حبـون الحراني الصابي صاحب الرسائل المشهورة ، والتنظيم البديع ، واكتب كتّاب العراق في زمانه أبوه هلال من أطباء بغداد . لم يمل للطب ومال للأدب وعمل في ديوان الخليفة ، تولى ديوان الرسائل عند الوزير المهلبي ، أمر بسجنه عضو الدولة فتشفع فيه مات (٣٨٤ هـ ـ ٩٩٤ م). الاسكندري ، أحمد . تاريخ اداب اللغة العربية في العصر العباسي مصر ، مطبعة السعادة ، ١٣٣٠ ـ ١٩١٢ م . ج١ / ص / ٢٢٤ ـ ٢٢٥ .

والشعـر يسـأل والقـوافي والنهى وطـرائف الخطـرات والآداب

والشاعر شمس الدين يعاتب هنا صديقه ، مقارناً بينه وبين أبي أسحاق الصابي ، صديق وأستاذ الشريف الرضي . [1]

وهنا يمتدح شاعرية نخله ، ويتوقف عند خصائص شعره ، لجهة اللفظ والمعنى والصياغة فيقول :

شعـر معـانيه الرقـاق طريفة عذراء ما خطـرت على الألباب
واللفـظ زهـو في السماع ورونق سكر بلا خمـر ولا أكواب

ويعود لِيذكره بوالده المرحوم رشيد نخله :

أمـين هل يرضيك أنـك معرض والشعـر عنـدك واقف في الباب
يا ابـن الـرشيد اليك دعـوة سائل فاذكر قدمـت مكارم الأنساب

ثم يتابع قائلاً :

أهـزار لبنـان وواحـد أيكه يكفـي المسامع منـك طول غياب [2]

ثم يستنهض فيه الهمم ، للدفاع عن حقوق الوطن ، ويذكره بحب أبناء جبل عامل فيقول :

قم يا أمـين الى الحقـوق وصونها قم فالبـلاد على شـفير خراب
حَيَّتْـك من علياءِ (عامـل) [3] فتية ما بـين بيض ظبـا وسمـر كعاب

الى أن يقول :

انـي حـملـت إليك طيب تحية مـن (عـامـل) عبقت به أثوابي.

ويعود ليرد على القصيدة ، التي أرسلها اليه الشاعر نخلة ، بالنسبة للشيخ فيحاول ازالة سوء التفاهم بينهما فيقول :

ان الامـام وقـد شدوت بذكره شدو المحـب باكرم الأحباب
جمـع القلـوب على هواك فألفت تأليف أسطـر كانـت بكتاب

الى أن يقول :

---

(١) ديوان الشريف الرضي . ص : ٥٤٤ .

(٢) القصيدة موجودة بخط الشاعر انما الخط غير واضح تماماً يلزمه اجهاد كبير بمساعدة المجهر .

(٣) عامل : يعني جبل عامل .

دلّت بأنك خير دهقان بها ... وأجلُّ ولاّج بهذا الباب

وأخيراً يواصل ذكر مآثره وأفعاله فيقول :

يهنيك أنك من طليعة معشر ... للمجد ما فعلوا وللأحساب
دم يا أمين لهم بعز ما شدا ... طير مدى الأيام والأحقاب

٢ ـ لقاؤه مع الشيخ أمين شراره

الشيخ أمين شراره من بلدة « بنت جبيل » (١) . شاعر مقل ، توفي أثناء الحرب العالمية الأولى ، وكان على علاقة وطيدة بالشاعر ، فطلب منه الشيخ أمين أن يرافقه الى قرية « قبريخا » (٢) لبيع ماكينة خياطة ، وأثناء الطريق « جفل » (٣) الفرس بالشيخ أمين فألقاه أرضاً ، مكسور الرجل والماكينة ، فرجع به الشيخ علي مهدي (٤) الى بلده ، وأحضر له مجبراً (٥) . وكان قد وعد المجبر « بقنباز » فلم يف بوعده ، ويكمل الشيخ رواية الحادث فيقول : وبعد أن عوفي كتب لبعض أخصائه ليخطب (٦) وأخبره أنه هيأ له كريمة من أكفائه ، وكلفه باحضار خروفين وقفة أرز لزوم عرسه ، فأحضرها وحضر هو وبعض الذوات للغاية ذاتها ، ولم يكن قد علم بما فعل فعاتبته ، فاعتذر وألزمني لقضاء شغله ، فقصدت شيخاً من قرية «دبعال» (٧) علماً مني أنه لا يخيّب قصدي ولما عاد « لبنت جبيل » أتحفني بهذه القصيدة .

---

(١) بنت جبيل : بلدة بنت جبيل ، مركز القضاء اليوم ، قضاء بنت جبيل ، كانت مركز الناحية ايام الأمراء آل علي الصغير ، بنى فيها الشيخ حسين السلمان سرايا « دار امارة » ثم خربت وبيعت تبعد عن بيروت ١٢٢ كلم عدد سكانها ١٥٠٠٠ نسمة .
المصدر : مرهج ، عفيف . اعرف لبنان ، موسوعة المدن والقرى اللبنانية . بيروت ، ١٩٧١ ـ ١٩٧٢ ج ٣ ص ١٠٣ مطابع الأرز للطباعة .

(٢) (قبريخا) : قرية من ناحية هونين ، مشرفة على وادي الحجير من غربيه ، فيها أثار دير قديم ، لا تزال أعمدته الضخمة العالية قائمة ، وفيها أثار قديمة كثيرة (الأمين ، محسن . خطط جبل عامل ص ٢٧٥) .

(٣) « جفل » : ذهب في الأرض فاسرع (لسان العرب . ابن منظور الافريقي . بيروت ، دار صادر لاطلات ص ١١ / ١١٣ .

(٤) هكذا كان يعرف الشاعر .

(٥) المجبر : من جبر : خلاف الكسر ، جبر العظم وجبرت العظم جبراً (لسان العرب ، ابن منظور ، ٤ / ١١٤ ١١ .

(٦) يخطب : الخطبة ، وهي ارسال وفد رسمي من الوالد والوالدة والاخوة والأخوات ووجوه العائلة (ليحكوا بالبنت) أو يخطبوها (١) ، فريحة ، أنيس . حضارة في طريق الزوال . بيروت ، الجامعة الأميركية ، ١٩٥١ ص ١٥٦ .

(٧) دبعال : قضاء صور .

يا معيني وناصري ومجيري وعمادي في كل أمرٍ عسير
وحساماً أعددته لخطوب مفعمات كمثل يوم الهرير

ويتهم الشيخ أمين الشيخ علي بالتآمر عليه :

أنت أرشدته لكسر قوامي ولتلك الآلام والتجبير
أعلى ما لكم سطوت فقولوا أم قتلنا منكم رعاة الحمير؟

الى أن يقول :

كيف كلفته هلاكي وحسبي منك نومي خديعة في السرير
بل بما جبته من اللحم والا رز دليل ما شك في ضميري
انك الفاعل المسيء الينا لم يكن منك مثل ذا بكثير[1]

فأجابه الشيخ علي مهدي بهذه القصيدة ، بالوزن والقافية نفسهما

من معيني وناصري ومجيري من دعاة « الخنا »[2] وأهل الفجور
وكلام قد زوّرته أناس ما أعيبوا بغير كذب وزور

وأخذ يبرر التهمة ، من أنه لم يكن على علم بما يصيبه ، والدليل على ذلك ، أنه أقامه عن فطوره من أجل مرافقته .

وهو مذ حلّ حيناً حلّ فيه الشؤم حتى أقامني عن فطوري
طمعاً منه في بيع مكينا نبذتها تجار صيدا وصور
أظهر الزهد في الطريق رياء والرياء قد يجر للتدمير
علم الله منه سوء نوايا ه فأوحى « لمنكر ونكير »[2]
ان أقيما على طريق أمين فاجعلاه من بعض أهل القبور

ويذكر هنا بأنه يستحق مثل هذا الكسر وان الله يريد تعذيبه

ولأجل العذاب أبقاك حياً ولكسر الأعضاء والتجبير

ويسخر منه بأن يرد اليه تهمته (رعاة الحمير) بأن يقول :

---

(١) القصيدة مذكورة في أكثر من مصدر نذكر منها (١) الأمين ، محسن .أعيان الشيعة ٤٢/ ١٧١ . (٢) مروه ، علي روائع الأدب الفكاهي العاملي . ص ١٣٦ .
(٢) الخنا : الفحش (أساس البلاغة ص ١٧٦) .
(٣) ـ « منكر ونكير » : من أسماء الملائكة التي ستحاسب البشر . (ملكا القبور)

فاذكر السطل يا أمين وحمـ ـل الصحن مني وقلة التطهير
وتذكر مجبراً لكل بدويٍّ علم « الكار » [1] في عراج الحمير [2]

ومهما يكن فان هذه المبادلة كانت شائعة في « جبل عامل » وهي من قبيل الشعر الأخواني ذي اللون الفكاهي .

٣ ـ لقاؤه مع موسى الزين شراره [3] .

عندما سألته عن معرفته بالشيخ علي مهدي شمس الدين ، تهلل وجهه فرحاً ، وسر سروراً عظيماً لا يُصدّق . أحسست معها أن شيئاً غير عادي يربط الشاعرين ، وبعدما أستمعت اليه ، عرفت أنهما ينتميان الى مدرسة واحدة ، هي « مدرسة مواجهة الظلم والاضطهاد » . واجابني : قائلاً [4] : عندما تسألني عن الشيخ علي مهدي شمس الدين أقول لك أولاً ـ كنا لا نعرفه الا باسم الشيخ « علي مهدي » فقط وهذه تكفي . كان مشهوراً ذائع الصيت منذ ما قبل ١٩١٠ لأنه كان فيّاض الشعر ، كان يغرف غرفاً ، وأني أتذكر أن صاحب جريدة البرق ، الأخطل الصغير ، قال يوماً في جريدته : « زارنا في هذه الجريدة شيخ عاملي معمم يدعى الشيخ علي مهدي شمس الدين يتناول الشعر من جيبه » ، وأضاف قائلاً ، عرفته منذ زمن بعيد . وكانت تجمعني به صداقة حميمة ، لا ينقطع عن زيارتنا ، وكنت أحبه وأرتاح اليه والى شعره ، وكنت أتبادل معه قراءة آخر قصائدنا ـ كان فيّاض الشعر ، حتى لتخال نفسك أمام رجل قدم لتوه من البادية لا ينطق الا شعراً ، ولا يتكلف بقول هذا الشعر ، حتى أنه لا يصحح ما يقول بل كان يقول قصيدته ويمشي .

كان صاحب نكتة وفكاهة ، لا تمل حديثه أبداً ولو جالسته طويلاً ، وقفت

---

(١) الكار : كلمة فارسية تعني العمل ـ المهنة

(٢) ـ القصيدة موجودة في : أعيان الشيعة ١٧٢ ، والأدب الفكاهي العاملي . ص ١٣٦

(٣) موسى الزين شراره : ولد عام ١٩٠٢ م ، اشتغل في السياسة ، وانتخب رئيساً لبلدية بنت جبيل لفترة طويلة . ثم تعاطى بعض الأعمال التجارية ، و« ديوانه الشرارات » ماثل للطبع ، له قصائد عديدة في مجلة العرفان وبعض الصحف اللبنانية ، شاعر جيد ، رائد مدرسة شعرية في جبل عامل ، جافظ على النمط القديم من حيث الأسلوب ، وجدد في الموضوعات ، حافظ على عامود الشعر القديم في النظم ، له مواقف مشهودة من الزعماء السياسيين ورجال الدين غير الصالحين ، والاستعمار التركي والفرنسي .

(٤) هذه المعلومات من لقاء مسجل مع الشاعر موسى شرارة في منزله . ثم تكرر اللقاء معه مرة ثانية والشريط المسجل بحوزتي .

معه في حربنا الشعواء ، ضد بعض رجال السياسة ، التي جعلت العاملي يرضخ تحت نير العبودية ، وكانوا سبب بلائنا ، ولم يكن معنا الا القلم ، ومع ذلك انتصرنا ، حتى إن بعض العلماء من المشايخ كانوا يؤيدون هؤلاء الزعماء للتكسب ، هجوناهم مع رجال السياسة ، حتى كانوا يخرجون من المجلس الذي نبدأ فيه بالقاء القصيدة ، ومن أمثلة ذلك : دعيت ذات يوم لالقاء قصيدة رثاء في شخص من بلدة « خربة سلم » . فاني أقول لك إن كل شيخ يعرف أن كلامي سيطوله ، يمسك بلحيته ويخرج لتوه من المجلس ، حين بدأت بالقاء قصيدتي . وهجوناهم في أكثر من مناسبة ، ومن أمثلة ذلك قولي في بعض المشايخ :

لو زرتهم لوجدت في أبياتهم بذخ الرشيد وعزة المتوكل (١)

فقال الشيخ علي :

لو زرتهم لوجدت في أبياتهم صاكو اليتيم وبنطلون الأرمل

فقلت :

ما العلم صومك عن لحم وفاكهة بل زجر نفسك عن مال المساكين
ما الدين فرض تؤديه لفارضه وانت بالسر تؤذيه وتؤذيني

فرد الشيخ علي :

ما العلم في عمة بيضاء تلبسها ولا بخضراء تحكي « تل دبين » (٢)

وكان المشايخ يحرمون على أبناء جبل عامل قراءة الصحف ، فأطلقت عليهم لساني قائلاً :

حسبت عامل في بلواه منفرداً اذ حرم الشيخ فيه رؤية الصحف
حتى سمعت وبعض الصحب أكدّ لي بأن ذلك مأخوذ عن النجف
عجبت من لجنة الاثار كيف سهت عن عرض أشياخنا في معرض التحف

ويضيف الشاعر شراره قائلاً ، وافتتحنا المعركة ـ وكانت بعنوان :

ليس في قولك معنى انما من غير رجه

---

(١) كذلك هذه من اللقاء المسجل معه

(٢) تل دبين : تلة مشجرة في بلدة دبين قضاء مرجعيون وغالب شجرها من التين .

ان حر القــول يبقى مثــل ماء فوق ثلجه
كن على الظالــم ذئباً ومـع المظلــوم نعجه
واجعــل السـكة فيهم ان رأيت الـكذب لجه .

فلما كان من بعض المشايخ الاّ أن أصدر أمراً بتكفيري ، فقلت قصيدتي المشهورة :

قالــوا كفـرت فقلــت في أفعالكم وسئمـت من تدجيل كل مدجل

ولما عرف الشيخ علي بأمر التكفير ، أرسل اليّ بهذه الأبيات :

لقــد جحــد الرحمــن موسى وشرعه وكــل امرىء في النــاس رب جحود
على أن موسانــا رعــاه الهُ حبيبــي ، وعنــه لا يلــذ قعودي
وانــي لأهــوى أن أدين بدينه ولــو قال عنــه « عشتــروت » يهودي

فرد عليه موسى الزين شراره بقوله :

فما جحــد الرحمــن الا مشايع بكل كفــور بالشعــوب جحود
يصلي لوجــه الله جهــراً وبالخفا لوجــه دخيل أو لوجــه نقود
ويبــكي على المقتــول ظلـماً بكربلا وأفعالــه فينــا فعــال يزيد

وأكملت المعـركة مع الشيخ علي ضد الفـرنسيين ، والمشـايخ ، والــزعماء التابعين لهم .

ويردف قائلاً . ومرة كنت في بنت جبيل فأرسل الي بضعة أبيات من الشعر لا أذكر الاّ بيتاً واحداً ، ولكني نادم لأن هذه الأبيات فقدت مني ـ وهذه الأبيات تحمل معاني المداعبة والفكاهة ، لأنه كان فكاهياً رحمه الله ، فقال وقد كان مصاباً بالرشح والزكام :

هل عنــدكم ما عندنــا يا مشرك أنف يسيل أسى (وطيز) تضحك

من خلال هذا العرض للقاء الشاعرين نتبين مقدار الصداقة وقوتهـا التـي جمعت بينهما وكذلك المواقف الوطنية التي اجتمعـا على الاشتـراك فيهـا جنبـاً الى جنب . وقد قلت مع الشيخ علي الذي كان يحض الناس وينورهـم ولما رأيت أن الناس والمشايخ تركع للزعماء قلت مخاطباً قلمي :

مت يا يراعــي حسرة وكآبة هيهــات أن أسـقيك بعــد مدادا

عبثا حياتك يا يراع بموطن ... يؤذى المسيح ويعبد الجلادا
اني صحبتك طامعا ان اجتني ... زهر المنى فجنيت منك قتادا
ان رمت ادراك المنى في (عامل) ... فاجعل ضميرك للرياء جوادا
لم يكرموك لأجل معرفة ولو ... ضاهيت (شوقيا) أو (العقادا)
وطن به ضرب الخمول شبابه ... والجهل دق بساحه الأوتادا
القى مقاليدَ الأمور لعصبة ... ملأت فضاه تعاسة وفسادا
لما علمت بأن شعبي ميِّتٌ ... حطمت أقلامي عليه حدادا[1]

أليست هذه الغضبة من شاعر على شعب أحبه ، وتعشقه ، ولم يجد فيه رجاءه بمثل غضبة علي شمس الدين الذي يقول بالدعاء نفسه :

عاملٍ مات تحت نير من الجو ... ر ولكن مازجٌ في ناووسه
فيه مثل ما اسطعت يا دهر فالتمـ ... ـثيل أحرى بإتنه وتيوسه
وتحكم ما اسطعت يا جور في شعـ ... ـب جهول جنى على ناموسه[2]

وبعد فإننا نجد أن الشاعرين جمعتهما السراء والضراء ، فباتا شاعرين من مدرسة واحدة واتجاه واحد . . .

٤ - لقاؤه مع الشيخ محمد حسين شمس الدين

الشيخ محمد حسين شمس الدين[3] (١٢٨٠ - ١٣٤٣ هـ) (١٨٦٣ - ١٩٢٥) « شاعر جبل عامل » من بلدة « مجدل سلم » من الشعراء الأفذاذ، امتلك موهبة شعرية فريدة ، وقريحة خصبة ، تنوع انتاجه الشعري في مختلف المناسبات .

---

(١) القصيدة موجودة في العرفان : ٢٣ / ٢٩٨ .

(٢) الوطنية والحياة . ص ٧٢ .

(٣) الشيخ محمد حسين شمس الدين . ولد في « مجدل سلم » عام ١٢٨٠ هـ ١٨٦٢ م) وتوفى سنة (١٣٤٣ هـ ١٩٢٤ م) . وهو ابن الشيخ محسن بن الشيخ علي . تعلّم في مجدل سلم القراءة والكتابة ، ومبادىء العلوم العربية ، على عمه الشيخ مهدي شمس الدين وانتقل بعدها الى عدة مدارس ، وحين افتتحت مدرسة شقراء للمرة الثانية في عهد رئيسها السيد علي محمود الأمين انتقل اليها وأخذ عنه الصرف والنحو والمعاني والبيان ، وكان يقول : نظمت الشعر وأنا لم أتجاوز العشرين من العمر . كان ضعيف النظر وفي آخر أيامه كاد يصبح أعمى، . كان يقول: لو يتسنى لي ما تسنى لشوقي وأمثاله من رخاء العيش لأتيت بالعجب العجاب ، له قصائد عديدة منشورة في مجلة العرفان وله كتاب في القضاء ، ضاع أكثر شعره الا أن ولده الشيخ محي الدين يجمعه الآن في مجلد لا زال مخطوطاً ، وكانت خاتمة شعره القصيدة الغديرية . مطبوعة تزيد عن المائة دور / العرفان م ١٢ / ١٧٣ ولقاء شخصي مع ولده الشيخ محي الدين .

كانت اللقاءات بينه وبين ابن عمه ، الشيخ علي مهدي مستمرة ، الا أن كل واحد منهما وقف ضد الآخر ، عندما اشتد النزاع على الزعامة بين شبيب الأسعد وكامل الأسعد ، وكان الشيخ محمد حسين يميل الى شبيب، والشيخ علي مهدي يميل الى كامل الأسعد ، وكان شبيب شاعراً ، وقد نظم أكثر من قصيدة هجا بها كامل الأسعد ، فكان الشيخ علي يرد عليه ، ومرة ردّ عليه الشيخ علي بقصيدة منها :

مررت بتبنين فدمرت أهلها الا تَرِبَتْ كف الزعيم المدمر
وعن « عيترون » إن تسلني فانها غدت بمساعيكم مقر المعسكر.

فرد عليه الشيخ محمد حسين بهذين البيتين :

اذا ما التقى اللَّيثان في حومة الوغى وكلٌّ على كل جريءٌ مشيّع
فمن عجب أن ينبح الكلب ضيغماً وينطح ذا روق لدى الروع اقرعُ

الا أن الاثنين وقفا في حربهما ضد المشايخ (كما مر مع موسى الزين والشيخ علي) المعركة التي اجتمع حولها أكثر شعراء جبل عامل ، وغالبيتهم من العلماء ، فقال الشيخ محمد حسين شمس الدين بهذا المعنى :

من كان همته الدنيا وزخرفها ولم يكن عاملاً للعلم والدين
فانما هو شيطان وعمته احبولة الصيد من مال المساكين
يشكو الى الناس فقرا لا يفارقه وفي خزائنه أموال قارون

وفي هذه الصورة يقول الشيخ علي :

الناس في الصيد أشكال منوعة أحاط في ذا اختباراً كل حساس
أشباك هذا على اكتافه وضعت وذاك أشباكه لفَّت على الراس .

وقال الشيخ محمد حسين :

سجية العلماء السوء أعرفها إن أبدعوا بدعة قالوا نحرِّفها
فقل لهم والمساوى لا اكتشِّفها من كان همته الدنيا وزخرفها
لم يكن عاملاً للعلم والدين

تغر بالسوء أهل الوسع كمتّه بلى وأوسع من كميه ذمته
وكل من صرفت بالمكر همته فانما هو شيطان وعمته
أحبولة الصيد من مال المساكين

وحول هجاء العلماء ، الذين وقفوا عكس مهمتهم الأساسية المعروفة ، وانحيازهم الفاضح للفرنسيين يشارك في هذه الحملة الشاعر عبد الحسين عبد الله [1] فيقول :

بين العمائم واللحى ابليس يبحث عن جحا
قد ألقحوها فتنة دارت بنا دور الرحى
سكر بغير إفاقةٍ يا رب سكران صحا[2]

وهذا الحوماني [3] ـ يشارك بالشعور نفسه فيقول :

وذي عمة كورت فوقه يد الغنى لا شرفاً بل شرك
يغرك منه فم عف عن تراث جناه بقلب أفك

وينتقد عبد الحسين عبد الله تعليق الأوسمة في صدور المشايخ فيقول عندما قلّد الفرنسيون أحد العلماء وساماً :

ما للوسام وما للشيخ يحمله الشيخ أسمى وأعلى منكم رتبا
حملتم شيخنا نيشانكم وعلى ظهور أبنائه حملتم الحطبا
ماذا جنى الشيخ حتى نال عطفكم يا ليتني كنت يوما أعرف السببا .

أما السيد علي ابراهيم فقد كان أعنفهم هجوما اذ قال :

رب شيخ كالثور فهماً سوى أ ن على رأسه ترف العمامه
واذا ما بلوته عند خطب تبصر الجهل خلفه وأمامه

ومن خلال هذا الاجماع في الموقف ، نلحظ إجتماعهم أيضاً على بقية المواقف والمناسبات الأخرى فكأنهم « عصبة عاملية واحدة » .

---

(١) عبد الحسين عبد الله : ولد عام ١٩٠٠ م وعمل في سلك الوظيفة والمحاكم له ديوان مطبوع « حصاد الأشواك » ولم يطبع كل شعره .

(٢) الأبيات من ديوان حصاد الأشواك .

(٣) محمد علي الحوماني : ولد عام ١٩٠٠ م في بلدة حاروف قضاء النبطية . بدأ دراسته في النبطية في مدرسة السيد حسن يوسف ، سافر الى النجف الأشرف حيث درس اللغة والمنطق والفقه والبيان ، منحته جامعة دمشق شهادة ليسانس فخرية في الأدب ، أنشأ مجلة « بعد منتصف الليل ، ثم أصدر مجلة العروبة سنة ١٩٣٥ . أنشأ في القاهرة ندوة الأصفيا ، « الأدبية عام ١٩٥٦ . وأسس جمعية التعاضد الاسلامي في الأرجنتين . نال جائزة المجمع اللغوي في القاهرة للشعر عام ١٩٥٧ . له عدة مؤلفات : ديوان الحوماني طبع ١٩٢٧ م . ونقد السائس والمسوس . وعدة روايات (سلوى والمآسي)

٥ ـ لقاؤه مع الأديب صلاح اللبابيدي[1] .

لدى سؤال الأديب صلاح اللبابيدي[2] عن معرفته بالشاعر علي مهدي شمس الدين ، وعن علاقته به قال : أعرف أنه شاعر وعالم كبير ، عرفني عليه ، وقدمني اليه المرحوم أمين نخله ، واجتمعنا كثيراً في مقهى الصلح في بيروت ، وعند أمين نخله وعندي في البيت ، سمعت منه شعراً عالياً ، وفي سنة ١٩٥١ عندما كنت قائمقام بعلبك زارني في بيتي هناك (وكان إبنه حسن في الدرك اللبناني في بعلبك) وكنت قد نظمت قصيدة فعرضتها عليه وسألته عن العروض ، فردّ عليّ بأنه لا ينظم على علم العروض بل على السليقه ، فقلت له أن هناك أبْحُراً من الشعر كالمقتضب صعب فكيف تنظم عليه فقال أعطني مثلاً فقلت له :

قال شوقي :

حف كاسها الحببُ فإذا هي فضة ذهب

فأملى عليّ الشيخ عشرين بيتاً على هذا البحر لتوه . ارتجلها ارتجالاً ـ واذكر أنه أصبح كفيفاً أواخر أيامه .

٦ ـ لقاؤه مع السادة آل الأمين (محسن ، علي محمود ، محمد محمود . . .)

تعود العلاقات بين السادة آل الأمين ، والشيخ علي وأبيه وجده الى علاقة أدب ونسب ، فقد تعلم جده لأبيه (الشيخ علي حسين شمس الدين[3]) (١٣٢٨ هـ ـ ١٩١٠م) على العلامة السيد علي محمد الأمين (١٢٤٩ هـ ـ ١٨٣٣ م) ثم تزوج السيد محمود الأمين (١٣٢٧ هـ ـ ١٩٠٩ م) بابنة الشيخ علي المذكور فتخلفت بالسيدين علي محمود (١٣٢٨ هـ ـ ١٩١٠ م) ومحمد (١٣٤٤ هـ ـ ١٩٢٥ م) وبذلك يكون الشيخ علي مهدي ، قد تلقى علومه على ابن عمته السيد علي محمود الأمين . وكذلك تعلم السيد محسن الأمين على يد الشيخ مهدي شمس الدين في مدرسة مجدل سلم ، قبل انتقاله منها الى مدرسة بنت جبيل ، وبذلك تكون الروابط متوطدة بين العائلتين ، بأكثر من ناحية ، وقد أرسل الشيخ علي بقصيدة للسيد

---

(١) الحديث مع الأديب اللبابيدي مسجلاً .

(٢) الأديب صلاح اللبابيدي (معاصر) يقطن اليوم في بيروت ، كاتب وشاعر ورسام ، تقلّب في عدة وظائف ، تولى وظيفة قائمقام في مدينة بعلبك ، ولا زال الى اليوم يحترف الرسم .

(٣) الشيخ علي حسين شمس الدين ، شاعر مقل ، توفي في مجدل سلم عام (١٣٢٨ هـ ١٩١٠ م) له تعريف وأشعار في أعيان الشيعة ج ٤١ .

محسن منها :

ان فاتنـــي شرف المثــول أمــام من ... هو في الحقيقـة كعبـة الاسلام
ما فاتنـــي شرف المثـــول لمن له ... نفس أحلّتــه أجـل مقام
ولــو استطعــت نزول حي ضمه ... للثمــت منــه مواطىء الأقدام [1] .

وأرسل اليه بقصيدة ثانية ، وكأنه يشكو اليه أوضاع جبل عامل ، ومعاملة الزعماء له ، لما للسيد من شكوى من الأوضاع نفسها :

نحمِـلُ فوق الـذي نستطيع ... ونُحلَـبُ كالشـاةِ وسـطَ المراح
كأنــا نصيح بواد عميقٍ ... يــرد صداه هبــوب الرياح
يسوموننا الخسف في كل آنٍ ... ونخفض بالرغــم منّــا الجناح

الى أن يقول :

هوانــا للبنــان أودى بنا ... ومــا الحــب الأ هوى وافتضاح
فكم عاشــق مات في دائه ... ومعشــوقه في هنــا وارتياح [2] .

أرسل الشيخ علي الى السيد علي محمود بهذه القصيدة :

الى كم بسلمــى أنــت ولهــان هائم ... تهيجــك اطــلال لهــا ومعالم
اذا ما الصبــا هبّــت تهيّم صبابة ... وتبــدي الجــوى ما ان تغنــت حمائم
فهــب دارهــا أضحــت لديك قريبة ... فمــن دونهــا أســد حمــاة ضراغم [3]

---

(1) أعيان الشيعة ج ٤٢ / ١٦٩ .

(2) أعيان الشيعة ٤٢ / ١٦٩ .

السيد محسن الأمين كما وردت ترجمته في كتابه سيرته بقلمه وأقلام الآخرين ، صيدا مطبعة العرفان ١٩٥٧ :
« محسن الأمين الحسيني العاملي ابن السيد عبد الكريم . . . ينتهي نسبه الى زين العابدين ابن الامام الحسين بن علي بن أبي طالب ، ولد في قرية شقراء من بلاد جبل عامل سنة ١٢٨٢ هـ / ١٨٦٥ م) وتعلم القرآن فيها وكان في السابعة من عمره . . ختم القرآن وقرأ ديوان أبي فراس الحمداني ، وفي سنة ١٢٩٧ هـ ١٨٧٩ م انتقل الى عيتا الزط ـ ثم ذهب سنة ١٣٠١ هـ ـ ١٨٨٣ م ، الى بنت جبيل ودرس على الشيخ موسى شراره . وقبلها درس في مدرسة مجدل سلم على يد الشيخ مهدي شمس الدين ، سنة (١٨٩٠ م ـ ١٣٠٨ هـ) سافر الى العراق قاصداً النجف الأشرف ، نال اجازة الاجتهاد ، وأجيز بعد عشرين سنة ونصف السنة من الدراسة . انتخب عضواً في المجتمع العلمي العربي بدمشق في سنة (١٣١٩ ـ ١٩٠١ م) سكن دمشق بناء على طلب الشيعة هناك ، حج بيت الله سنة (١٩٠٣ ـ ١٣٢١ هـ) وزار الجامع الأزهر في مصر ـ أثناء الحرب الأولى انتقل الى شقراء ، توفي عام (١٩٥٢ ـ ١٣٧٢ هـ) ودفن رحمه الله في مقام السيدة زينب بدمشق له ما يزيد عن السبعين مؤلفا منها أعيان الشيعة الذي زاد الآن عن ٥٦ مجلدا .

(3) أعيان الشيعة ٤٢ / ١٧٣ .

وقال يخاطب السيدين علي ومحمد معاتباً :

في أي شرع يحسن الهجر وهل لديكم في الجفا عذر
اشمتّم الأعداء في واجد لم يلوه عن حبكم زجر
زعمتم ملنا الى غيركم هيهات لا زيد ولا عمرو
وقلتم انا غدرنا بكم ان الغواني شأنها الغدر (١)

وأرسل الى السيد علي الموجود يومذاك في دمشق قصيدة منها :

شيئان قد جلبا اليّ حمامي دل الحبيب وألسن اللوام
وجوى لبين الظاعنين أقمته في القلب أوقفني على الأعدام
وأبيت ريان الجفون من الكرى وأبيت محجورا عليّ منامي
ما كنت أرغب في القريض وصوغه لولا مدائح حجة الاسلام (٢)

وأرسل قصيدة الى السيد محمد منها :

ليالي وصل ما يرجى أيابها وساعات أنس قد شجاني ذهابها
ودهر تقضّى بين آرام رامةٍ له سهرت عيني وطال انتحابها (٣).

وقال قصيدة أُخرى في السيد علي :

يا غزال الرمل من وادي الأراك جُدْ على مضنى الحشا بالنظر
وتعطف فالذي مر كفاك من صدود يا شقيق القمر (٤)

وأرسل الى الاثنين قصيدة يقول فيها :

سرى طيف من أهوى سحيرا وودعا فاقلع صبري من أسًى حين أقلعا
له الله من طيف سرى فاستفزّني وحرّم طرفي في الكرى أن يمتعا
فقلت له والركب سكرى من الكرى أعد مضجعي عليَّ أراك فاسرعا (٥) .

(١) أعيان الشيعة . ٤٢ / ١٧٥ .
(٢) م . ن . ص ٤٢٠ / ١٧٦
(٣) م . ن . ص١٧٨
(٤) م . ن . ص ١٧٩
(٥) م . ن . ص ١٨١

٧ ـ علاقته بالسادة آل فضل الله الحسنيين.

تجمع بين الشاعر علي شمس الدين ، وأسرة السادة آل فضل الله الحسنيين في « عيناثا »[١] علاقة نسب وأدب ، عدا كون الأسرتين من الأسر الدينية العريقة في جبل عامل ، فابنته وأخته متزوجتان من آل فضل الله . وانسباؤه جلهم من العلماء والأدباء والشعراء. فالسيد محمد حسن فضل الله الحسني[٢] (١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م) ابن اخته ، وكذلك السادة ضياء الدين ، وعبد الحسين فضل الله ، والسيدان عبد المحسن ، وعبد المهدي أبناء ابنته ، وكذلك السيد عبد الصاحب ابن السيد عبد المحسن حفيده . وعندما توفي الشيخ علي ، رثاه كل من السادة : علي محمد حسن فضل الله وعبد الحسن ، وضياء الدين ، وعبد اللطيف، بقصائد وكلمات ، وأما علاقته بابن أخته السيد محمد حسن ، فهي علاقة حميمة وعندما سافر الى العراق ، أرسل الى الشيخ علي بهذه الأبيات :

اليك أبا النجيب أبث شوقي ... وأهديك السلام مع النسيم
سلام من فتيت المسك أسنى ... على تلك المعاهد والرسوم
أحن حنين والهةٍ اليكم ... فليلي بعدكم ليل السليم

أجابه الشيخ بهذه القصيدة :

نفحات الجنوب أحيت فؤادي ... بعدما جانب الجفون رقادي
من سليل الأكارم الصيد فرع قام ... عن دوحة النبي الهادي

الى أن يقول :

من أمام مسلسل عن امام ... وجواد مسلسل من جواد
وإذا قام للمفاخر ناد ... فهم السابقون بكل نادى

(١) عيناثا = Aynata ـ عيون الماء . (١) فريحة ، أنيس . أسماء المدن والقرى اللبنانية وتفسير معانيها . الجامعة الأميركيةبيروت،١٩٥٦ ـ ١ / ٢٤٣ ـ (٢) الأمين ، محسن : خططجبل عامل . ١ / ٢٦٩ ـ عيناثا ـ بلدة قرب بنت جبيل في شماليها (واليها انتقل من مكة المكرمة اشراف آل فضل الله الحسنيون وهم بيت علم وشرف وأصلهم من أشراف مكة المكرمة وعندهم نسخة نسب اطلعت عليها شخصياً وهي موجودة عند السيد عبد الرؤوف فضل الله ونسخة مصورة عنها عند الدكتور عبد الرؤوف فضل الله .

(٢) السيد محمد حسن فضل الله الحسني (١٣١٠ ـ ١٣٩٢ هـ) (١٨٩٢ ـ ١٩٧٢ م)
هو أحد علماء الطائفة الشيعية في لبنان تخرج من العراق وعاش في لبنان في بلدة مجدل سلم،ثم في برج البراجنة ، وتوفي في الأخيرة وقد خصته مجلة العرفان بنعي خاص ، تقديراً له . أولاده السيد علي والدكتور عبد الرؤوف فضل الله ، هو ابن اخت الشيخ علي شمس الدين .

أنـــقياء أئـمـة حـكـماء شـفعـاء الـورى يـوم الـمعاد
ورثـوا كل سؤدد وفُخار في البـرايا عن أكرم الأجداد
ان أنـل منـه بعض ما كنت أرجـو من وفـاء فكم له من اياد .

وقد استقبله الشيخ علي عندما عاد من العراق بقصيدة طويلة (سنتحـدث عنها في فن المديح) ـ مدح العلماء الدينيين .

وحدثني الدكتور عبد الرؤ وف فضل الله (١) عن معرفته بالشيخ علي مهدي شمس الدين قال : الشيخ علي رحمه الله كان خال والدي ، وكنت محبباً اليه كثيراً وكان يناديني دائماً « خاليْ » ، وكنت منذ صغري محباً للشعر ، فكنت أنظم القصيدة وأعرضهـا عليه فيصححهـا ويعطينـي ملاحظاتـه عليهـا ، وكان معظـم الشعـراء يتجمعون عنده ، ويتناولون شؤون الفكر والأدب والشعر ، اذ كان رائد الموائـد الأدبية في جبل عامل ، اذ لا تملّ سماعه ، وكان مشجعاً للشعراء الجدد ، ويعينهم على تسلم النظم الصحيح ، بما تيسّر عنده من كتب في هذا المجال ، واني أعتبره رائد الشعر الفكاهي الساخر ، أو رائد المدرسة الفكاهية ، وكنت ملتصقاً به دائماً خاصة اننا كنا نقيم بقربه في مجدل سلم .

أما العلامة السيد عبد الرؤوف فضل الله (٢) فيقول : كانت علاقتي به وثيقة قبل ذهابي الى النجف الأشرف في العراق . وبعد أن يعـدد خصالـه الفـكاهية ، وقدرته على الارتجال ، وحسن بداهته ، والنجابة والذكاء ، فيقول : كان رحمه الله يسرد أمامي دائماً ، أنه قال خمسة وثلاثين ألف بيت من الشعر ، نسي منها ثلاثة آلاف بيت ، ويضيف العلامة قائلاً ، وفي سنة ١٣٤٦ هـ ـ ١٩٢٧ م تركت لبنان إلى

---

(١) عبد الرؤ وف فضل الله الحسني (معاصر) ابن السيد محمد حسن فضل الله الحسني وُلِدَ في عيناتا ، له عدة كتابات في الصحف والمجلات ، أمثال مجلة العرفان ، تلقى علومه في تكميلية النبطية وثانوية المقاصد في صيدا ، مدير عام تعاونية الدولة .

(٢) السيد عبد الرؤ وف فضل الله (١٣٩٠ هـ ـ ١٩٠٢ م) معاصر ولد في عيناتا وسافر الى النجف الأشرف عام ١٣٤٦ هـ ـ ١٩٢٧ م ذي الحجة وبقي هناك يمارس الدراسة مدة ٢٩ عاماً عاد بعدها سنة ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٥ مع أسرته . من أساتذته السيد أبو الحسن الأصفهاني ، والسيد عبد الهـادي الشيرازي . وغيرهما . له عدة مؤ لفات لا زالت مخطوطة في الفقه والأصول . من أولاده :

ـ السيـد محمد حسين فضل الله (١٣٥٤ هـ ـ ١٩٣٥ م) ولد في النجف وبدأت دراسته في سن مبكره ، الحادية عشرة ، وبقي الى سنة ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م) عاد الى لبنان / النبعة ، برج حمود ، وشارك في تأسيس أسرة التآخي مع والده . له عدة مؤ لفات منها : الاسلام ومنطق القوة ، قضايانا على ضوء الاسلام وغيرها .

ـ السيـد محمد علي (١٩٤١ ـ ١٣٦٠ هـ) ولد أيضاً في النجف وأتم دراسته على والده له عدة مؤ لفات خطية سلامية .

العراق حيث مكثت هناك مدة ٢٩ سنة ولما عدت الى لبنان مع أسرتي (١٣٧٥ هـ/ ١٩٥٥ م) كان الشيخ علي قد توفي رحمه الله ، واني حفظت من شعره القصيدة التي قالها لشخص من آل خاتون . أما لقاؤه مع السيد عبد المحسن فضل الله [١] ابن السيد صدر الدين فضل الله [٢] . فيعود الى علاقة رحمية أولاً ، اذ إن الشيخ علي شمس الدين جده لأمه ، والشعر ثانياً . اذ كنت أعرض على الشيخ القصائد (يقول السيد) فيصححها ، وينظم على نسقها ارتجالاً في الحال ، وان الانسان ان طلب منه أن يتكلم عن عزيز لديه يبقى مقصراً ، ومحرجاً ، فأقول لك ان الشيخ رحمه الله كان يشجع الحركة الفكرية ، وكان يجمع حوله موائد الشبان يتداولون الأشعار والقصائد الطوال ، ومرة حدث أن عرضت عليه قصيدة طويلة منها :

أيها الصبح ترفق رحمة في قلب صبٍّ
هام في شوقي فؤادي وحديث الليل ينبي
فترفق بنصير لتزيل اليوم كربي
أنت أعلم
أنت يا ليليَ بُعْدِي وعن الليل خلي
وانتبه فالصبح قربي وهو للفهم جلي
فتأمل
يا أخا الود اليك تتهادى كالعرائس
قد سكبت الروح فيها وهي من خير النفائس
سطّر الحب سطوراً قد أضاءت بالخنافس
كي يبين الشوق لكن خلت جهلاً لن يلامس
لن يلامس

(١) السيد عبد المحسن فضل الله (معاصر) سافر الى العراق عام (١٣٦٧ هـ ـ ١٩٤٧) . وتخرج من النجف الأشرف ، وله من الكتب المطبوعة . نظرية الحكم والادارة . الاسلام وأسس التشريع ، وتحت الطبع ـ « بلغة الطالب في شرح المكاسب » وغيرها من الكتب الفقهية وله ديوان شعر كبير غير مطبوع ، تتلمذ وتخرج على السيد أبي القاسم الخوئي ـ من أولاده السيد عبد الصاحب (١٩٥١ ـ ١٣٧١ هـ) لا زال يكمل دراسته الفقهية ، سائراً على خطى والده في الدراسات الفقهية الاسلامية .

(٢) السيد صدر الدين فضل الله (١٣٦٢ هـ ـ ١٩٤٣ م) سافر الى العراق وتخرج من النجف الأشرف ، له مواقف مشهودة في النوادي الأدبية النجفية ، له ديوان شعر لم يزل عند ولده . وهو مخطوط ، شرح منظومه السبزواري في الحكمة من ٣ اجزاء مخطوط ، اجيز على كل من الميرزا النائيني ، والآغا ضياء الدين العراقي ، والشيخ الأصفهاني وغيرهم .

فكتب الشيخ قائلاً تحت عنوان ويك يا ليل :

نجمة الصبح اليّ فاطردي هذا الظلوم
واهجمي حالاً عليه وخذي ثأر النجوم
كلميني فبقلبي من عنا الليل كلوم
نجمة الصبح ارحميني فعسى تجلي الهموم
أنت أرحم
أنت يا شمس رسول للروابي والبطاح
فارحميني وتعالي فعسى يأتي الصباح

وهذه القصيدة طويلة وهي تمثل حواراً بين الليل والنهار . لم أعثر على قصيدة من قصائده على الوزن والقافية وربما قالها تقليداً كما قلت سابقاً .

٨ ـ لقاؤه مع الشاعر محمد نجيب مروه [١]

يذكر المرحوم الشيخ محمد نجيب مروه عن لقاءاته مع الشيخ علي مهدي شمس الدين في كتابه « الروض الزاهي في الأدب الفكاهي العاملي » ص ٢٨ فيقول :

حصل بيني وبين الأخ الفاضل الشيخ علي أفندي شمس الدين (قاضي صور) في بعض السنين ، مناقشة أدبية لا يليق ذكرها ، لأن فيها خروجاً عن الحد الأدبي (من الطرفين) ولقد حضر الفاضلان ابنا الخالتين الشيخ عبد الحسين شمس الدين المقيم في قرية بيت ياحون والشيخ عبد الأمير آل شراره ، في ذلك الوقت الى قرية (قبريخا) وكنت قد أسأت الأدب في الجملة مع فضيلة القاضي في بعض أبيات أرسلتها اليه ، فارجع الجواب اليّ مع الشخصين ، المشار اليهما ، ولما علمت أن الجواب قد أتيا به الى بيت ياحون ، وناما عليه ، أرسلت لهما هذه الأبيات :

الا يا راكبا فوق الحمارة توقف تارة وتسير تارة

(١) الشيخ محمد نجيب مروه ، ولد في الزرارية قضاء صور عام ١٢٩٩ هـ ١٨٧٩ م وتوفي في عيتا الزط عام ١٣٧٦ هـ ـ ١٩٥٧ م ، شعره ساخر ذو نكهة فكاهية رائعة ـ وهو منشور في العرفان ، وكتاب « من روائع الأدب الفكاهي العاملي » ، وله كتاب « الروض الزاهي في الأدب الفكاهي العاملي » يحوي الكثير من الفكاهات العاملية وغير العاملية .

أرح في بيت ياحـون قليلا وأدِ أهلهـا حق الزيارة

وكان بعض الناس أخبرني ، أنهما قد حرَّضا الشيخ علي أفندي شمس الدين يومئذ وقومه على ارسال الجواب وأشار عليهم بذمي وهجائي وكنت اذ ذاك مستحقاً لذلك .

فكيف رضيت في ذمـي وهجوى ومـا شاهـدت من سوء العبارة
وقـد زعمـوا بأنـكم اشتركتم مع الأشياخ في تلك العمارة
وقالـوا كان بعض الطـين منكم وكانـت منهـم كل الحجارة
ولا عجـب اذا صدقـوا بهذا (فـان النـار أولهـا شراره)
وأمـا الشيخ قد أمسى طويلا ولـكن عقلـه أضحـى « شكاره » (١)

٩ ـ لقاؤه مع الأديبة الشاعرة مي زيادة .

التقى الشيخ شمس الدين ، بالأديبة الشاعرة مي زيادة في شتورة ، لبنان ، وحصل بينهما تبادل شعري ، غير أني لم أوفق في الحصول على سوى نص ردّ فيه الشيخ علي شمس الدين على الشاعرة مي ، فقال فيه بعنوان :

« أنا لو تعلمين يا مي شاعر »

عيرتنـي بالبـؤس ميّ وقالت بائس يائس وغـر مغامر
قلـت أغرقـت في ملامـك نزعاً أنـا لو تعلمـين يا ميُّ شاعر
لي نفسٌ سَمَـتْ إلى الأفـق الأ على فمـن دون شوطهـا كل طائر
أدركت كل غامض وتولت تتوخـى سبـر النجـوم الزواهر
فهـي ملك محجـب فوق كر سي شعـور مقرهـا في الضمائر
جندهـا الخمسـة اللطـاف وعنها تتلقـى الخمس اللطـاف الأوامر
وتقيم السـيراع وهـو جماد فوق طرس يخـط شهـد المحابر
راسماً وحـي ذلك الملك الرو حي بالحـرف في متـون الدفاتر
واذا أعـوز الزمـان لنطق عنـد أمـر تحـار فيه البصائر
قال للمقـول استشـط فلقـد آ ن بأن تعتلي صدور المنابر

***

(١) شكاره : لفظة تطلق على من يزرع مساحة صغيرة من الأرض شعيراً في الغالب ـ أو قمحاً ـ ويكون في الوقت نفسه انتاجها قليلاً ـ أي غير نافعه . وهذه للدلالة على صغر عقله ، لفظة عاملية شائعة .

عجبت مي من مقالي وقالت أنا مما سمعت منك بحيره
ظاهر مزعج وسمت مشين حَدوْا بي على اقتحام الجريره
وثياب رثت عليك ولكن تحت تلك الثياب نفس كبيرة
سخرت بالحياة لما رأتها أنها أن تطل ليال قصيره
قرأت سفرها فلم تر الا زجها بعد برهة في حفيره
فأرادت بقيا تراث حميد ترشد الضال شمسه المستنيرة
فاذا عاش عاش في الناس حراً طيباً ذكره كريم السريره
واذا مات قالت الناس خلَّفتَ تراثاً فنم بعين قريرة [1]

١٠ ـ لقاؤه مع الأستاذ جبر ضومط .

الأستاذ « جبرضومط » [2] (١٨٥٩ م ـ ١٩٣٠) ، كان أستاذاً في جامعة بيروت الأميركية ، توطدت عرى الصداقة بينه وبين الشيخ علي لمسألة لغوية [3] ، وكانت بينهما مراسلات وتحارير ، ومن جملة هذه المراسلات ، قصيدة أرسلها الشيخ علي اليه يوم كان قاضياً في مرجعيون والقصيدة بعنوان « واجب الشكر » :

أبيروت أم روض أنيق منعم ونوارها أم ذاك برد منمنم
كأن القصور الشامخات بجوها لها في ضمير النجم سر مكتم

الى أن يقول :

فما أنت يا بيروت الاّ ذبالة قلوب البرايا فوق مغناك حُوَّم
وقابل مرآه السما منك هيكل فراح عليها لطف مرآك يرسم
كأن الربى في لطفها صدر غادةٍ وأنت عليها عقد در منظم
وواسطة العقدين (ضومط) من له بأفق العلى ذاك المقام المعظَّم
كأنكِ يا بيروت دائرة العلى (وجبر) هو القطب المدير المسلَّم
هو البحر علماً والسحاب سماحةً وزهر الربى خلقا لمن يتوسم
أقام بها للعلم أية قدوة هي العلم في الدنيا لمن يتعلم

(١) العرفان م ٣٢ / ٥٦٤ .
(٢) المنجد في اللغة والأعلام ، بيروت ، دار المشرق ، المكتبة الشرقية ط٢٣ ص ٤٣١ . ضومط ، جبر : ـ أستاذ في جامعة بيروت الأميركية ، له فلسفة اللغة العربية وتطورها بالمقابلة مع السريانية والعبرية .
(٣) العرفان ـ ٤١ / ٤٧٥ .

فكم جاهل عنها أنثى وهو عالم وكم أخرس عنها انثى وهو يُكَلِّم [1]
فيا كعبة الفضل التي ليس دونها لمن يبتغي كسب المعالي تقدم
فبيروت جسم أنت لا شك رأسه ويسلم جسم المرء ما الرأس يسلم
وجامعة للعلم فيها مجمّع شتيت المعالي وهي للفضل سُلَّم
فقل لبني العرب الكرام تهافتوا عليها وذوقوا أربها وتقدموا
فان بها بحراً وبدر هداية كوكب فضل فيه حلق وانجم [2]

١١ ـ لقاؤه مع الشيخ علي الشرقي .

الشيخ علي الشرقي شاعر عراقي مُجِيد ، من أسرة علم وأدب ، والسيد علي ابراهيم يحدثنا في كتابه ، « شعراء من بلادي » عن الشيخ الشرقي اذ يقول : [3] ان أروع صورة لشعر الشرقي ونشأته الأدبية هي التي تركها لنا بقلمه في مقدمة ديوانه « عواصف وعواطف »[4] المطبوع في بغداد سنة ١٩٥٣ ، اذ يقول الشرقي « نشأت ورفاق لي في مدينة النجف ، فكانت التلمذة في أقدم مدرسة للأدب العربي تلك المدرسة ، التي مشى اليها الموكب ، من جزيرة العرب الى الحيره ، ومنها الى الكوفة ، ومنها الى النجف ، وهي نسيلة الكوفة أو بقيتها » ويكمل التعريف بالشيخ علي الشرقي قائلاً ص ١٩٧ ، وقد ساعدت البيئة التي عاش فيها الشرقي ، على تفتح شاعريته وانطلاقها ، فهو وليد أبوين لهما شأن غير قليل ، فيما أورثا ابنهما هذا ، من ملكات حسية وشعرية ، فأبوه الشيخ جعفر ، عالم وأديب وشاعر ، وأمه من آل الجواهري وهي أخت الشيخ عبد الحسين الجواهري ، والد الشاعر محمد مهدي الجواهري ولقد مات والد الشيخ علي الشرقي وهو صبي ، فكفله خاله الشيخ

(١) يتكلم : يُكَلِّم .
(٢) العرفان . ٧ / ٥٠ .
(٣) ابراهيم ، علي . شعراء من بلادي . ص ١٩٥ .
(٤) داغر ، يوسف أسعد . مصادر الدراسات الأدبية بيروت ، المكتبة الشرقية ، الجزء الثالث ، القسم الأول ص ٦٣١ ، علي الشرقي (١٨٩٢ ـ ٩ / ١٩٦٤ م ـ هو شاعر عراقي كبير من مشاهير الشعراء والكتاب ، وفي طليعة الأدباء السياسيين ، ولد في النجف ، وتعلم الفقه والتشريع والفلسفة الاسلامية والمنطق ، وتأدب بآداب اللغة العربية وعلومها ، محرر في مجلات وصحف عديدة منها : الديوان ، والروائع ، الاعتدال ، المجلة ، المصباح ، خاض ثورة عام ١٩٢٠ الكبرى في العراق ، وتركزت جهوده في منطقة لواء المنتفك ينظم فيها القصائد الحماسية تفيض بالحرارة وتنبض بالحماسه ، عين عام ١٩٢٨ ، عضوا في محكمة التمييز الجعفرية في بغداد ، نقل بعدها بقليل قاضيا في البصرة ، أثر قصيدة عامره جامحة ، ثم رجع الى بغداد عام ١٩٣٣ رئيسا للمحكمة المذكورة وبقي الى أن أصبح عام ١٩٤٧ عضوا في مجلس الأعيان وتقلد بعض المناصب الوزارية ، من مؤلفاته ، عواطف وعواصف ، الأحلام ، العرب والعراق ١٩٦٣ .

عبد الحسين ، وكان بيته ندوة أدبية ، يحضرها الكثير من رجال الشعـر والأدب ، أمثال الشيخ جواد الشبيبي والسيد باقر الهندي ، والسيد جعفر الحليّ وغيره ، باجتماع الشرقي بهؤلاء الأعلام وحضوره مجالسهم ، ومطارحاتهم الشعرية ، وبحوثهم ، صقل ذهنه ، وربى ملكاته الشعرية والأدبية تربية ممتازة » ، زار لبنان ، وبالتحديد سوق الغرب ، فأقيم له مهرجـان شعـري احتفـاء بقدومـه ، حضره العـديد من الشعراء ، وقد ألقى الشيخ علي شمس الدين قصيدة طويلة في المناسبة منها :

لبنان رحّب أن شمس الهدى قد أشرقت فيك بنور بهي
فرحت في شمسين ، شمس الضحى تزهو سناء ومحيا علي
لبنان ته فخرا ففيك اغتدى واحد بغداد وثاني الوحي
لو درى لبنان محله سعى اليه من مكان قصي
ولم يكلفه السرى نحوه لراحة النفس وعيش هني
لكن للبنان على غيره جد خطير وعيش سني [1]

ثانياً : لقاؤه مع الأدباء والشعراء في فلسطين .

لماذا ذهب الشيخ علي مهدي شمس الدين الى حيفا بفلسطين ، وبدعوة من ؟

كان أبناء جبل عامل وما زالوا ، يهاجرون تطلعاً الى تحسين أوضاعهم المعيشية والحياتية ، اذ كانوا يعيشون في بلادهم خاضعين للزعامات السياسية الاقطاعية ، وللدول الحاكمة المستعمرة ، يدفعون الضريبة من عرقهم ، وعرق أولادهم ، ومن دمهم أيضاً ، في ظل واقع اقتصادي ، ضعفت فيه الزراعـة ، لعـدم تمكنهـم من تحديثها ، وكذلك الصناعة لعدم تمكنهم من إقامة المصانع على أرضها . وكذلك لم يكن قطاع التجارة مزدهراً آنذاك . ففر أبناء جبل عامل هائمين على وجوههم الى البلدان العربية والأجنبية ، وكان نصيب فلسطين المجاورة اعداداً غفيرة من أبناء هذا الجبل أقاموا فيها للعمل . وبعد أن استقـروا بدأوا يشكلـون النوادي الأدبية وغيرها للتعريف بانتاج جبل عامل الشعري والنثري وتسليط الأضواء على مواكبة أدباء وشعراء هذا الجبل للركب الحضاري في أحلك الظروف .

---

(١) القصيدة نقلت عن علي موسى شمس الدين ، مرافق الشاعر في جميع تنقلاته في المرحلة الأخيرة .

وأقيمت في حيفا « جمعية جبل عامل »[1] ومن ثم « نادى الطلائع » وكان رئيسها السيد رشيد بيضون[2] من بلدة « بنت جبيل » ثم نادى انصار الفضيلة ورئيسه الأستاذ ابراهيم الرملاوي[3] وقد ضم هذا الأخير شباناً لبنانيين وفلسطينيين وغيرهم ، همهم الوحيد جمع الكلمة ، وتبديد الخلافات التي يحاول الاستعمار غرسها بينهم ، وبدأوا بدعوة الشعراء من « جبل عامل » فكان أول من وجهت اليه الدعوة ولبّاها ، الشيخ علي مهدي شمس الدين ، الذي كان لوقع شعره الأثر الكبير ، اذ استطاع أن يلبي طموحات النادي من اللقاء الأول ، وجعل الكثيرين يطلبون المزيد من أدب هذا الجبل ، وتوالت الدعوات ، ولباها الشيخ أمين شراره (١٩٤٧)[4] وغيره من الشعراء .

لقاؤه مع الأدباء والشعراء (في فلسطين) .

وكذلك التقى في فلسطين الشاعر حسن البحيري[5] وكان فيها عضواً في « نادي أنصار الفضيلة » وسأذكر المقطوعة الشعرية التي أرسلها اليه الشيخ علي شمس الدين في « فن العتاب والاعتذار » وكذلك المقطوعة التي أرسلها لرئيس نادي « أنصار الفضيلة » : الرملاوي .

وقد ألقى في النادي عدة قصائد نذكر منها : قصيدة بعنوان مدح الرسول الكريم (ص) . أثناء زيارته لفلسطين :

صلِ على الهادي النبي وسلّم   باب النجاة وعصمة المستعصم
واسلك سبيل محمد ورجاله   الحافظين الدين في بذل الدم[6]

وسنأتي على ذكر هذه القصيدة في الشعر الديني ، وستثبت في الملحق

(١) فرع من الجمعية الخيرية الاسلامية العاملية التي كانت قد تأسست عام ١٩٢٣ ورئسها المرحوم رشيد بيضون ، جمعت الأموال من المغتربين والمهاجرين وبنَتْ الكلية العاملية .

(٢) رشيد بيضون هو غير رشيد بيضون النائب والوزير المعروف .

(٣) ابراهيم الرملاوي (معاصر) من مزرعة مشرف التي تبعد حوالى ٣ كلم عن بلدة قانا قضاء صور - روى لي في لقاء مسجل معه كيف انشئت هذه النوادي وكيف تم استدعاء الشعراء ومن بينهم الشيخ علي ، بل كان أولهم . تم التسجيل في ١٨ / ٥ / ١٩٨٢ ، في بيته الكائن في الشياح .

(٤) الشيخ أمين شراره شاعر من بلدة بنت جبيل توفي عام ١٩٤٧ م .

(٥) الشاعر حسن البحيري . كان نائباً لرئيس نادي أنصار الفضيلة ، أصدر كتاباً عن نادي أنصار الفضيلة تحت عنوان « الأصائل والأسحار » وهو كتاب شعر لحسن البحيري ذاته ، طبع بالقاهرة سنة ١٩٤٣ الطبعة الأولى وهو من ١٤١ صفحة .

(٦) القصيدة موجودة في المخطوطة رقم ٢ ص ٢١ - وهي ٢٩ بيتاً ونقلتها مشافهة من علي شمس الدين .

المخصص لشعر علي شمس الدين .

ثم ألقى قصيدة أخرى بعنوان «الأديب» بلغت عشرين بيتاً نذكر منها :

أراك تقلد جيد الزمان قلائد بان بها الجوهر
تنمق فيها رياض البيان فسيان تنظم أو تنثر [1]

وقد ألقى هذه القصيدة في حيفا أثناء الحفل الذي أقيم في تلك الحقبة [2]

قالوا الزعامة إرث في الأنام فقل أخطأتم أنها بالجد والتعب
والأرث ما ترك الماضون من عرض ومن حطام ومن ملك ومن نشب
لو كان ما تدعون الحق لانحصرت نبوة الأنبيا في صلب كل نبي
أو الامارة بالميراث فاز بها رغم الأنوف على الدنيا أبو لهب

والقصيدة طويلة سنأتي على ذكرها في الهجاء . وأكّد لي علي موسى شمس الدين ، أن العلماء والشيوخ الفلسطينيين في حيفا ، عرضوا على الشاعر بناء منزل شرط الاقامة بينهم بعدما سمعوا منه هذا الشعر العالي . ولكن الشاعر رفض وعاد الى لبنان .

ثالثاً : في مصر « لقاؤه مع الشعراء والأدباء في مصر »

التقى الشاعر علي مهدي شمس الدين ، أمير الشعراء « أحمد شوقي » في القاهرة (عام ١٣٢٤ هـ) بطلب من شوقي ، وحضر أكثر الشعراء العرب ، وذلك للتداول بالشعر الارتجالي ، ويروى السيد علي ابراهيم ما جرى له مع شوقي فيقول : [3] والشيء الذي تفوق فيه وتفرد : طاقته على الارتجال وحسن بداهته ، وقديماً قيل : (بحسن البداهة تتفاوت أهل العقول) ولا أبالغ اذا قلت أنه يستطيع أن يرتجل قصيدة ، كما حصل في مصر مع أحمد شوقي عندما سأله أن ينظم بمناسبة حرب طرابلس مع الطليان وعين له وقتاً . فقال له كلمته التي طالما رددها على مسامعنا (تأخذها بجيبتك) ثم انتحى ناحية ونظمها في دقائق وقدمها اليه ولكن أمير الشعراء لم يصدق ما رأت عيناه ، فظن أن الشيخ يحفظ القصيدة ، فحدد له أن

---

(١) القصيدة موجودة في المخطوطة رقم ٢ ص ٣٨ .
ـ تنمق رياض البيان . الصواب : تنمق فيها رياض البيان .
(٢) ـ م . ن . ص : ٣٤ .
(٣) ابراهيم ، علي . شعراء من لبنان ص ٢٤٧ .

يصف له حديقة المنزل ، فوصفها ، فحدد له مكاناً « محدداً » في الجنينة فنقله اليه شعراً » في الحال ، فضمه اليه وصافحه والقصيدة التي قالها في حرب طرابلس مع ايطاليا :

لا يصدق السيف ما لم تصدق الهمم فالسيف يصدأ والخطي ينحطم
وفي الشبا العزم عن حال الشبا عوض ان فارقت كفك الصمصامة الخذم
فما الشجاعة سيف أنت حامله ولا قناة ولا درع ولا علم
بل الشجاعة اقدام يشيعه حزمٌ تطير به الهامات والقمم
من لي بذي نجدة في ثوبه بطل في نفسه شيم في أنفه شمم
لا يرتضي الذل في حل ومرتحل ولا تزل له في موطىء قدم

إلى أنْ يقول :

يا شرق حسبك جهل قد أقمت به أفق ودونك ما ابتزوا وما ظلموا

وأخيراً يقول :

هل وثبة في ظهور الخيل مرجعة من مجدنا اليوم ما اغتالوا وما التهموا
أم هل ترى ترجع الأيام من يدهم من حقنا اليوم ما ابتزوا وما غنموا [1]

خاتمة الفصل الثاني :

ان هذا العرض السريع عن لقاءات الشاعر مع الأدباء والشعراء ، يدل أن الشيخ علي شمس الدين قد انطلق من بلده في جبل عامل ، فتجول في البلاد العربية المجاورة ، قاصداً « حيث الأدباء والشعراء » فقد ذهب الى فلسطين ، والى دمشق (حيث ألقى هناك قصيدة قومية بناء لدعوة من أمين نخلة الذي صحبه الى هناك) ومن ثم ذهب الى مصر ، وكذلك التقى الأدباء والشعراء في شتورة ، وسوق الغرب وبيروت وغيرها من المناطق الأخرى . إن هذه النزعة انما تدل على طموح كبير ، ومشاركة وجدانية على مستوى الوطن العربي كيف لا وهو ممَّن اطلق الدعوات للنهوض بهذا الشرق للتخلص من نير العبودية التركي والفرنسي .

ان تعدد لقاءاته مع شعراء مختلفين في تفكيرهم ، ومعتقداتهم ، ومذاهبهم ، لهو دليل على الانفتاح على جميع البيئات وشاعرنا الشيخ قومي في مواقفه ، وطني

(١) القصيدة موجودة في كتاب شعراء من لبنان ص ٢٥٢ / ٢٥٣ وديوان الشاعر : الوطنية والحياة ص ٢٩ .

صادق في لهجته ، زاهد في الدنيا وزخارفها لا تهمه الظواهر الخلابة ، لذلك استقبل وتعرف إلى كل الشعراء والأدباء ببزة واحدة عرفوه بها وهو فخور بهذا اللباس ، لأن الأقمشة زائلة بينما هو باق . وشاءت الأقدار لأبن جبل عامل أن يطمر تراثه ويضيع كشعر العديدين من أبناء هذا الجبل ، لذلك لم نعثر في مراسلاتـه على غـير تلك القصائد التي كان يحمّلها لمجلة العرفان الوفيّة لهذا التراث الغالي .

وكذلك لا بدَّ من الاشـارة الى أنـه كان على علاقـة جيدة ، بكل الشعـراء العامليين الذين عايشوه وعرفوه ، كالسادة : محســن الأمـين ، علي ومحمـد محمـود الأمين ، عبد الحسين صادق ، وعبد الحسين شرف الدين ، وعبد الحسين عبد الله ، وأمين شراره ، وكذلك كان على علاقة مع أمين خضر ، وابراهيم المنذر ، وغيرهـم اكثر[1] .

(١) القصائد المنشورة في أعيان الشيعة. ج ٤٢/ ١٦٩-١٨١ ، تثبت هذه العلاقات. أما العلاقة مع الباقـين فأكدها الشاعر موسى الزين شرارة وولده حسن شمس الدين .

الفَصْل الثَالِث

نتاجه الأدبي موزعًا بين الشعر والنثر

أولاً : نتاجه الشعري وتوزعه بين الكتب والصحف والمجلات .

إن النتاج الشعري للشيخ علي شمس الدين ، لم يجمع في ديوان واحد لأن الشاعر جمع شعره في اكثر من ديوان بخط يده ، وبعدما توفي توزعت دواوينه ولم يبق منها ، سوى ما حفظه أحفاده وهو قليل ، والباقي منشور في المجلات كالعرفان والكتب منها : كأعيان الشيعة ، ومن روائع الأدب الفكاهي العاملي ، وشعراء من لبنان ، والروض الزاهي في الأدب الفكاهي ، وعدة قصائد نقلتها مشافهة من المعاصرين ، وان هناك عدة قصائد قالها الشاعر ، يعود الفضل في حفظها لحفيده عبد اللطيف شمس الدين ، وهي قصائد قالها الشاعر ، وقيلت بمناسبة تأبينه في الأسبوع السابع ، والأربعين ، وقد سمّيت هذا الديوان المخطوطة رقم « ١ » .

وهناك عدة قصائد يعود الفضل في حفظها ، لابن عم الشاعر ، علي موسى شمس الدين الذي رافقه فترة طويلة من حياته وكان معه في سوريا ، وفلسطين ، نقل أكثر أشعاره وهذه سميتها المخطوطة رقم « ٢ » . ولجمع الثروة الشعرية للشيخ الشاعر ، اجريت عدة مقابلات مع الأدباء والشعراء المعاصرين له ، وحفظت اللقاءات عبر تسجيلات صوتية ، ومنهم ، الشاعر موسى الزين شراره ، الأديب صلاح اللبابيدي ، ابراهيم الرملاوي ، محمد علاء الدين ، وغيرهم الكثير .

وتجدر الملاحظة أن أكثر القصائد وُجِدت في أكثر من مصدر واحد .

الرواية الشعرية :

وكذلك فإن الشيخ علي مهدي شمس الدين ، ألف رواية شعرية ، بلغت مئتي بيتٍ من الشعر ، عرض فيها حياته ، ومعاناته ، وحياة أبناء جبل عامل عامة ،

وتطرق إلى مسألة سوقه مع غيره إلى الجندية ، وتوسط أحد الزعماء له لكي يصدر عفواً عن سَوْق العلماء إلى العسكرية . وهذه الرواية تمتاز بالنفس الروائي الطويل ، وبحسن السبك ، وبتنقله من قصة إلى أخرى من دون أن يشعر القارىء بتغير الموضوع ، فالرواية كلها تدور حول موضوع واحد هو حياة أبناء جبل عامل في حقبة زمنية معينة ، وقد تركها بخط صغير جداً استعملت لقراءتها المكبر عند التحقيق ، ولأن هذه الرواية ربما تخصص لها دراسة منفصلة ، ولأنه أيضاً ترك قصة شعرية ، ودراستها تتطلب وقتاً طويلاً - رأيت أن أنشر هذه الرواية في الملحق ، دون تحليل لها أو التعليق عليها أكثر ، وكذلك كما أشرت أنه ترك القصص الشعرية ، قصته الشخصية ، وقصة جبل عامل ، وقصته مع الحياة ، وتزيد القصيدة عن المئة بيت من الشعر .

واني أبدأ بعرض هذه القصائد ، حسب نشرها في الكتب ، والدواوين ، كل على حده .

أولاً : القصائد المنشورة في المجلد ٤٢ من أعيان الشيعة

أ - يقدم هذا المجلد تعريفاً بسيطاً بالشاعر ، ويبدأ بعرض قصائده وهي :

١ - مقطوعة ، من قصيدة مرسلة ، الى السيد محسن الأمين . ٣ أبيات ١ / ١٦٩ .

ان فاتني شرف المثول أمام من   هو في الحقيقة كعبة الاسلام

٢ - قصيدة ثانية مرسلة الى السيد محسن وهي ٣٢ بيتاً .

جفا زئير أسود الشرى   وقد بارحت غيلها للكفاح

٣ - قصيدة ، تشوقني العرب وآدابها ١٧ بيتاً .

تشوقني العرب وآدابها   وقهوة البن وشرّابها

٤ - قصيدة جوابية على رسالة الشيخ أمين شرارة ١٨ بيتاً .

من معيني وناصري ومجيري   من دعاة الخنا وأهل الفجور

٥ - قصيدة مرسلة الى السيد علي الأمين ٢٢ بيتاً .

بوجت خمسين بوجا في رحابكم   للنصب والنصب عندي أكبر الفلج

٦ - قصيدة ، مرسلة الى السيد علي الأمين ٣٦ بيتاً .

الى كم بسلمى أنت ولهان هائم تهيجك أطلال لها ومعالم

٧ ـ قصيدة مرسلة الى السيدين علي ومحمد الأمين ٤٠ بيتاً .

في أي شرعٍ يحسن الهجرُ وهل لديكم في الجفا عذرُ .

٨ ـ قصيدة مرسلة الى السيد علي محمود الأمين ٥٠ بيتاً

شيئان قد جلبا إليّ حمامي دلّ الحبيب وألسن اللوام

٩ ـ قصيدة مرسلة الى السيدين علي ومحمد الأمين ، ٣٦ بيتاً

ليال وصل ما يرجى أيابها وساعات أنس قد شجاني ذهابها

١٠ ـ قصيدة مرسلة للسيد علي ـ ٤٧ بيتاً :

يا غزال الرمل من وادي الأراك جد على مضنى الحشا بالنظر

١١ ـ قصيدة مرسلة الى السيدين علي ومحمد / ٣٥ بيتاً /

سرى طيف من أهوى سحيراً وودعا فاقلع صبري والأسى حين أقلعا

١٢ ـ مقطوعة عندما وعده أحدهم بشيء من التين وأخلف / خمسة أبيات /

أَكَلْنَا تين وعدك وهو فج فآذانا وطول الوعد يؤذي

١٣ ـ قصيدة في وصف تبنين ـ الأعيان ـ م ٤٣ . ج ١٠ ص ١٠٥٤ تموز ١٩٥٦ .

على العين من عيتا قفوا حيث تلتقي ضباء حسان حولها وجآذر [1]

***

ثانياً : كتاب خطط جبل عامل ـ تأليف السيد محسن الأمين ، تحقيق حسن الأمين ص ٩٦ .

١ ـ قصيدة واحدة تقع في ١٤ بيتاً .

عمّرت « بايكة » ومعلف وربطت « طاروساً » مكلَّف

***

(١) ورد في الأعيان ان الشاعر نال على هذه القصيدة جائزة أحد وجهاء تبنين والجائزة هي ثلاثة امداد عدس ومدين حمص ، وديكين ، و« نعارة » عسل .

ثالثاً : كتاب روائع الأدب الفكاهي العاملي ـ تأليف علي مروه ـ ص ١٣٥ .

١ ـ قصيدة يصف بها أحوال لبنان ـ ٢٤ بيتاً .

أتـرى الدهـر بعـد طول عبوسه وازدياد العنـا وشـدة بوسه

٢ ـ قصيدة جوابية على قصيدة الشيخ أمين شرارة ١٩ بيتـاً . مر ذكرهـا في أعيان الشيعة .

من معينـي ونـاصري ومجيري من دعـاة الخنـا وأهـل الفجوو

٣ ـ قصيدة قالها عندما وعده أحد الوجهاء بثور وأخلف / ١٥ بيتاً /

بـين هزل طالـع السعـد وجد أبـرج الثـور أو برج الأسد ؟

٤ ـ قصيدة عندما وعده ثانية وأخلف / ٢٨ بيتاً / أنظر خطط جبل عامل ص ٩٦ .

عـمـرت بـايكة ومعلف وربطـت طاروسـاً مكلـف

٥ ـ قصيدة قالها في العشارين الأتراك / ١٩ بيتا /

النـاس ما بـين سمسـار وعشار يا للفضيحـة عنـد النـاس والعار

***

رابعاً : كتاب الروض الزاهي في الأدب الفكاهي العاملي ، تأليف الشيخ محمد نجيب مروه .

١ ـ قصيدة بعنوانٍ من نوع الشقة التطريز ـ ص ١٥٤ .

يا ابـن المروة روضك الزاهـي غدا كالـروض في نواره وعبيره

٢ ـ قصة ماكينة الخياطة ـ ص ٧٩ ـ ٨٠ ـ ٨١ ـ وانظـر كتـاب من روائـع الأدب الفكاهي العاملي ـ وأعيان الشيعة ج ٤٢ .

من معينـي ونـاصري ومجيري من دعـاة الخنـا وأهـل الفجور

***

خامساً : كتاب شعراء من لبنـان . تأليف السيد علي ابـراهيم ـ بـيروت ـ مكتبـة منيمنة ـ ١٩٦٥ .

١ ـ مقطوعة ـ في هجاء المشايخ ٤ أبيات ص ٢٤٥ .

أنــي أرى في الســوق بعض عمائم   تسعــى وينفــخ خلفهــا بالبوق

٢ ـ قصيدة بعنوان ـ جبل يتكلم ـ / ٤٥ بيتاً / ص ٢٤٩ ـ ٢٥١ .

أيشرب غــيري وأبقــى ظمي   وأرضى عن الشهــد بالعلقم . ؟

٣ ـ قصيدة « بحبل يبتاعه بفلوسه » ـ أنظر كتاب روائع الأدب الفكاهي العاملي

أتــرى الدهــر بعــد طول عبوسه   وازدياد العنــا وشــدة بوسه

٤ ـ قصيدة أفق ودونك ما ابتزوا وما غنموا ـ أنظر « الوطنية والحياة » ص ٢٩

لا يصدق السيف ما لم تصـدق الهمم   فالسيف يصـدأ والخطـي ينحطمُ

٥ ـ قصيدة في ذكرى الطفولـة ص ٢٥٣ ـ ٢٥٤ ـ ٢٥٥ / ٤٩ بيتـاً / أنظـر الوطنية والحياة ٤٢ ـ ٤٤ .

حيَّت ربــاك نســمـات السحــر   يــا ملعبــي عنــد زمــان الصغر

٦ ـ تشوقني العرب وآدابها ـ ص ٢٥٥ـ٢٥٦ / ١٥ بيتاً / أنظر أعيان الشيعة ج ٤٢ .

تـشوقنــي الـعـرب وآدابـهـا   وقـهـوة الـبـن وشـرابـهـا

٧ـ مقطوعة وجدانية ـ ص ٢٥٦ ـ أنظر أعيان الشيعة ج ٤٢ .

اذا جنّ ليلي ضاجعتنــي ضئيلة   من الهــم في جنبــي يعلــق نابها

٨ ـ مقطوعة الى أولاده في المجدل / ٦ أبيات /

قف بالــديار وحــيِّ الأربــع الفيحا   واستنشــق البــان والقيصــوم والشيحا

٩ ـ قصيدة في وصف السيكاره ٢٥٧ / ٢٤ بيتاً /

وبيضــاء لم تبلــغ سوى قيد أصبع   من الطـول لكن قد أطالــت تسهدي

١٠ ـ قصيدة عندما دخل السجن ص ٢٥٥ / ٩ أبيات .

***

سادساً : ديوان الــوطنية والحياة ـ موجــود صورة عنــه بحوزتــي وينقص عشر صفحات . سأذكر عناوين القصائد وعدد الأبيات .

١ ـ فأنا أبكي أسى وهو يغني ص / ١٠ ـ ١٢ / ـ / ٤١ بيتاً /
٢ ـ دع الأنس وألبس شعار الأسف ص ١٣ ـ ١٤ / ٤٤ بيتاً /
٣ ـ وعلى العزيز عدت وأصبح عرشه ـ / ٤٨ / بيتاً
٤ ـ عبس الدهر وقطّب ـ من ١٤ ـ ١٦ / ٤٠ / بيتاً
٥ ـ ومن ذاق طعم المعالي عرف ـ ١٧ ـ ١٨ / ٣٤ بيتاً /
٦ ـ ان فرّ عند الخوف هيّابها ١٩ ـ ٢٠ / ٢١ / بيتاً
٧ ـ بلطفه يسلب كل الحواس ـ ٢٠ ـ ٢٣ / ٥٠ / بيتاً
٨ ـ فخذ الحذار من انفجار دفينه ٢٣ ـ ٢٤ / ٢٠ بيتاً /
٩ ـ كعين تصان بأشفارها ٢٤ ـ ٢٨ / ٧١ بيتاً /
١٠ ـ أفق ودونك ما ابتزوا وما غنموا ٢٩ / ١٣ بيتاً /
١١ ـ حملتني في الحب عبئاً ثقيلاً ٣٠ ـ ٣١ / ٢٠ بيتاً /
١٢ ـ ثابت الى وكرها العنقا ولم تثب ٣١ / ١٤ بيتاً /
١٣ ـ قد صار وهو الحر عبداً ٣٢ ـ ٣٤ / ٣٨ بيتاً /
١٤ ـ لا تسمها خسفا بمر جفائك ٣٤ ـ ٣٦ / ٤٩ بيتاً /
١٥ ـ وتفرقتم به أيدي سبأ ٣٧ ـ ٣٩ / ٣٣ بيتاً /
١٦ ـ قم فاقرأ على العز السلاما ٣٩ ـ ٤٠ / ٢١ بيتاً /
١٧ ـ كيف يحلو عيشي وجاري هاجر ٤٠ ـ ٤٢ / ٣٣ بيتاً /
١٨ ـ ذكرى الطفولة ٤٢ ـ ٤٤ / ٤١ بيتاً /
١٩ ـ افق من سباتك يا مشرق ٤٥ ـ ٤٦ / ٢٠ بيتاً /
٢٠ ـ عجائب القدرة ٤٦ ـ ٥٣ / ١٢٩ بيتاً /
٢١ ـ نحن والحياة ٥٣ ـ ٦٢ / ١٥٠ بيتاً /
٢٢ ـ ودموعي على هواك شهودي ٦٢ ـ ٦٧ / ٩٠ بيتاً /
٢٣ ـ فليتها أرته حال المشفق ٦٧ ـ ٦٩ / ٤٤ بيتاً /
٢٤ ـ ورسم كجسمي ناحل متهدم ـ الأصل للمتنبي ٦٩ ـ ٧١ / ٣٠ بيتاً /
٢٥ ـ تلقى الأنباء عن جاسوسه ٧١ ـ ٧٢ / ٤٤ بيتاً /

***

القصائد المنشورة في مجلة العرفان
من عام ١٩١٠ ـ ١٩٥٤

قبل أن أبدأ بتدوين القصائد المنشورة في مجلدات مجلة العرفان لا بدَّ لي من

توجيه الشكر للسيدة فاطمة جلول على رسالتها « فهرسة العرفان » التي سهلت عليّ التعرف على الأعداد والصفحات التي ينشر فيها الشاعر قصائده وهي :

١ ـ « ما الشرق » ـ م٢ / ٤٥١ سنة ١٣٢٨/ ١٩١٠ ـ وهي من ٥ أبيات .

ماَ الشرق الا مطلع لكواكب الفضل المضية

٢ ـ « عامل والمدرسة » م ٢ / ٥٠٩ ـ ١٣٢٨ ـ ١٩١٠ وهي ٤٤ بيتاً

أنادي وهل في الحي مصغ فيسمع   أهم نوم أم ساحة الحي بلقع ؟ (١)

٣ ـ « يا لثارات الاسلام » م ٣ / ٩٣٨ ـ ١٣٢٩ / ١٩١١ وهي ٩ أدوار

الا يا أباة الضيم طال سباتكم   زماناً ولم تغمد بهام شباتكم
لقد أوردتكم حوض ذل عداتكم   فأين مواضيكم وأين أباتكم
فعهدي بكم لا ترقدون على وطر .

٤ ـ بمناسبة « معضلة كريد » م ٣ / ٢٩٣ .

عروا السيوف من الجفون   فالخلق مأدبة المنون

٥ ـ « الدهر والغدر » م ٥ / ٣٣٧ ـ ١٣٣٢ / ١٩١٤ ـ ٦ أبيات

أرابك من دنياك ما لا تطيقه   فوجد تعانيه ودمع تريقه ؟

٦ ـ « المدنية والغرب » م ٥ / ٣٦٦ سنة ١٣٣٢ / ١٩١٤ / ٢٥ / بيتاً /

بني الغرب لا لومٌ عليكم ولا عتب   فحربكم سلم وسلمكم حرب

٧ ـ « أفق يا شرق » م ٦ / ٣٦٨ سنة ١٣٣٩ / ١٩٢١ / ٢٠ بيتاً /

أفق من سباتك يا مشرق   فقد ربضت خيلك السبق .

٨ ـ « فرحة اللقاء » م ٦ / ٥٧٠ سنة ١٣٣٩ / ١٩٢٠ / ٣٣ بيتاً /

أرى الكون برد السرور التحف   وداعي التهاني به قد هتف

٩ ـ « الشرق والغرب » . م ٧ / ١٥ سنة ١٣٤٠ / ١٩٢١ / ٢١ بيتاً /

جرد الغرب على الشرق حساما   قعد الشرق له رعبا وقاما .

---

(١) أنادي وهل في الحي من مصغٍ ليسمع = أنادي وهل في الحي من مصغٍ فيسمع

١٠ ـ « واجب الشكر » أو جواب شمس الدين للأستاذ جبر م ٧ / ٥٠ سنة ١٣٤٠ / ١٩٢١ / ٢٠ بيتاً /

أبيروت أم روض أنيق منعم ونوارها أم ذاك برد منمنم

١١ ـ « أيها الغر المذبذب » م ٩ / ١٦٨ سنة ١٣٤٢ / ١٩٢٣ / ٣١ بيتاً /

برق أمالك خُلَّب أيها الغر المذبذب

١٢ ـ « كنفش » م ٢٢ / ٦١٢ سنة ١٣٥٠ هـ / ١٩٣١ م / ١٠ أبيات /

كنفش اذا شئت أن تحظى بكنز غنى وأن تنال لدى الجهال تمييزا

١٣ ـ « يا شارب الخمرة » ـ م ٢٣ / ٢٥٩ سنة ١٣٥١ / ١٩٣٢ / ١٩ بيتاً /

سلبت حشاك بدنها وبجاهها حرباً يميت حجاك رشف سمامها

١٤ ـ « الشعر شعور » م ٢٧ / ٣٤٥ سنة ١٣٥٦ / هـ / ١٩٣٧ م / .

١٥ ـ بحبل يبتاعه بفلوسه م ٢٧ / ٦٣١ سنة ١٣٥٦ / ١٩٣٧ / ٢٤ بيتاً /

أنظر الوطنية والحياة ص ٧١ ـ ٧٢ . وشعراء من لبنان وروائع الأدب الفكاهي العاملي .

١٦ ـ « كأنا خلقنا لهم مغنما » . م ٢٧ / ٧٨٦ سنة ١٣٥٦ / ١٩٣٧ م ٢٩٠ بيتاً أنظر أعيان الشيعة ج ٤٢ :

سمعنا زئير أسود الشرى وقد بارحت غيلها للكفاح

١٧ ـ « ذكريات » م ٣١ / ١٥٩ سنة ١٣٦١ / ١٩٤٢ / ٩ أبيات /

هل تذكرين عهوداً بيننا نبذت أم تذكرين ليال كنت ألقاك

١٨ ـ « جبل يتكلم » م ٣١ / ٤٦١ سنة ١٣٦٤ / ١٩٤٥ ـ أنظر كتاب . شعراء من لبنان ص ٢٤٩ ـ ٢٥١ . والمخطوطة رقم ٢ ص ٢٦ ـ ٣٠ .

١٩ ـ «قل لزيد » م ٣١ / ٣٥٩ سنة ١٣٦٤ / ١٩٤٥ / ٢٣ بيتاً /

قل لزيد لا تخلها حلوة هذه الدنيا فبعد الحلو مر

٢٠ ـ « أنكرت نفسي » م ٣٢ / ١٥٤ سنة ١٣٦٥ / ١٩٤٦ / ٢٠ بيتاً /

بعد سبعين من سني وخمس اتصابى جهلاً بظبية أنس

٢١ ـ « أنا لو تعلمين يا مي شاعر » م ٣٢ / ٥٦٤ / ٢٠ بيتاً /

عيرتنــي بالبـؤس ميّ وقالت بائس يائس وغـر مغامر

٢٢ ـ « فلسطين م ٣٦ / ٧٢٨ سنة ١٣٦٨ / ١٩٤٩ ـ ٤٣ بيتاً ـ

فلسطــين لا زيد رقــاك ولا عمرو مطياً على يأس فقـد قضى الأمر

٢٣ ـ قالوا اسكتوا م ٣٦ / ١٠٦٩ سنة ١٣٦٨ / ١٩٤٩ ـ مقطوعة / ٤ أبيات /

قــالوا اسكتــوا فـسكتنــا فـما أفــاد الـسكوت .

٢٤ ـ قصيدة ارتجالية م ٧ / ١٢١ ـ ٧ أبيات .

اذا ضرب الانسـان صفحــاً عن الوفا ولــم يرع الا أو كريم زمام
فكن حرّ الضمـير تعش كريما فما للحـر في الـدنيا مهين .

***

أولاً : القصائد المنشورة في المخطوطة رقم «١»

١ ـ قصيدة مدح بها عادل عسيران بمناسبة فوزه برئاسة المجلس النيابي ١٩٥٣ / ٢٦ بيتاً /

أســفــر الصبــح فابتهــج يا ساري فلنــا اليوم لاح وجـه النهار

٢ ـ في المناسبة نفسها ـ ص ٢ / ١٠ أبيات /

سليــل المجـد حسبــك مــن خصال عــدالــة حــاكم هــاد مطاع

٣ ـ في المناسبة نفسها ـ ص ٣ / ٩ أبيات /

بسم الـدهــر بعــد طول عبوسه فــاراح الأنــام من كابوسه

٤ ـ مدح عادل عسيران ويوسف الزين ص ٤ / ٨ أبيات /

حليفـك النجــح انــى سرت يا بطل وفي مســاعيك يحيا في الــورى الأمل

٥ ـ في المعلم ص ٥ / ٧ أبيات /

فضــل المعلــم في الحيــاة فضــل الســمــاء علــى النبــات .

٦ ـ في عادل عسيران : ص ٦ / ١٠ أبيات /

عطّـري الجـو بالشـذا يا خمائل وانثري الـورد وأصـدحي يا بلابل

٧ ـ قصيدة في تأبين الشيخ شمس الدين ٦ ـ ٨ ـ / ٣١ بيتاً /

يهنـى الثـرى فيـه تـوسد سـامـى الـذرى بـالفضـل أوحـد

٨ ـ قصيدة محمد نجيب فضل الله ٨٣ / ١٢ بيتاً /

مـاذا أقـول وأنـت ميتـا انطق منهـا واشعـر في البيان واحدق

٩ ـ قصيدة عبد الحسين فضل الله ص ٩ ـ ١٠ / ٢٨ بيتاً /

تلفـت قلبـي حين لاحت لناظري مغـانيك يا رمـز العلى والمفاخر

١٠ ـ قصيدة عبد الأمير شمس الدين ١٠ ـ ١٣ / ٤٢ بيتاً /

ما كـل من رام البقاء مخلد جسما ونفسا .

١١ ـ قصيدة ضياء الدين فضل الله ١٣ ـ ١٥ / ٣٢ بيتاً /

جرحـان قد وقعا في جسمـي الفاني قـد عجـلا لي يا آل الله اكفاني

١٢ ـ كلمة زيد فرحات ١٥ ـ ١٨ .
١٣ ـ كلمة جعفر شمس الدين ١٩ ـ ٢١ .
١٤ ـ كلمة السيد عبد اللطيف فضل الله ٢١ ـ ٢٢ .
١٥ ـ كلمة السيد كاظم الأمين ٢٢ ـ ٢٥ .
١٦ ـ قصيدة من تأليف الشيخ علي شمس الدين ٢٧ ـ ٢٨ / ٢٨ بيتاً /

بـح صوتـي والمنـادى في صمم فإلى من اشتـكي فـرط الألـم

١٧ ـ قصيدة مرسلة الى الشيخ محمد تقي صادق ٢٨ ـ ٣٠ / ٢٨ بيتاً /

الله ما أحلى طحـين الورق ومـا عليه من مداد مرق .

١٨ ـ قصته مع أولاده ص ٣٠ ـ ٣٥ / ١٠٨ أبيات /

أدفأت اذاني بوعدك يا أبا عبد اللطيف

١٩ ـ قصيدة هجاء ص ٣٦ ـ ٣٧ / ٢٥ بيتاً /

لاحت بوادر خير من أمانينا واستشعر الأنس قاصينا ودانينا .

٢٠ ـ مقطوعة في المشايخ ٣٧ / ٣ أبيات /

رأت مقلتي بالأمس رب عمامة لأمثاله كانت على رأسه **فخرا**

٢١ ـ تأريخ محمد أمين شمس الدين ٧٧ / ٦ أبيات /

سعدتَ يا رمس فيمن في ثراك ثوى وطبت يا قبر حقاً مثلما طابا

٢٢ ـ كلمة رثاء القاها السيد علي فضل الله في أسبوع الشاعر بعد أربعين يوماً ص ٣٩ ـ ٤٠ .

٢٣ ـ كلمة عبد الكريم شمس الدين ص ٤٠ ـ ٤٣ .

٢٤ ـ كلمة السيد أحمد شوقي الأمين ص ٤٤ ـ ٤٦

٢٥ ـ كلمة رثاء محمد شمس الدين ص ٤٧ ـ ٤٩

٢٦ ـ كلمة رثاء محمد أمين شمس الدين ٤٩ ـ ٥٢

ثانياً : المخطوطة رقم ٢ .

١ ـ قصيدة رثاء الحاج خليل طه ص ٥ / ١٠ أبيات /

يا ربوة المستشهدين سلاما يا من عرفت الحزم والاقداما

٢ ـ أبيات عتاب للبحيري ص ٢٠ / ٧ أبيات /

قل للبحيري اذا جئته أغرقت نزعاً في جفاء الصديق

٣ ـ أبيات عتاب لابراهيم الرملاوي ص ٢٠ / ٤ أبيات /

يا زعيم الشباب إني نزيل وعلى ذي الحفاظ حفظ النزيل

٤ ـ تأريخ ولادة محمد علي شمس الدين ص ٢٣ / ٨ أبيات /

طير المسرة قد شدا يا ليل همي فانجلي

٥ ـ قصيدة في مولد الرسول : ص ٢١ ـ ٢٢ / ٢٩ بيتا /

صلِ على الهادي النبي وسلّم باب النجاة وعصمة المستعصم

٦ ـ قصيدة هجاء الحكومة « أو صيحة جبل في واد » ص ٢٦ / ٥٤ بيتا / أنظر القصائد المنشورة في مجلة العرفان ـ التسلسل ١٩ .

أيشرب غيرى وأبقى ظمى وأرضى عن الشهد بالعلقم

٧ ـ قصيدة رثاء عبد اللطيف الأسعد . ص ٣٠ ـ ٣١ .

أبا أحمد السامي على النجم رفعة ومن بهر الدنيا بغر صفاته .

٨ ـ قصيدة في الزعامة : ص ٣٤ / ٢٥ بيتا /

قالوا الزعامة أرث في الانام فقل أخطأتم أنها بالجدِ والتعبِ

٩ ـ قصيدة رثاء الشيخ محمد أمين شمس الدين ص ٣٥ ـ ٣٧ / ٣٢ بيتاً /

عز الشريعة في محمد ومدير دفتها المحسد

١٠ ـ قصيدة بعنوان « الأديب » ص ٣٨ / ٢٠ بيتاً /

أراك تقلد جيد الزمان قلائد بان بها الجوهر

***

ثالثاً : المخطوطة رقم ٣ في هذه المخطوطة ، الرواية الطويلة وقد بلغت ٤٨ صفحة تنقص ست صفحات من المقدمة ، وكذلك سبع مقامات بخط يده أيضاً ـ وفي هذه المخطوطة عدة قصائد دون عناوين ، مكتوبة بخط صغير جداً موجود في نهايتها الرواية الشعرية المكتوبة أيضاً بخط صغير ، وغير مقروء الا بمساعدة المكبّر ـ وقد اثبتُّ صورة عنها في الملحق ـ وهذه المخطوطة عندي صورة عنها .

رابعاً : المخطوطة رقم (٤) ، وتحوي المقامات ، والرواية الطويلة ، مصححة وكاملة ، بخط جيد ، وتمتاز بأن الشيخ ، نقلها عن المسودة التي هي المخطوطة رقم «٣» والذي يلفت الانتباه ، أن الشيخ تحاشى فيها الأخطاء الاملائية قدر الامكان والتي كثر وجودها في المسودّة .

خامساً : « مخطوطة بداية الهداية ونهاية الدراية » التي ألفها الشيخ مهدي وخطها ولده الشيخ علي شمس الدين ، يوجد في نهايتها مراسلات بين الاثنين وقد أثبتُّ إنموذجاً عنها في الملحق . . .

قصائد متفرقة

١ ـ قصيدة في وصف وادي السلوقي / ١٢ بيتاً /

سقاك يا روضة الوادي وحيّاك صَيّبٌ من المزن دفّاق بمغناك[1]

٢ ـ خذ الجنان :

خذ الجنان إني همت بالنار لأغسل النفس من إثم ومن عار

٣ ـ قصيدة غزلية :

يا ليلى لا تزيديني بصدودك خنقت الليل في شلحة جعودك

٤ ـ قصيدة في رثاء خضر الجوني .

٥ ـ مقطوعة : « لا الناس أنتم » .

لا الناس أنتم ولا أنتم من الناس حثالة عافها في كأسه الحاسي

٦ ـ قصيدة الى شخص من آل خاتون لم يدع الشيخ إلى عرسه / ٢٢ بيتاً /

أو بعد صفو منك مر زينت بيتك بالعكر ؟

٧ ـ مقطوعة في تلزيم المطار .

لبنان مالك قد غدوت أسير أرباب الطماعة ؟

٨ ـ قصيدة :

قم حيّي سكان النجف الحي منهم والسلف

٩ ـ مقطوعة الى الأستاذ ابراهيم بزي .

أمعلم الشبان في الأخلاق أغرقت نزعا ايما إغراق

١٠ ـ قصيدة في استقبال الشيخ علي الشرقي .

التسجيلات الصوتية .

التسجيلات الصوتية مع معاصريه في شريطين .

(١) وقاف : دفاق

١ ـ مع موسى الزين شراره .
٢ ـ صلاح اللبابيدي .
٣ ـ ابراهيم الرملاوي
٤ ـ محمد علاءالدين .

المقابلات الشخصية

المقابلات الشخصية مع الأدباء والشعراء والمعاصرين عديدة ، أشرت اليهم بحينها في هذا الكتاب .

ثانياً ـ علي مهدي شمس الدين « الكاتب »

اسهامه في النثر :
ـ المقامات العاملية ـ
ـ الر واية ـ

إسهامه في النثر ، المقامات : المقامات العاملية ، أنموذج من مقاماته ـ الر واية

قبل البدء بعرض المقامات والرواية النثرية للشيخ ، لا بد أن أشير إلى أن فن المقامات ، هذا الفن القديم ، أعاد الشيخ علي شمس الدين كتابته وصياغته بالنفس نفسه الذي تمتعت به مقامات الحريري ، من حيث العناوين واستقلاليتها بموضوعها ، ومن حيث الأسلوب وتلوينه ، بشتى أنواع المحسنات اللفظية من بديع ، وبيان ، وجناس ، وطباق ، وجمل قصيرة ذات جرس موسيقي، ثم امتاز أسلوبه بالاستطرادات الطويلة ، كأن يعرض في الرواية لقصة ثانية وثالثة ، قبل العودة مجدداً الى موضوعه الأساسي . وقد ترك المقامات الشعرية والرواية الشعرية وهذا الأنموذج المختلط يعتبر جمعاً بين النثر والشعر. مما يدلنا على مقدرته الشعرية وطول باعه ، بل على قدرته على النظم ، وهذه نماذج من مقاماته ورواياته (تلخيصاً لأنها طويلة بلغت ٤٨ صفحة) سنضع تلخيصاً لها .

فن المقامة (المقامات العاملية)

قبل أن أبدأ بعرض فن المقامة ، لدى الشيخ علي شمس الدين ، لا بد لي من أن أعرف بالمقامة . المقامات حكايات قصيرة موضوعة على لسان رجل خيالي

تنتهي بعبرة أو موعظة أو نكتة ، والمراد بها في الأكثر التفنن بالانشاء وتضمينه الأمثال والحكم وقد شبهها بعضهم بالدرام في اللغات الافرنجية[1] . وموضوعات المقامات مختلفة ، منها أدبي ، ومنها فقهي ، ومنها فكاهي ، ومنها حماسي ، ومنها خمري أو مجوني ، وهذه الموضوعات تتوالى على غير ترتيب مخصوص عند بديع الزمان . أما الحريري فالتزم أن تكون الموضوعات متعاقبة على نسق مخصوص ، وقد تكون المقامة طويلة أو قصيرة .

واسم المقامة مأخوذ عادة ، من اسم البلد الذي انعقد فيه مجلس المقامة نحو : المقامة الدمشقية والتبريزية والرملية[2] وغيرها . وانَّ أقدم نتاج في هذا الفن الأدبي كان لبديع الزمان الهمذاني[3] (٣٩٨هـ)وهو أول من وفّاه حقه، وجعله علماً ، وقد اقتبس نسقه من استاذه ابن فارس[4] اللغوي الشهير . ويريد الدكتور زكي مبارك أن يثبت أن مقامات بديع الزمان مشتقة « من أحاديث ابن دريد »[5] . والدكتور فروخ يقول : وعلى أن هذا لا يعني ، أن بديع الزمان لم يطلع على أحاديث ابن دريد ، أو على ما روي عن العرب من قصص ، وأحاديث وأسماء ، ولكن الفرق بين تلك الأحاديث ، وبين المقامات من حيث الغاية والأسلوب بعيد جداً[6] . وعن بديع الزمان أخذ الحريري نسق مقاماته ، وللحريري الفضل في الإجادة بهذا النوع من الأدب ، ألف مقاماته لشرف الدين ، وزير الإمام المسترشد بالله فأجاد ووفى الموضوع حقه .

وفي لبنان ألف الشيخ ناصيف اليازجي كتاب « مجمع البحرين » . وأما في جبل عامل فلم أجد كاتباً ترك مقامات غير الشيخ علي شمس الدين ، مع العلم أن الإستاذ علي الزين يقول : ما انفك العامليون إلى الأمس القريب يعتبرون القصة

---

(١) زيدان ، جرجي . تاريخ آداب اللغة العربية . بيروت ، مكتبة الحياة م ١/ ٥٨٥ .

(٢) فروخ ، عمر . الرسائل والمقامات . بيروت ، مكتبة منيمنة ، ١٣٦١ هـ/ ١٩٤٢ م . ص ١٩ ـ ٢٠ .

(٣) بديع الزمان الهمذاني (٣٩٨هـ)هو أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد الهمذاني الحافظ المعروف ببديع الزمان ، كان يقيم في هراة بافغانستان . (تاريخ آداب اللغة العربية م ١/ ٥٨٥ .

(٤) ابن فارس (٣٩٠ هـ) هو أبو الحسن أحمد فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب الرازي ، كان إماماً في علوم شتى وخصوصاً في اللغة وله الفضل في التقدم في وضع المقامات ، م . ن ، ٦١٩ (يتيمة الدهر للثعالبي ٤/ ١٦٧ معجم الأدباء ٣٤ ابن خلكان ١/ ٣٩) .

(٥) النثر الفني . ١/ ١٩٧/ ٢) فروخ ، الرسائل والمقامات ص ١٨ .

(٦) فروخ ، الرسائل المقامات ص ١٨ . الحريري (٥١٦ هـ) هو أبو محمد بن محمد بن عثمان الحريري البصري صاحب المقامات (تاريخ آداب اللغة م ٢ / ٣٩ .

ملهاة عامية أو نوعاً من الأدب المنحط لا يليق بالطبقة الارستقراطية في علمها وأدبها ، أن تعنى به عنايتها بالقصائد والمقالات . ولئن هم مارسوا فن المقامات ، وهو مما يمت إلى القصص بأقرب الأسباب ـ فذلك لأن لغته غير لغة القصص ، ولأن غرضهم منه غير الغرض منها ولأنه لا يتنافى مع تقليد القدماء[1] .

وأما الشيخ علي شمس الدين ، فقد ترك ثماني مقامات ، سبعاً منها بخط يده والثامنة غير مخطوطة إلى جانب مقامة طويلة جداً أو رواية ، بلغت ٤٧ صفحة ولديّ عنها جميعاً نسخ في مكتبتي الخاصة .

وأما أسماء هذه المقامات الثماني فهي: المقامة الأولى ـ القمرية ـ الثانية الهجيرية ، الثالثة المشذبة ، الرابعة الصراط ، الخامسة (بلا عنوان وهي مواعظ وحكم ونصح) السادسة (كذلك بلا عنوان وكذلك حكمية) والسابعة بدون عنوان أيضاً وهي شعرية) . والنسختان المخطوطتان بخط يده ، الثانية صحح فيها الأخطاء الاملائية قدر المستطاع وأما الثامنة فهي بعنوان « في الثور » وهي ساخرة ذات مغزى .

وبما أن هذه المقامات هي الوحيدة التي عثرنا عليها لكتّاب جبل عامل ، رأيت بادىء الأمر أن أطلق على هذه المقامات (الطويلة ـ والقصيرة الشعرية والنثرية) اسم « المقامات المجدلية » نسبة إلى بلدة الشاعر ، ولكن ، بما أن الشاعر عاملي المولد والمنشأ رأيت أن أُسميها « المقامات العاملية » . واليكم نماذجَ من هذه المقامات .

(المقامة الأولى وهي القمرية)

جلست والقمر في عنفوان شبابه ، والليل قد أرخى فاحم جلبابه ، والأفق بالأثير قد تمنطق ، والنجم يتلألأ كدرّ علق في بساط أزرق ، وقد ساد السكون على المتحركات ، وأوى كل حي إلى البيات ، والريح تعبث بالغصون وقد جرى ذهب الأصيل على لجين الماء .

والنبات بين ساهر وناعس ، والزهر بين باسم وعابس ، وعبير العنبر والنسرين يُعطِّرُ العرانين ، والشمام قد فتق عن الزهر الأكمام ، والعظاة قد زينت الفتوات، والأثل قد غطى وجه الحقل[2]. واذا بشيخ قد سقط حاجباه ، وأقبل متوكئاً

(١) الزين ، علي . أوراق أديب . بيروت ، دار الفكر ، لا ط لا ت ج ١/ ص ٧٣ .

(٢) في هذه المقامة يعكس أوضاعاً اجتماعية سائدة(وهي المحافظة على التقاليد الشرقية من الشرف والأخلاق)وينتقد المجتمع والممارسات غير العادية التي تحصل فيه) .

على عصاه ، يدبّ دبيب الدبا ، ويلهث لعجزه عن حمل رث القبا ، وهو ينشج نشيج الطريد ، ويئن أنين فاقدة الوحيد ، يزفر زفير ذات الأوار ، ويتأوه تأوه الحزين ، اذ أبعدت به عن ألفه الدار حتى بصر بي عن كثب قال :

هجرت دياري بعد تسعين حجّة ... وقلت عساني كأس حتفي أن أسقى
مخافة أن أشقى كشقوة أهلها ... فأصبحت مرهوناً إلى ما هو الأشقى
ولو أن موتاً يشترى لشريته ... لنفسي خوفاً أن أعيش وأن أبقى
تنكرت الدنيا بعيني فلم أجد ... وحقك بين الموت وضده فرقا
ولا خير في دار بها الدين ضائع ... وأهلوه في تيار محنتهم غرقى(١)

فقلت له ما بالك أيها الشيخ الهرم أليلتَ والناس نيام، قلقاً والناس هجوع المراقد وأبديت الحزن والناس للسرور ما بين قائم وقاعد .

فقال عمرت أحوالاً وقطعت أجيالاً ، حتى صرت خيالاً ، فما رأيت دهراً انكى ولا عيشاً أبكى ، ولا اخواناً اخون ، ولا حالاً أحزن مما أصبحنا فيه من بلاء يقل عنده الصبر ويضيق عن احتماله الصدر ، ويذهب بحلم الحليم ، ولو كان موسى الكليم ، أمور تشيب الطفل وهو بمهده ، وتذهب في لب الحليم المهذب .

فمن عالم في علمه غير عامل ... ومن جاهل خبّ لئيم مذبذب
ومن عابد للمال يسعى لحتفه ... ويركب في تحصيله شر مركب
ومن باذل أمواله مرخصاً لها ... طماعة أن يحفى بجاه ومنصب
ومن جالس في دست مجد وسؤدد ... على حالة تشجي وجهل مركب
ومن ذات خدر عافت الصون وانثنت ... إلى مرقص يصبي الحليم وملعب
تخاصر من شاءت على رغم زوجها ... ولم تكترث جهلاً بأم ولا أب
وتمضي إلى الحلاق جهراً كأنها ... بلا شرف يثني ودين ومذهب

فكيف لا أهجر النوادي ، وأهيم في البوادي ، أيليق بمثلي على شيبه ، أن يبقى على عيبه ، ثم زفر وشهق بعد أن كده العرق فحركتهُ فإذا هو كتلة جامدة وجثة هامدة .

المقامة الثالثة (المشذبة)

لا تعجل فتزل بك القدم ، ولا تن فيعاجلك الندم ، ولا تستسلم إلى اليأس

---

(١) ان الكلمات متوكئاً ـ أبقى ـ غرقى : كان الشيخ قد كتبها : متوكأ ـ ابقا ـ غرقا .

فيقعدك القنوط ، ولا تضجر عند أمر تريده ، ففي الضجر حرمان النجاح ، ولا تتكل بأمرك على سواك ، ففي الإتكال على الغير حرمان الخير ، واغتنم الفرصة اذا وافتك ففي اغتنامها الوصول لما تبتغي ، ولا تثق بكل من رأيت فلربما أخطأك الفكر ، ولا يغرنك حسن الظاهر ، فكم رماد تحته جمر ، ولا لين المسِّ ، فقد يكون صلا ، واحذر الأقرباء فانهم أدل على عيبك ، وكن معهم بين بين ، لا بالصديق المصافي ولا بالبعيد المجافي ،ولا تقف منهم موقف العداء فهم أجرأ الناس عليك ولا تجعل برّهم فريضة فانك ان أصابتك خصاصة ، سلكوا سبيل الخصام ، وجانبوا الرضى ، ونسوا كل ما مضى ، ولا تبطر ان حصلت على نعمة فقد لا تدوم ، وقابل النعمة بالشكر والمحنة بالصبر .

المقامة الرابعة « الصراط »

اذا ملكت فاعدل ، أو حكمت فارفق أو استأمنت فاحفظ الأمانة ، حتى يأتيك من استأمنك ولو أحيط بك وان استشرت فانصح ، فان المستشار لا يكون خائناً ، وأن قمت بأمر فلا تقعد عنه ، فان القعود عنه ، هو السدّ المنيع بينك وبين الوصول اليه . وكنْ حكيماً في الأمور تسلم من موبقات الندامة ، ولا تقدم على أمر الا بعد أن تدرس عاقبته ولا تخاصم من فوقك ، فقد يقضي على كيانك ولا من دونك فيستخف بك ، ولا تفش سرك أمام من لا تثق بأمانته عليه ، ولا تضع مالك فيما لا يعود عليك بالخير ، وجانب المعاصي فانهاحوالق النعم ، ولا تمل عن الحق مع من صافيت ، فبذلك الإمتهان لك عنده ، اذا رجع إلى نفسه ، والفضيحة عند من لا تخفى عليه خافية ، وسرْ مع الناس بالصدق ، ومع من تعيل بالرفق ، ولا تَشْكُ[1] لمن لا يرحم ، وتجاف عن الحمق فان عاقبته الندامة ، والسم القاتل للكرامة ، وترفع عن الحسد فانه يعود عليك بالشر ، والزم الصمت فانه أسلم اليك الا ما كان حكمة ، أو أداء نصح ، ولا تقبل النميمة فان صاحبها فاسق ، والفاسق غير مقبول الشهادة ، وكما نمّ لك ينمّ عليك ، واحفظ سرك مع الخالق ، وعلنك مع المخلوق ، وان آخيت فاحفظ الاخاء ، فان الذمام الذي تشكر عليه ، وترفع عن الملاهي فانها مذهبة الوقار ، ومجلبة العار ، وارحم من في الأرض يرحمك من في السماء ، واحفظ لسانك عن عيوب من سواك فان من طَعَن طُعِنَ ومن أمتَهن امتُهِنْ .

خلاصة

إن الشيخ علي شمس الدين ، أول عاملي ترك مقامات قصيرة ،

---

(١) تَشْكُ ـ تجافِ. وضعها الشيخ : تشكو ـ تجافي .

وطويلة ، شعراً ونثراً ـ وان أسلوب مقاماته فيه فن التصنيع ، والتأنق اللفظيّين ، وهناك الإغراق في السجع ، والبديع ، والجناس ، والطباق ، والمقابلة ، والموازنة في سائر أوجه البلاغة ؛ تأثر بنسق مقاماته بالحريري ، وترك مقامات شعرية ، للدلالة على طول باعه في الشعر ، ولديه استطرادات في روايته الطويلة ، وقد تكلمت عنها في حينها .

الرواية أو المقامة الطويلة

إن الرواية ، أو المقامة الطويلة ، التي وجدت للشيخ علي مهدي شمس الدين ، والتي لم يضع لها إسماً ، بلغت سبعا وأربعين صفحة بخط يده[1] .

وما هي هذه الرواية ، وعمّا تتكلم ، وما هو مضمونها ، والأسلوب الذي كتبت به؟ يبدأ روايته ببيتين من الشعر الغزلي ، مقدماً للقائه مع فتيات ثلاث هنّ على التوالي : مي . وهي سوريةٍ ، ونهاد تركية ، وفيوليت وهي غربية ، ويصف ما لهنّ من جمالٍ ، وما هنّ عليه من برقع وسفور ، ويصفهن بغزل رقيق اباحي أحياناً ، شعراً ونثراً . . ويصف تعلقه بفيوليت ، لما لها من الجمال والثقافة ، ولكنها امتنعت ؛ وقد فسرّ هذا الإمتناع رغبة منها به (ينفرن وهن الآلفات ويمنعن وهنّ الراغبات) .

وتدخل امرأة عجوز ، تعرض عليه المساعدة ، فيشرح لها قصته ، وتذهب متنكرة بصحبة ابنة صغيرة ، ولكنها عادت هشة بشة ، واخبرته أن الفتاة قد وعدت شاباً للقائها في أحد البساتين ، ويذهب وحيداً إلى حيث يجتمعان ، ولما رآهما تدخلا لديه ودعواه بعدم العودة إلى مثل هذه اللقاءات ، بعد أن شرحا له أن لقاءهما كان عفيفاً . « ويعرض هنا الحكمة والموعظة شعراً » . وبينما هو يحدث نفسه ، ويبين حاجته الى رأي سديد يسعفه في اقناع فيوليت ، أقدمت العجوز ، فقصّ عليها مشاهداته ـ فأجابته بحكمة : (ان من ألقى نفسه في المخاطر ، قبل أن يتدبر عاقبة أمره ، جره قائد الهوى وعدم التبصر في الأمور ، إلى هوة لا الماء فيها ولا الخمر) . وبعد أن وجهت اليه ، تهمة التقصير في مراجهة الأمور ، قالت له : أنا أكفيك عاقبة أمرها ، ثم عادت لتؤكد له ، أن الحصول على حب فيوليت بعيد جداً ، وبعد أن سمع كلامها ، رفضه وأصرّ على موقفه من نيلها عنوة ، فقالت ناصحة : ان عاقبة العناد خطيرة . وبعد أن نصحته قالت إني اجتمعت برفيقتيها مي ونهاد ، فاكدتا لي أن

---

(١) فاكدتا : كتبها : فاكدن .

فيوليت لا تريد إلا صاحبها الأول ، وعادت العجوز تنصحه بحب ميّ وتدعوه للاقتران بها ولكنه رفض العرض ، بحجة أن مي السورية مجربَة وهي غير شريفة ، فطلبت منه العجوز أن يأخذ على ميّ عهداً قائلة : (فخذ عليها العهد بكل ما تريد حالاً واستقبالاً وذكّرها ما سلف من صنيعها ، فانها ان عاهدتك وفت بعهدها ، أو وعدت صدقت بوعدها ولولا علمي بما جُبِلت عليه من الوفاء ، لما دعوتك إليها ، ولا اعتمدت بنجدك لها ،) فقال لها : (كم عهد نقض بعد الإبرام ، وكم جاهل أهلكه فعله ، ودم ضيّعه أهله وان أضيع هالك ، من ألقى نفسه في المهالك ، فأخاف أن ركنت إلى برقها الخلب ، أو وعدها الحُوَّل القُلَّب ، أن يصيبني ما أصاب السلحفاة مع العقرب ، « ثم يروي ما جرى للسحلفاة مع العقرب » بأن يبدأ : فقد زعموا أن عقرباً . . . ثم يستطرد ليروي قصة على لسان السلحفاة قال : فقالت لها السلحفاة : لقد عرفتني قضية الجرذ مع الهر عاقبة أمري معك ، فقد زعموا أن رجلاً تنازع مع آخر هل يغلب الطبع التطبع أم العكس . . . ثم يكمل الرواية الأولى على لسان السلحفاة : ولما لدغتها العقرب مرة أخرى ، قالت السلحفاة : ان مَنْ ركن الى الخائن ، وأطعن على المائن أصابه ما أصاب الخروف من الذئب . فقد قالوا ان ذئباً وجد خروفاً منفرداً . . . . الخ .

وبعد كل هذه الاستطرادات والاستشهادات ، عادت العجوز لتؤكد له حب ميّ ، وتنفّرهُ من فيوليت ، فأجابها إن نفسه لا تنقاد على العنف ، ولما يئست العجوز من نصحه ، ذهبت وبقي هو في همّه ، مصراً على موقفه ، وبينما هو واقف اذا به يشاهد فيوليت في حديقة الى جانب داره ، فكتبت اليه أن يرحم نفسه ويعتكف بمحرابه ويتفرد لكتابه .

وبعد أن ذكّرها عندما التقاها مع رجل غيره ، وذكرها بصموده على موقفه أطرقت وقالت لزميلة لها ، إليّ إليّ يا جولين ثم قالت له : انظر يا قاصر النظر وقليل الفكر ، هذا صاحبك الذي سوّد نهارك ، وأعدم قرارك ، والقاك بما أنت فيه من بلاء وجهد وعناء . ثم يتابع . . . وبعد أن طال بيننا الحديث ، وسَعَتْ وراء غايتها السعي الحثيث ، ورأت مني ما لا تتوقعه من الاباء ، جاءت تمشي على استحياء ، وإلى جنبها جولين . فأعدت النظر إلى جولين وما عليها من الألبسة ، واذا بها أَلْبِسَةُ ذلك الشاب الذي وشت عليه العجوز ، ونظرتُ الى خال بخدها كنت قد رأيته ، نجد ذلك الشاب فاذا هو هو) فقالت فيوليت : (فما كل سافرة خاسرة ، ولا كل محجوبة طاهرة ، وان الناس لمعادن ، فمنها الذهب والنحاس ، والأسرب

والالماس ، ثم قالت : قف أيها السيىء الظن اشكالي ، والمستخف بأمثالي إن كَالَمْنَا فبكل إباء ، وان جالسنا فاغراء ، لتعلم أني مع غيرك كما أني معك . فقال لها : عرفتني قصة الثعلب مع الغراب . ما أراه من تملقك اليّ : فقد زعموا أن غراباً كان يحمل بمنقاره جبنة . . . إلى أن يختتم قصة الغراب والثعلب بقصيدة حكمية . قالت فيوليت : ان الحكيم لا يحارب من سالمه ، إلاّ اذا رأى منه خفر الذمة ، كما أن المحارب لا يستسلم اليه ، ما دام للدفاع باب يمكن ولوجه ،ولقد رأيت منك بادىء الأمر ، ما رأيت التفاتك إلى وشاية عجوزٍ تترقب النفع فقد أصابك ما أصاب الكبشين من ابناء آوى . فقد زعموا أن كبشين وقفا بأرض ذات ماء وكلأ . . . ويتابع قصة الكبشين مع أبناء آوى ، فقال الكبش أن من ينقاد بلا تبصر في الأمور ، وأصبح سلساً ينعق مع كل ناعق ، أصابه ما أصاب الضب من الجرذ : فقد زعموا أن جرذاً وجد بحجرة أفعى تتربص لابتلاعه ، فتبصر بأمره قبل الوقيعة . . وبعد أن ينتهي من قصة الضب والجرذ يعود ليكمل قصة الكبشين . . . الى آخرها وانتهت القصة بهلاك الكبشين : (ثم قيد إلى الغار الذي قضي على أخيه فيه وهنالك ألحق بمن سلف وهكذا يلقى كل من استسلم لخادع وانقاد لماكر) .

فقالت فيوليت ، لا سلم إلاّ بعد حرب ، ولا سرور إلا بعد حزن ، ولا وصال الا بعد جفاء ثم دعته الى المجيء في اليوم التالي ، وفي الموعد المحدد ، جاء ورأى لمة من الفتيات ، وبعد أن قدمت فيوليت مقدمة دينية : (الحمد لله الذي طوق الأعناق بمنته ، وحصن الفروج بسنته . . .) وتابعت أما بعد : فاني دعوتكن يا معشر الكريمات لأمر في الحقيقة هو ذو بال : الا وأن الرجال قد استضعفوا القويات واستخونوا الأمينات وابتُزت حقوقهن . . .فاذا أمست واحدة مع احدى نظائرها قام يسيء اليها الظنون ولربما اذاقها المنون أو كالمت أحداً بحاجة قال قد خفرت الذمة ، وخانت الأمانة . . . ولم يعلموا أنها هي المدرسة الوحيدة التي يأخذ عنها الطفل أيام صغره جلّ علومه البيتية ، وغالب محسناته الأخلاقية . . . فما لكن سكوت عن حقكن ، قاعدات عما يراد بكن ، ثم سكتت . وقام صبي وقال : مهلاً مهلاً ، لقد أطلت القول ، وخرجت عن الحد ، وشردت عن الجادة المستقيمة ، انما أنت ريحانة لا قهرمانة ، ما للنساء ولمواقف الرجال ، فالمرأة مهما تمادت ، فليس لها إلاّ أن تقوم بمهام البيت وأدواته ، والزوج ومستلذاته ، والأولاد وتغذيتها ، والعائلة وتربيتها وهي في كل حذرها ، وعلى الرجل أن يقوم بتقديم الأدوات ، والأسباب والحاجيات . . . وما المرأة إلا لعبة على فراش ، لا صورة على قماش ، تبذل في

الأسواق والشوارع ، وتعرض في الاحتفالات والمجامع ، فقد كفاكن طموحاً وكفى الحق وضوحاً .

فبينما هما في احتدام الجدال ، واذا بشيخ قد اقبل ، وقلبه في دربه وطرفه في قلبه ، يمشي وقاراً ، ويتأوه استنكاراً ، فنادى بأعلى صوته اليّ أيها المتخاصمان . فليقل كل منكم ما عنده ، وليناصب الخصم جهده ، وعليّ ابانة الحكم الفصل الذي يشهد به العقل والنقل . فقدما اليه وقصا عليه القصة .

لا يعرف الياقوت الا امرؤ يبتاعه بالنفيس من سوقه
وسائق الصعبة أن هاجها علمها الاجفال من سوقه
ومبتغي الغادة في خدرها ان ساسها فلّ عرى شوقه

فاليك أيتها الآنسة أشير ، وبك أبدأ ، وإياك أدعو ، فاسمعي العظة ، وخذي من القول بأحسنه : انما المرأة بالحقيقة ، هي العامل القوي في تربية الناشئة ، والقائمة بمهام حياتها ، فمن حملٍ إلى وضعٍ ، الى تغذية ، الى تربية ، ولا ينبغي لها أن تكون جوالة لأن ذلك يدعو لشغلها عن أمور عائلتها . كما وانه لا ينبغي أن تقعد حبيسة البيت مدة حياتها ، لأن ذلك من المضار الصحية ، لما في الخروج من أخذ الأهوية النقية ، وقذف الأهوية الرديَّة ، واذا خرجت فطويلة الثياب ، خافية الجلباب ، قصيرة النظر ، لا بالمتبرجة المعروضة ولا بالسافِرة المكشوفة ، بَقْيَاً على حيائها ، وسلافة لابائها ، وحفظاً لمقامها وأبعد عن اتهامها .

وأما أمر تعليمهن ، فأمر مطلوب ، وللنفوس محبوب . وحسب المرأة أن تكون محيطة بما تعود لحفظ كيان بيتها ، مطيعة لزوجها ، غير دوَّارة ولا زوارة ، فكم لذلك من عواقب تشين الحرة ، وترخص ثمن الدرة .

(أضواء على الرواية)

من استعراض هذه الرواية ، التي يطغى عليها الجو الحكمي الديني . والتي بلغت سبعاً وأربعين صفحة ، وصيغت بأسلوب شعري في الغالب ، فالشيخ كان شاعراً أكثر منه ناثراً ـ نلاحظ ما يلي :

أ ـ من حيث المكان : ان الرواية تدور حوادثها كلها في مكان معروف ، وهو البيت والبستان ، ففي البيت التقى العجوز ، وفي البستان شاهد الفتاة ووصيفتها ، وانتهت أحداث هذه الرواية في البستان ، حيث جاء شيخ وأصدر حكمه النهائي

بقضية المرأة والرجل .

ب ـ من حيث الزمان ، الرواية دارت في زمن محدد ، وهو ساعة لقاء العجوز إلى ساعة اصدار الحكم وهذا الزمن ظلّ يحكم أفعال الأشخاص ـ أبطال الرواية .

ج ـ من حيث أبطال الرواية ـ في هذه الرواية أبطال قامت بينهم علاقات تضاد ، البطل الأول الذي دارت على لسانه الرواية ، ومي ونهاد من جهة وهو نفور سلبي ، وعلاقته بفيوليت وهو وان كان نفوراً سلبياً ففي سبيل الإيجاب .

ـ علاقات انتهازية نفعية وهي علاقة العجوز .

علاقات على الحياد وهي علاقة الشيخ الحاكم بين الفتيات والصبي .

إن أبطال هذه الرواية ـ مي وفيوليت ، ونهاد ، والعجوز ، وراوي الرواية والشيخ والوصيفة التي تزيت بزي شاب ـ كلها تتفاعل مع بعضها ـ بعضاً مع اختلاف الأغراض وتباين الأهداف ؛ فالراوي همه النيل من فيوليت ، وفيوليت همها برهان قيمة المرأة وحقها ، والعجوز همها اقناعه بميّ لتظفر بالمال . والشيخ الحاكم همه التعادل في المجتمع . . والصبي همه إبراز حقوق الرجل على المرأة وتفضيله عليها .

والغرض الذي أراد أن يصل اليه إنه إتَّهمَ المرأة ليبرئها مما ينسب اليها من تهم باطلة غير مدقَقٍ فيها. ليقول لنا إن المرأة هي المدرسة ، يحق لها التعلم ، والخروج من منزلها بأمر زوجها، وبثياب طويلة ، ويثبت ما لها من حقوق ، وما عليها من واجبات ، كل ذلك بأسلوب استطرادي تمثل فيه بأسلوب ابن المقفع وأخذ عنه وأقرن كلامه بالحكمة والشعر الحكمي ، الذي أنهى فيه كل فقرة من فقرات روايته المتسلسلة بأسلوب شيّق جميل ، وكذلك الشعر الغزلي الرقيق ، والإباحي أحياناً ، مما يدل على نظرة الشيخ للحياة نظرة انفتاح ، وان دلت هذه الاباحية على شيء فانما تدل على تفهم الشيخ للجنس واستيعابه لمتطلبات النفس البشرية ودوافعها ، واذا توجهنا بالسؤال : لماذا اهتم الشيخ بقضية المرأة دون سواها ، وخصها بهذه الرواية الوحيدة التي عثرت عليها ، فلأنه رأى من خلال معايشته اليومية لمشاكل الناس ، وهو العالم الديني الذي عليه تطرح مشكلة الطلاق ، ان هذا المجتمع يزداد تفسخاً من جراء المشاكل التي تحصل بين الرجل والمرأة على الحقوق والواجبات والشك واليقين والطلاق لأتفهِ الأسباب ، فاراد أن يضع حداً لكل هذه الأشياء بأن وضع

التفاتة إلى الرجل والمرأة للتطلع الى الدستور الأول الذي حدد الحقوق والواجبات وهو القرآن ، الذي استمد منه الشيخ الأسلوب والمفهوم ، ونهى بالأخير عن إتِّهام المرأة قبل التحقق من تصرفاتها ، ودعا إلى احترامها واحترام حقوقهاالأنها بشر ، تتفاعل معه بلحمها ، ودمها ، وروحها - ومجمل موقفه فهو موقف سلفي تقليدي محافظ ، سنأتي على ذكره بشكل أوفى في موقفه من المرأة . . .

البَابُ الثّاني

علي مهدي شمس الدين الشاعر

الإتجاهات الشعرية في أدبه

الفصل الأول

الفنون التقليديّة

١ ـ المديح
٢ ـ الهجاء
٣ ـ الرثاء
٤ ـ الوصف
٥ ـ الغزل
٦ ـ الشعر الديني
٧ ـ الوجداني
٨ ـ الحكمي
٩ ـ التأمل والفلسفة
١٠ ـ الفخر والحماس
١١ ـ الوطني
١٢ ـ القومي
١٣ ـ الفقر
١٤ ـ الحنين
١٥ ـ المرأة

الاتجاهات الشعرية في أدبه

إن الشعر العاملي ، احتفظ بمكانته العالية ، حيث ظل الناس يتداولونه ، ويتسامرون به ، ويتبادلونه بالمناسبات المختلفة ، والشعر العاملي بدلاً من أن يسكت في ظل الظروف السياسية والاجتماعية التي ذكرت ، انتفض وخرج من جموده القسري عبر الحقبة العثمانية .

والشعر العاملي الذي تحمل الضربة من دون أن يسقط ، بل على العكس عمل على التجديد رويداً رويداً ، بعد أن خلق الأجواء المناسبة من بيئات ثقافية وتعليمية ، وتآلف أبنائه بالجمعيات التي شكلوها واجتماعهم في المكتبات حيث موائد العلم ، ونهضوا من دون ادّخار أية وسيلة للوصول والارتقاء .

إذاً ؛ وصل الشعر العاملي ، إلى بداية القرن العشرين مستوفياً الشروط الفنية ، محافظاً على عمود الشعر القديم ، وعلى الالفاظ التي كانت متداولة في العصور السابقة ، ومن ثم نهض هذا الشعر وسار جنباً إلى جنب مع زعماء الاصلاح في تلك المرحلة ، أولئك الزعماء أمثال السيد جمال الدين الأفغاني ، والشيخ محمد عبده ، وخير الدين التونسي ، وعبد الله النديم ، وعبد الرحمن الكواكبي ، وكل مصلح من هؤلاء ينظر إلى المرض من زاويته ، ويدعو إلى مداواته على حسب خطته ، وكان كل واحد منهم قد ابلى بلاءً حسناً ولاقى من العناء ما لا يتحمله إلا أولو العزم ، فمنهم من شرِّد ، ومنهم من قُتل ، ومنهم من رُمي بالخيانة العظمى[1] وسار في ركابهم زعماء الاصلاح في جبل عامل أمثال : « الشيخ سليمان ظاهر ، ومحمد جابر آل صفا ، والشيخ أحمد رضا ، ومحمد علي الحوماني وعلي مهدي شمس الدين وغيرهم الكثير . ومن هؤلاء المصلحين العامليين الشاعر ، ومنهم الكاتب ، ومنهم المؤرخ ، وقد جمع أكثرهم بين الشعر والنثر والتاريخ ، وفي معرض حديثنا عن الشعر ، لا بد من التحدث عن الشعراء ومواهبهم ، وعلى هذا

---

(١) أمين ، أحمد . زعماء الإصلاح في العصر الحديث . بيروت ، دار الكتاب العربي ص ٩٠ .

يحدد أحمد البربير[1] مواصفات الشاعر ودرجته الثقافية فيقول :

إن الانسان لا يستحق الوصف بالشاعر ، الموجب له العز والشرف الاّ اذا احتوى من كل علم من العلوم فشرب كأساً من كل دن[2] وعن تعريف الشاعر قال شوقي ضيف : فكلمة شاعر عند اليونان القدماء معناها صانع ، لذلك كنا نراهم يقرنون في أبحاثهم الشعر إلى الصناعات والفنون الجميلة ، من نحت وتصوير ورقص وموسيقى ؛ وكلمة شاعر عندنا في اللغة العربية ، تقترب من معناها في اليونانية ، فالشاعر معناها العالم ، والشعر معناه العلم ، والعلم كما هو معروف يدخل في باب الصناعات[3] .

وشعراؤنا العامليون صانعون مهرة ، نظموا في مختلف فنون الشعر ، واستحقوا وصف الصانع والشاعر ، لأنهم بارزوا غيرهم من الشعراء العرب كل فنون الشعر المعروفة . ومن ثم طرقوا كافة الفنون الشعرية : من تقليدية وغير تقليدية حسب متطلبات بيئتهم . وعلى هذا يمكننا تقسيم الشعر العاملي عامة ، والشعر عند علي شمس الدين ، الى نوعين : الفنون التقليدية ، مثل المديح ، والرثاء ، والهجاء ، والغزل ، والفخر ، والحماسة والشعر الديني ، والاخوانيات ، والعتاب ، والحنين ، والتأمل ، والفلسفة وغيرها . وثانياً ، الفنون الشعرية غير التقليدية ، مثل التأريخ الشعري وشعر الفكاهة ، وتقريظ الكتب ، والطفولة وغيرها من الفنون التي يجب دراستها منفردة ، أي كل فن من فنونها على حدة ، لتشكل هذه الفنون كل صورةواضحة عن الحالة الاجتماعية ، والسياسية ، لأبناء جبل عامل ، وهذه كلها تشكل الأغراض الاجتماعية في الشعر العاملي ؛ وسنبدأ أولاً بعرض الفنون التقليدية .

---

(١) أحمد البربير ، المعروف بالدمياطي لولادته في دمياط (١١٦٠ هـ / ١٧٤٧ م) . حيث أبوه يتجر ثم جاء إلى موطنه الأصلي بيروت واستقر أخيراً في دمشق حيث توفي سنة ١٢٣٠ هـ / ١٨١٤ م) .

(٢) أمين ، بكري شيخ . مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني . ص ٨١ ـ ٨٢ .

(٣) ضيف ، شوقي ، الفن ومذاهبه في الشعر العربي . مصر . دار المعارف ص ٦٠ ج ١٣/١ .

١ ـ المديح

المديح أنموذج قديم في الشعر ، منذ أن قامت المجتمعات ونبغ الشعراء ، والمتعارف عليه ، أن يكون في بلاط الملوك شاعر مداح ، أو عدة شعراء يمدحون الملك في كل حركة من حركاته ، عندما يعود من حرب أو يعقد صلحاً ، أو يرزق طفلاً ، ويمدحونه في كل شاردة وواردة ، كأنهم ما خلقوا إلا ليبجلوا هذا الملك أو ذاك الأمير .

ويبقى السؤال مطروحاً : هل يمدح الشعراء وجدانياً ، أم تزلفاً وتكسباً وطمعاً بمال أو إمارة ، أو لقب ؟ والواضح عبر تسلسل التاريخ ان الشعراء قسمان : المداحون حسب مقتضى الواقع ، والمرتزقة .

وبما أن المدح أنموذج قديم، فقد تنوع التعريف به وبأغراضه ، كما يورد أحمد الاسكندراني ، ومصطفى عناني[١] وابن رشيق القيرواني [٢] وقدامة ابن جعفر[٣] وغيرهم .

وفي مطلع القرن العشرين ، اتبع شعراء جبل عامل ، الخلافات السياسية بين الزعماء ، وانقسم الشعراء كل الى فريق ، وان شاعرنا قد انخرط في هذه النزاعات السياسية ، التي تعيد إلى أذهاننا ، صورة البلاطات الأموية والعباسية ، فكان هناك فريقان مختلفان من عائلة واحدة ، هي عائلة آل الأسعد ، يمثل الفريق الأول ، خليل الأسعد ، الذي أكمل مسيرته ولده كامل من جهة ، وشبيب الأسعد

---

(١) انظر الاسكندراني ، أحمد . وعناني ، مصطفى . الوسيط في الأدب العربي وتاريخه . القاهرة ، ١٣٤٨ هـ ـ ١٩٣١ م مطبعة المعارف ط٨ ص ٤٨ ـ ٤٩ .

(٢) أنظر القيرواني ، ابن رشيق . العمدة في محاسن الشعر وآدابه . تحقيق محمد محمد عبد الحميد . القاهرة ١٩٣٤ م ـ ١٣٥٣ هـ ، مطبعة حجازي ، الطبعة الأولى ، الجزء الأول ص ١٠٠ ـ ١٠١ .

(٣) انظر ابن جعفر ، قدامة . نقد الشعر . ضبطه وشرحه ، محمد عيسى منون ـ القاهرة ، المطبعة المليجية ، ١٣٥٢ ـ ١٩٣٤ م ط ١ : ١ /٣٨ ـ ٣٩ .

من جهة ثانية ، فمع الفريق الأول كان الشيخ علي مهدي شمس الدين ، ربما اتخذ هذا الموقف للتكسب ، ومع الفريق الثاني ، الشيخ محمد حسين شمس الدين ، ابن عم الأول ، وأصبح الشاعران كل يمدح فريقه ، ويهجو الفريق الآخر ، وفي سنة (١٩١٧ م) توفي المرحوم شبيب الأسعد ، فخفّت حدة الصراع ، وفي العقد الرابع من القرن الحالي ، تتواصل سلسلة العائلة ، ويصل أحمد الأسعد إلى تزعم أسرة الأسعد ، وتقوم بالمقابل عائلات في جبل عامل ، منها آل الخليل ، وعسيران ، والزين وغيرها ، فما كان من صديق الأمس ، الا أن انقلب من آل الأسعد إلى آل عسيران ، وأخذ يمدح الرئيس عادل عسيران ، ويهجو الرئيس أحمد الأسعد[1] صراحة ـ وكذلك له مدائح غير سياسية تختص بمدح العلماء والأصدقاء ويمكننا أن نقسم المدح عنده الى أبواب ثلاثة : ١ ـ باب مدح الزعماء السياسيين . ٢ ـ مدح العلماء الدينيين . ٣ ـ مدح الأصدقاء .

١ ـ مدح الزعماء السياسيين . (مدح الرئيس عادل عسيران[2])

من المعروف أن الشاعر كان على علاقة طيبة بآل الأسعد ، وعندما تسلم أحمد الأسعد ، وقع بينه وبين علي شمس الدين خلاف ، جعله يذهب إلى دار آل عسيران ، وهناك لاقى من الرئيس عسيران معاملة طيبة ، جعلته يمدحه بصدق في أكثر من مناسبة .

وها هو يقول أكثر من قصيدة ، بمناسبة فوز الرئيس عسيران برئاسة المجلس النيابي في ١٣ آب ١٩٥٣ م :

أسفر الصبح فابتهج يا ساري ... فلنا اليوم لاح وجه النهار
ونهضنا من بعد طول خمول ... ورقاد غطى على الأبصار
رقدة طالما أذلَّت عزيزاً ... من ظلوم مغامر جبار

الى أن يقول :

ألف مرحى وألف مرحى لعهدٍ ... أنزل الظالمين دار البوار
وسما بالأماثل الصيد للأوج ... برغم الأعمام والأصهار

---

(١) أحمد الأسعد (١٩٦٢ م) تولى رئاسة المجلس النيابي بين تشرين الأول ١٩٤٣ وحزيران ١٩٥١ ، (تاريخ الانتخابات في لبنان) . جورج سعادة . الطبعة الأولى . بيروت ١٩٦٢ .

(٢) عادل عسيران (معاصر) تولى رئاسة المجلس النيابي بين آب ١٩٥٣ وتشرين الأول عام ١٩٥٩ .

ويمدح الرئيس كميل شمعون[1] والرئيس عسيران بقوله :

قطر لبنان بالأكارم منه أصبح اليوم سيد الأقطار
بالرئيسين عادل وكميل زاد عزاً فغردي يا قماري
يا زعيم البلاد ها هي ترجو ك وأنت السبّاق في المضمار
فهي عطشى والموت منها قريب ولديها نهر من الماء جاري
عاش لبنان والزعيمان عاشا ما شدا العندليب في الأسحار[2]

ويمدح الرئيس عسيران في قصيدة ثانية فيقول :

سليل المجد حسبك من خصال عدالة حاكمٍ هادٍ مطاع
ونفس حرّةٍ ومضاء عزم وطهر في السريرة والطباع[3]

ويمدحه في قصيدة أخرى من المناسبة نفسها اذ يقول :

بسم الدهر بعد طول عبوسه فأراح الأنام من كابوسه
وسرت خمرة السرور بشعب آن أن ينثني لرفع رؤوسه

الى أن يقول :

نشط الشعب بعد طول رقادٍ كاد يقضي به على ناموسه
فالزمان الماضي وان كان ضيماً نبَّه الشعب في بليغ دروسه[4]

وفي قصيدة أخرى قيلت في عربصاليم[5] أثناء احدى الجولات الانتخابية في قرى الزهراني ، وكانت تضم « عادل عسيران ويوسف الزين »[6] .

حليفك النجح أنى سرت يا بطل وفي مساعيك يحيي في الورى الأمل

(١) الرئيس كميل شمعون (معاصر) كان يومذاك رئيساً للجمهورية اللبنانية ، تولى رئاسة الجمهورية اللبنانية سنة ١٩٥٢ . والرئيس عسيران رئيساً للمجلس النيابي .
(٢) القصيدة من المخطوطة ١ ص ٢ .
(٣) المخطوطة ١ ص ٢ .
(٤) المخطوطة ١ ص ٣ .
(٥) عربصاليم : بلدة في الجنوب قضاء النبطية .
(٦) يوسف بك الزين ، انتخب أميناً للسر في عمدة المجلس التمثيلي ، وعمدة المجلس النيابي من ١٦ تموز ١٩٢٥ الى ٢٣ أيار ١٩٢٦ ، والى ١٧ ت ١ ١٩٢٧ ، وأصبح من أعضاء المجلس النيابي بعد الإندماج ، من ١٨ ت ١ ١٩٢٧ الى ١٣ أيار ١٩٢٩ ، واستمر في العمل السياسي نائباً عن منطقة النبطية حتى ما بعد الخمسين .

يا عادلاً كاسمه دون الأنام ويا   من زانه علمه المشهور والعمل[1]
يا كعبة القصد إنْ نابت مروعة   ومأمن الخلق أمّا أرجف الوجل
هذي البلاد التي أوسعتها مننا   قد بايعتك فلا خوف ولا وجل

وينتقل إلى هجاء خصومهم لأن في هذا الهجاء مَدْحاً وابانة المحاسن فيكمل قائلاً :

مشت وراءك طوعاً لا بسيطرة   هوجاء يعقبها التأخير والفشل
وبايعتك على علم بانك لا   ند يقاس بعلياه ولا بدلُ
وروعتها أراجيف ولا أبهت   بظالم قد بكت من جوره السبل[2]

مدح كامل الأسعد : [3]

كما ورد في مقدمة فن المديح ، أن علي شمس الدين كان شاعر كامل الأسعد يمدحه من ناحية ، ويهجو شبيب الأسعد ، من ناحية ثانية ، وكامل الأسعد كان يومها زعيماً في جبل عامل(أي عام ١٩٢٠م). وفي العشرينات كان علي شمس الدين قاضياً في مرجعيون كما مر معنا ، وكان الوصي على تنفيذ وصية[4] كامل الأسعد وقد مدحه بأكثر من قصيدة وعندما توفي رثاه بعدة قصائد،مما يدل على أنه كان على درجة مقربة جداً منه ، وهذه قصيدة يمدحه فيها وهي ٤٩ بيتاً بعنوان : لا تسمها خسفاً بمرٍّ جفائك .

أدنني منك علني أبلغ الغا   ية أو أستمد من نعمائك
واكشف الستر عن جميل محيـ   ـاك لعليّ أهدى بباهي سنائك
وانلني الرضى ففيه حياتي   فحياتي وقف على ارضائك
واسقني خمرة الهيام لعلي   أتداوى من دائه بدوائك
يا مليكاً على القلوب تجلى   لا تسمها خسفاً بمرٍّ جفائك

إلى أن يقول :

---

(١) في البيت كلمتان : (عادلاً) - (وزانه) اشارة إلى عادل والزين - وقد كتبها الشيخ يا عادلاً كسمه والصواب كاسمه .

(٢) المخطوطة « ١ » ص ٤ .

(٣) كامل الأسعد (ت ١٩٢٤) هو من أسرة آل علي الصغير ، تولى الزعامة في جبل عامل حتى وفاته .

(٤) أكد هذا القول حسن شمس الدين ابن الشاعر .

قيدتنـي قيود حبك حتى صرت رغـم الابـاء من اسرائك
أنـا عبـد لحـر وجهـك فارفـق فلعلي أكـون من عتقائـك[1]

ويبدأ بمطلع جديد فيقول :

يا بديع الصفـات هب لي عطفا منـك يحيي دوارس الآمـال

وكذلك تتبدل مرة أخرى :

ما رأيت الصبـاح قد لاح الا خلتـه عن سنـا محيّاك أشرق
أو سـرى المديح يحمـل المسـك الا خلتــه عن شذى أريجـك عبق[2]

لقد نهج الشاعر في هذه القصيدة الطويلة البالغة ٤٩ بيتاً ، نهـج الشعـراء العرب الذين كانوا يعتمدون المديح ، في قصائـد لا تخصص للمـديح ، فكانـت للقصائد مقدمات غزلية ينتهي بعدها إلى المدح ـ وأحياناً إلى الرثاء كما هو في هذه القصيدة .

٢ ـ مدح العلماء الدينيين :

علي شمس الدين عالم ديني ، تخرج على علماء دينيين وأكثر الشعراء الذين عرفهم علماء ومشايخ وكان شخصياً مع أول المرحبين بعودة السيد عبد الحسين شرف الدين[3] من إعتقاله وسجنه في مصر وفلسطين ومدحه بقصيدة تعكس فرحته بالعودة بعنوان « فرحة اللقاء» وفيها يقول :

أرى الـكون برد السرور التحف وداعــي التهانــي به قد هتـف

---

(١) القصيدة موجودة في الوطنية والحياة ٣٤ ـ ٣٥ ـ ٣٦ .
ملاحظة : يجدر الملاحظة أن القصائد التي قيلت ما بعد ١٩٥٠ كانت تلقى بالنيابة وان كان موجوداً لأنه أصبح كفيفاً .
(٢) الوطنية والحياة ٣٤ ـ ٣٥ ـ ٣٦ .
(٣) السيد عبد الحسين شرف الدين : (ولد السيد عبد الحسين شرف الدين بالكاظمية في العراق سنة ١٢٩٠ هـ / ١٨٧٣ م. تلقى علومه في النجف على أيدي أساتذته كالطبطبائي ، والخراساني ، وفتح الله الأصفهاني . عاد في الثانية والثلاثين من عمره الى جبل عامل . أحرقت مكتبته وداره ، زار الأراضي المقدسة (الحاج عام ١٩٢١) وزار العراق في الزيارة وايران كذلك ١٩٣٦ ، وهو منشيء (الـجعفرية) في صور توفي عام ١٩٥٧ له عدة مؤلفات منها : المراجعات ـ الفصول المهمة في تأليف الأمة وغيره من الكتب الفهقية ، له مواقف مشرفة في جبل عامل والعالم العربي اذ سجن في مصر وفلسطين ، وهو أحد أعضاء مؤتمر الحجير الشهير . ترجمته عن كتاب المراجعات الطبعة الرابعة ، دار الفكر . بيروت ١٩٥٨

وبـاتـت ترجـع ألحانهـا طيـور المسرات فـوق الغرف
تـزف التهـانـي بأنواعهـا بلاد الشـام لأرض النجـف
وأكبـر نعمـى يراهـا البصيـر رجـوع الحياة عقيـب التلف

إلى أن يشبهه « بموسى » و « المصطفى » :

فمـوسى لقـد فرّ وهـو النبـــي أخـو العـزم خيفـة أن يختطف
وخـير الـورى المصطفـى ذو البرا ق جعـل الغـار منهـم كنف[1]
وعبد الحسين ابن بنـت النبي لـه فـي البرية نِعْمَ الخَلَفْ

وأما ما تبقى من مدح السادة : محسن وعلي ومحمد محمود الأمين، فمن أراد الإطلاع فليعد إلى الصفحات ١٦٩حتى١٨١. / من الجزء ٤٢ من أعيان الشيعة.

مدح السيد محمد حسن فضل الله الحسني[2] .

عندما عاد السيد محمد حسن فضل الله من العراق استقبله الشاعر بقصيدة تؤكد على فضل طلب العلم والجدير بالذكر ان العلامة هو ابن أخت الشاعر . فقال فيه :

ما العــز بالمال مذخـوراً وبالولد فالمال منتقـل حتماً يداً ليـد
والولـد صنفـان هذا قاعـد وكلٌ وذاك ان يستفـد من دهـره يفد

إلى أن يقول :

تحيا النفـوس لشـخصٍ ممطـر حكماً والعشـب يحييه بعـد اليبس كل ندي
كما محمـد أحيانـا بعودتـه ومـا محمـد إلا ساعـدي ويـدي
قرت به أعـين العليا وفـاز بـه قطـر الشـام وفيه ازدان كل ندي
يبدو بأفـق العلى والفضـل طالعه وطلعـة الشمس لا تخفـى على أحد

إلى أن يختتم قائلاً :

تيار علـم به سفـن النجـاة سرت فقصرّ المدح أمـا شئـت أو فزد
عن جده ورث العليا ولا عجـب ان سار في نجـدة فضـلا ولـم يجد[3]

---

(١) العرفان ٦/ ٥٧٠ القصيدة ٣٣ بيتاً .

(٢) السيد محمد حسن فضل الله (مرت ترجمته في فصل : لقاؤه مع الشعراء) .

(٣) القصيدة عن المخطوطة (٣) وجدت دون عنوان وهي ٣٣ بيتاً تركز على العلم دلالة لما يحويه العلامة من ثقافة وفضائل .

مدح الشيخ محمد علي شمس الدين[1]

وعندما عاد الشيخ محمد علي شمس الدين من العراق بعد عشرين سنة قال مرحباً ومادحاً :

وما كل من قاد الجحافل أروع ... ولا كل شخص زاول العلم عاقل
وما كل من أدلى الى البئر دلوه ... بساقٍ ولا من صفّح الكتب فاضل
عرفناك في طيب الشذى قبل ان ... نرى المحيا ودلتنا عليك الدلائل
فقم وتسنم ذروة الفضل انها ... تراث كرام خلفته الأوائل

وكذلك مدح الشيخ علي الشرقي بقصيدة ذكرتها في لقائه مع الشعراء .

مدح السيد صدر الدين شرف الدين[2]

ويُعتقل السيد صدر الدين شرف الدين من قبل أحد زعماء جبل عامل ، وعندما وصل ، أقبل الزعيم يريد تقبيل يَدَي السيد شرف الدين متظاهراً بعدم معرفته بالأمر فيقول السيد كلمته المشهورة : لقد سبينا مرتين، مرة علي يد « يزيد »[3] ومرة على « أياديكم » وهنا يستغل الشاعر الحادثة ليمدح السيد قائلاً :

يا أبا الأشبال يا خير امرىء ... هاشمي ولدته هاشمية
جدك المبعوث بالحزم والا ... يمان قد ثل عروش الوثنية
أنت بالافرنسي لم تحفل ولم ... تختش التشريد منه والمنية
فأبو القاسم مع أشباله ... هزَّ أركان العروش الكسروية
حارب الجور طويلاً فحياة الـ ... ـجوْر كانت عنده أدهى رزية

وختاماً نرى أن صورة البلاطات التي كانت تعج بالشعراء لا زالت قائمة حتى مطلع القرن العشرين، وهذا يدلنا أيضاً على أن الشعر العاملي، شعر تقليدي من

---

(١) الشيخ محمد علي شمس الدين : (معاصر) من بلدة عربصاليم ، سافر الى النجف للعلم والفقه ، عاد منها الى لبنان وهو اليوم مقيم في عربصاليم .

(٢) السيد صدر الدين شرف الدين ، هو ابن السيد عبد الحسين شرف الدين ، أصدر مجلة الألواح عام ١٩٥٠ ، وهي مجلة أدبية شهرية كانت تعنى بشؤ ون الفكر الاّ أنها توقفت عن الظهور بعد مدة قصيرة وأصدر بدلاً عنها مجلة النهج . له أكثر من عشرة مؤلفات ، وصاحب جريدة « الساعة »العراقية .

ـ داغر ، يوسف أسعد . الأصول العربية للدراسات اللبنانية . بيروت ، المكتبة الشرقية ١٩٧٢ ص ٢٩٥ رقم ٢٤٠٤ .

(٣) يزيد هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، الخليفة الأموي .

حيث العادات والتقاليد ، رغم المسافة التي تفصل بين العصرين ، وأما مدحه للزعماء فيعود لأمرين ، أولهما تكسبي وثانيهما وجداني ، وهذه تعود للحالة الشخصية لدى الشاعر ، ومن ناحية مدحه للزعماء الدينيين ، فذلك عائد لأن هذه الفئة ذات طابع ديني محض ، حملت على عاتقها العمل في التراث الأدبي وحفظه ، وكذلك مدح العلماء ، لأنهم كانوا الشرارات العلمية ، التي لم تدخل في أجواء السياسة ومتاهاتها ، بل كل همِّها اسعاد البشرية وترفيهها ، وأمّا مدحه لحسن كامل الصباح وتركيزه على اكتشافه لبعض خواص الكهرباء ، فلأنه وجد في الكهرباء اكتشافاً جيداً مفيداً للبشرية ، ولذلك نرى أن موقفه من الزعماء ، كلاسيكي تقليدي ومن المشايخ والعلماء موقف وجداني غير تكسبي .

٢ ـ الهجـاء

الهجاء قديم قدم المديح ، وهو ضده ، وكلما كثرت أضداد المديح في الشعر كان أهجى له[١] والهجاء هو تعديد مثالب المرء وقبيله ، ونفي المكارم والمحاسن عنه ، وكانت العرب في بدء أمرها لا تفحشُ في هجوها ، وتكتفي بالتهكم بالمهجو ، والتشكل في حقيقة حاله ، ثم أقذع فيه بعض الاقذاع المحترفون بالشعر وحاكاهم السفهاء في ذلك[٢] .

وقد عرف العلماء أن الشعر كله نوعان : مدح وهجاء ، فالى المدح يرجع الرثاء والإفتخار والتشبيب وما تعلق بذلك فمن محمود الوصف : كصفات الطلول والآثار والتشبيهات ، وكذلك تحسين الأخلاق ، كالأمثال والحكم والمواعظ ، والزهد في الدنيا والقناعة . والهجاء ضد ذلك كله ، ومنهم من قال قواعد الشعر أربع : الرغبة والرهبة والطرب والغضب فمع الغضب يكون الهجاء والتوعد والعتاب الموجع[٣] .

في القرن العشرين أصبح الهجاء في الغالب سياسياً وهذا النوع من الهجاء وان حاكى الهجاء القديم ، من حيث انقسام الشعراء إلى الحكام ، لكل حاكم شاعر يمدحه ويهجو خصمه ، إلاّ أنه في جبل عامل ، نشأت مدرسة شعرية جديدة في الشعر ، لهذه المدرسة أهداف سامية من وراء الهجاء ، وهذا الهدف السامي هو

(١) ابن جعفر ، قدامة . نقد الشعر ١ /٥٥ .
(٢) الأسكندري ، أحمد . وعناني ، مصطفى . الوسيط في الأدب العربي وتاريخه ١/ ٤٨ .
(٣) القيرواني ، ابن رشيق . العمدة ١/ ١٠٠ ـ ١٠١ .

التقويم الإجتماعي تقويم الطغيان الواقع على فئة معينة من الناس ، أصبح الهجاء دفاعاً عن مصالح الوطن وكيف يمكن تنصيل ذلك ، فالدفاع عن مصالح الناس ضد المستعمرين ، وابراز مساوئهم من ناحية ، وضد المتحكمين من الزعماء المحليين ، ومن يتبعهم من ناحية ثانية .

هذا دفاعاً عن مصلحة المواطن ، وأما الدفاع عن مصلحة الوطن بشكل عام كقضية بيع أراضي الدولة للعدو ، واختلاس الأموال عن طريق التلزيمات ، والتنفيعات ، ومن رواد هذه المدرسة في الشعر ، الشعراء الأفذاذ في جبل عامل ، منهم على سبيل المثال لا الحصر ، محمد علي الحوماني ، موسى الزين شراره ، وعبد الحسين صادق ، وعبد الحسين عبد الله ، وعلي مهدي شمس الدين ، ومحمد حسين شمس الدين ، والثلاثي العاملي ، « سليمان ظاهر ، وأحمد رضا ، ومحمد جابر » ، وغيرهم من الشعراء . وهدف هذه المدرسة ، ليس نهش أعراض الناس أو استدرار أموالهم ، بل أصبح ثورة جامحة ، مزمجرة ، مهددة تدعو إلى الثورة والتغيير ، الذي يبنى على أساس هدم الماضي لإعادة البناء من جديد . . . فالهجاء إذاً؛أصبح قومياً ، وطنياً ، واجتماعياً . لا يخافه إلا العابثون بمصالح الناس ، وأمنهم ومستقبلهم[1] ، ومن ناحية الزعماء وشعرائهم فالخلافات بينهم ظلت قائمة ، والغريب حقاً أن الخلافات كانت تنشب في أغلب الأحيان بين العائلة الواحدة كما جرى بين الشاعر شبيب باشا الأسعد الذي كان له شعراء يذودون عنه ، وبين ابني عمه خليل الأسعد ، وابنه كامل من بعده ، وهذه الفئة كان لها شعراء يذودون عنها ، والشاعر علي شمس الدين كان معهم ، بينما كان الشاعر محمد حسين شمس الدين مع شبيب الأسعد ، وعندما هجا الشيخ علي ، شبيب الأسعد بقوله :

مررت بتبنين فدمرت أهلها ... الا تربت كف الزعيم المدمر
وعن عيترون ان تسلني- فانها ... أصبحت بمساعيكم مقر المعسكر[2]

فما كان من الشيخ محمد حسين شمس الدين ، الا أن ردّ على ابن عمه بقوله :

اذا ما التقى الليثان في ساحة الوغى ... وكلٌ على كلٍ جريء مشيعُ

---

(١) مصطفى ، قيصر . الشعر العاملي الحديث ص ٢٢٨ .

(٢) هذه الحادثة موجودة في الشعر العاملي الحديث ص ٢٢٩ و ٢٣٠ ، وذكرها الشيخ محي الدين ابن الشيخ محمد حسين شمس الدين ، وكذلك رواها الشاعر موسى الزين شراره في لقاء مسجل .

فمـن سفـهٍ أن ينبـح الكلـبُ ضيغماً ويـنطح ذا روق

والشاعر شبيب الأسعد بنفسه يهجو أبناء عمه بقوله :

أقـلّ وفـاء منـه في الخلـق لم يكن وأقبـح وداً منـ
تراه نطوقـاً من لسانـينْ كاذباً وتلقاه من فرط

وتمضي الايام سريعة ، وتنتقل زعامة آل الأسعد إلى يد أ
الشيخ علي شمس الدين إلى مدح الرئيس عادل عسـيران ،
ويمدح الثاني ومن هجائـه : ما يذكر النـاس بعهـد جديد ،
عسيران رئيساً للمجلس النيابي فيقول :

ألف مرحـىً وألفُ مرحى لعهـدٍ انـزل الظـا
فلنـا منهـم المواعيـد شربـاً ولهـم في الج
فهـو مثـل «التابلاين» قد بيع وحـكم «التابا
وعلى الهـاتف الـكريـم سـلام اذ شروه لك
ومـن البحـر بيع قسـم يسمى حرة الدهـر
نعمـوا بالنقـود من مال شعب أسكتـوه بحف

في كل هذه التلزيمات ، التي تدر الأموال الطائلـة من
شيخنا يضع الحكم العادل في مكانه قائلاً :

حاسبوهـم من أين جاءهـم المـا ل ولا تركنـ
ان وعـد الـكريم دينٌ عليـه والوفـا من

وفي قصيدة أخرى ، بالمناسبة نفسها ، يبين للناس ما
العاملي من قبل قادته ، فيخاطب عسيران هاجياً خصومه قائ

فان تبـغ النيابـة لا لجاه تكـن أردتهـ
ولـكـن كي تعـزز كل حـر وترفـع كـل

ويتابع قائلاً :

---

(١) أقرع كناية عن أن الشيخ علي كان أقرعاً .
(٢) ديوان شبيب باشا الأسعد ص ٣٠٧ .
(٣) القصيدة في المخطوطة ١ ـ ص ١ ـ ٢ .

فطب نفساً فنصرك كان خزياً لاقطاعية ولكل واع
لبيع ضمائر وشراء ذل بسوق وعود مطلٍ أو خداع[1]

ويذكّر بالأيام السوداء ، التي مرت على أبناء جبل عامل فيقول :

بسم الدهر بعد طول عبوسه فأراح الأنام من كابوسه
إن عهداً مضى لأظلم عهدٍ قد رمانا بهمه ويبوسه

ويرى في الماضي عبرة وعظة ، علّ شعبه يتعظ فيقول :

نشط الشعب بعد طول رقاد كاد يقضي به على ناموسه
فالزمان الماضي وان كان ضيماً نبّه الشعب في بليغ دروسه[2]

وفي قصيدة أخرى يمدح ويهجو كعادته : يمدح الرئيس عادل عسيران ويهجو خصومه[3] .

ومن قصيدة يتساءل عن حال البلاد في ظل الزعامات :

سل عنهم « عاملاً » والحال شاهدة تجبك عن جورهم جاءت مآسينا
كم من دم قد أراقوه وكم بلد ببغيهم روعوا فيها مساكينا[4]
بثوا جلاوزة« الحمدون»[5] واندفعوا للجور عن بطش رب البطش لاهينا

الى أن يقول :

كم من دم طل من بعد بيعهم « أرض المنارة»[6] فاسأل عنه صهيونا
وكم قرى قد أريعت وهي آمنة وفتنة قد أثاروها براكينا
وقل لمن ليس يدري ما ألمَّ بنا من العنا والأسى سل عنه « هونينا »[7]

---

(١) القصيدة في المخطوطة ١ ـ ص ٢ .

(٢) م . ن . ص ٣ .

(٣) انظر فن المديح ـ ص ٩٧ ـ ٩٨ من الكتاب .

(٤) المخطوطة رقم ١/ ٣٦ وهي على وزن قصيدة أضحى التنائي لابن زيدون ويهجو بها خصومه السياسيين .

(٥) جلاوزه الحمدون : هم جماعة من اللصوص ، كانت تقطع الطرق وتسطوا على ممتلكات الناس ، وتخطف الحيوانات وتسرقها .

(٦) المنارة . بلفظمنارة السراج ، مشرفة على الحولة ، من غربيها قرب هونين على رأس جبل عامل ، وهي من اعمال مرجعيون الحقت بعد الاحتلال بفلسطين وهي اليوم عامرة بالسكان ، مركز مهم للمراقبة الاسرائيلية .
ـ الخطط : ص ٢٩٦ .

(٧) هونين : كانت تابعة لجبل عامل الا ان اسرائيل ضمتها مع ١٢ قرية لبنانية اليها ومنها . قدس والمالكية .

ويشارك الشاعر شمس الديـن ، العديـد من شعراء جبل عامل ، أمثال الشعراء : عبد الحسين عبد الله (ولد عام ١٩٠٠ م) ومحمد علي الحوماني (١٨٩٦ م - ١٩٦٤ م)[١] وموسى الزين شراره وغيرهم . . .

وفي سنة ١٩٤٣م، وفي حيفا بفلسطين ، يستنكر الشاعر وراثة الكرسي ، من زعيم الى ابنه ، وهو يشهد على عدم أحقيّة الأولاد بزعامة الآباء فيقول :

قالـوا الزعامـة أرث في الانـام فقل ... أخطأتـم أنهـا بالـجد والـتعب
والإرث ما ترك الماضـون من عرض ... ومـن حطام ومـن ملك ومـن نشب
لو كان ما تدعـون الحـق لانحصرت ... نبـوة الأنبيا في صلـب كل نبي
أو الامـارة بالميراث فاز بها ... رغـم الأنـوف على الـدنيا أبـو لهب[٢]
لأنـه والنبـي المصطفـى وأبـو السـ ... ـبطـين حيدرة الكرّار من نسب

إلى أن يصف حالة البلاد ، وما لحقها من الجور فيقول :

بث الـزعيم بهـا سماً فهيجهـا ... وتلك لولاه لم تجـرأ ولـم تثب

شاعر جريء كل الجرأة ، لا يخاف في الحق لومة لائم ، ثم يرى تأخر البلاد سببها الزعيم لا الأجنبي ، ويعدد المصائب والأسباب :

قوموا اسألـوا كم بهـذا القطـر من بلد ... مروعـة واسألـوا منـه عن السبب
ما ضرّنـا أجنبـي في طماعته ... ولا جنـى وعـد بلفـور على العرب
لولا طماعـة قوم لا خلاق لهم ... بمـا لدى قوم صهيون من النسـب
لما أقامـوا بأرض العـرب وامتهنوا ... كرامـة العـرب بـين الجـد واللعب

ويتساءل بصوت عال :

من باع أثمـن أرض لليهـود ومن ... رمى الورى بالدواهي الدهم عن كثب؟

---

(١) داغر ، يوسف اسعد . مصادر الدراسات الادبية . بيروت ، المكتبة الشرقية ، الجزء الثالث ، القسم الاول صفحة ٣٤٥ .

محمد علي الحوماني : ١٨٩٦ - ١١/٤/١٩٦٤ - اديب لبناني . شاعر ، كاتب خصب ، وصحافي كتب في الادب والسياسة ، والاجتماع ، والتاريخ أصدر ما يزيد على عشرين مؤلفاً منها ثمانية دووابن شعرية ، وله في النثر العديد من الاثار ، ولد في قرية حاروف ، من اعمال جبل عامل ، في لبنان الجنوبي ، درس اوليات العلوم على ابيه واخيه ، وفي مدرسة النبطية الحكومية ، ثم في مدرسة شقراء ، ثم درس مع اخيه المرحوم الشيخ حسين على المرحومين - السيد حسن يوسف والسيد عبد الحسين شرف الدين .

(٢) القصيدة من المخطوطة رقم ٢ ص ٣٤ .

ماذا جنى أهل «ميس»[1] اذ تباع من … اليهود أملاكهم بالزور والكذب
حبائل نصبتها للضعاف يد … وترككم أهلها من أعجب العجب[2]

ومن قصيدة طويلة يهجو بها « حكومة ذاك العهد » أو صيحة جبل في واد يقول :

وأخضع واليد مكتوفة … وسمهم قد سرى في دمي
واخرس والجور ملء البلا … د ولا ماء يمنعني في فمي[3]

من خلال استقراء فن الهجاء عند علي شمس الدين ، يمكن الاستنتاج أنه كان انطباعياً ، يعكس علاقاته ضمن محيطه ، الذي كان يعيش فيه ، ومدى شفافية التأثر السلبي الذي يفرز روحاً مستفزة من بعض من عارضوه ، أشخاصاً وأحوالاً لهم لا تنسجم ونهجه في التعاطي مع رؤيته لموضوعية الحياة ، التي كان يرتئيها أن تكون .

ولئن وخز في بعض الأمور الا أنه لم يقارب الفحش في لذعه ولسعاته بل بقي ضمن اطار ما تسمح به ، هالة الموقع الذي يحتله ، ولم يغادرها في جنبات التحديات التي واجهته .

يمكن القول : إنه بقي ضمن حدود ما اعتبره الحد الأدنى في أخلاقياته ، من دون الإسفاف فيه . . .

٣ ـ الرثاء

الرثاء قديم قدم الموت والإستشهاد ، وهو شعر وجداني صادق في الغالب تتغير عاطفة الشاعر ، اذا كان الفقيد قريباً جداً ، وكلما كان الميت قريباً للشاعر كان صادق اللهجة والعاطفة .

وقد قسّم بعض العلماء أدب الرثاء ثلاثة أقسام ، ندباً وتأبيناً وعزاء ، أما الندب فمحصور في الأهل والأقارب ، والذات والرسول الكريم ، والدول والبلدان والتأبين : فللمواقف الرسمية ، وخص به الخلفاء ، والوزراء ،

(١) ميس : تعرف « ميس الجبل » بفتح الميم ، بلدة كبيرة غربي الحولة ، تتصل ارضها بها ، ذات حارتين ، غربية وشرقية ، فيها جامع نسب لابي ذر الغفاري ، بقربه قبر لاحد العلماء ، عليه تاريخ لا يعرف وفيها جامع آخر على بنيانه اثر القدم والإتقان ١) الامين محسن ، خطط جبل عامل ص ٢٩٨ .

(٢) القصيدة من المخطوطة ٢ ـ صفحة ٣٤ .

(٣) المخطوطة رقم ٢ من الصفحة ٢٦ حتى ٣٠ والعرفان واعيان الشيعة .

والأمراء ، والعلماء ، والبلدان وجعل العزاء بسمو التفكير في حقيقة الموت والحياة وفلسفة الوجود[1] .

أما الرثاء في الشعر العاملي فله مميزات ، ومن تلك المميزات والخصائص ، انه يزخر برثاء « أهل البيت » بل ان رثاء « أهل البيت » كان مدخلاً لأي رثاء آخر ، وهذا ما لا نجده في الشعر العربي عامة ، اذا ما استثنينا شعراء العراق ، ونستطيع أن نقسم الرثاء في الشعر العاملي إلى ثلاثة أقسام ، رثاء أهل البيت ، ورثاء الأهل والأقارب - والرثاء عامة - الأصدقاء ، الأعلام ، الشهداء ، ورثاء الوطن أحياناً ، ورثاء الذات[2]. وان كان الشاعر لا يترك تقسيماً معيناً لترتيب مواضيع شعره ، ومن الملاحظ اليوم كما في الأمس ، أن الرثاء في جبل عامل يتخذ مناسبة الموت ، لينطلق منها إلى كل المناسبات حتى السياسية ، وتعلن مواقف وترفض أخرى ، وجرت العادة أن يرثى الميت في أسبوعه السابع ، وبعد مرور أربعين يوماً ، والمهم في جبل عامل ، هو حفلة التأبين في ذكرى السابع ، اذ يصعد الشعراء إلى المنبر ، ويعددون مناقب الفقيد أمام الجمهور المجتمع في الحفل ، ويرثيه أقرباؤه بقصائد معبرة ، ثم يرثيه رجل الدين بكملة ، ثم كلمة لرفاقه ، وهكذا ربما تتحول الذكرى إلى مهرجان خطابي ، بينما النسوة على قبر الفقيد يندبنه ، ويبكينه ، وعند انتهاء المهرجان ، يتوجه الجميع لقراءة الفاتحة « وهي فاتحة الكتاب » والعامليون يحفظونها عن ظهر قلب ، وعندما يصل الرجال ، يقرأ الجميع الفاتحة ، ويترحمون عليه ، ويصطف آل الفقيد لتقبل التعازي ، ومن ثم يتوزع الحضور على منازل البلدة لتناول الطعام ، ويقام للفقيد ذكرى بمناسبة مرور أربعين يوماً على الوفاة ، وقد يقام للفقيد ذكرى سنوية تتجدد كل عام ، في الوقت الذي مات ، ولنبدأ حسب ترتيب مواضيع قصائده :

رثاء الأهل والأقارب

رثى الشيخ علي شمس الدين ، عمه الشيخ محمد أمين شمس الدين ، بقصيدة بلغت ٣٢ بيتاً يقول فيها :

---

(١) بكري ، أمين . مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني ص ٩٩ .
(٢) ضيف ، شوقي . سلسلة فنون الأدب العربي (الرثاء) ص ٢ - ٥ .
(٢) مصطفى ، قيصر . الشعر العاملي الحديث ص ٢٤٨ .

عـز الشريعـة فـي محمـد ومـديـر دفتهـا المحشـد
من في خطيـر جهـاده ركـن الشريعـة قد توطـد

إلى أن يقول مفاخراً :

فسـل المنـابـر عـن عـلاه اذا جهلـت الأمـر ترشـد
وسـل المسـاجـد عـن عبادته وجلِّ الخلـق هجّـد

إلى أن يقول :

لا غرو أن بكت العيون بدمعهـا القانـي المورد
أو شققت منـا الصـدور وبـات وجـه الصبـح أسود
كنّا بـه في نعمـة فياضـة وعليه نُحْسد
والآن صرنـا والأسى عمـر الزمـان لنـا بمرصد
يا عم يا سيفـي ويا كهفـي ويا حصنـي الممرَّد

ويختتم مودعاً :

فا هـب عليـك صـلاة ربـك ، مـا هـزار الصبـح غرّد[1]

رثاء العامة (الشهداء ، العلماء ، الزعماء ، رثاء النفس)

رثاء الشهداء

ودموع الشاعر رقراقة ، تذرف سخية على الشهداء العرب ، ويسقط الحاج خليل طه ، وهو من وجهاء حيفا ـ صريعاً في إضرابات ١٩٣٦ م ، فيرثيه الشيخ بهذه القصيدة ، مدللاً بذلك على مواقفه القومية الوطنية ، ومنها يقول :

يا ربـوة المستشهـديـن سلامـا يا من عرفـت الحـزم والاقداما
فيك الأشـاوس جدلـت أرواحهم وغـدوا على مـر السنـين نيامـا
يا ربـوة فيك الشـهيـد مخبـط بضريحـه تحـت الثـرى أعوامـا[2]

(١) من المخطوطة رقم ٢ . ص ٣٥ .

(٢) المخطوطة رقم ٢ ـ ص ٥ .

والشاعر وفيٌّ لصديقه الشهيد :

قد هزني شوقي فجئتك سائلاً   وأتيت ولهاناً اليك هياما
قد كنت أشهد في ذراك بواسلاً   واليوم أشهد في ثراك حطاما[1]

رثاء العلماء

حسن كامل الصباح[2] عالم عاملي من مدينة النبطية مات في أمريكا بحادث غامض ، ترك غيابه الطويل عن ربوع الوطن الذي أحبه ، فراغاً هائلاً ، ودموعاً لا تنضب ورثاه أكثر الشعراء العامليين ، بل أقول مدحوه ، وأقيمت له ذكرى بمناسبة نقل رفاته الطاهرة لترقد هانئة في تراب « عامله » ، ومن الشعراء الذين رثوه - الشيخ علي شمس الدين اذ يقول مشيراً لأحد اختراعاته ، التي فاقت الأربعين اختراعاً ، يشير إلى الكهرباء فيقول :

أيهذا المقيم رهن سباته   قم فناج الأثير عن مقمراته
قد سبرت الفضاء سبراً دقيقاً   وكشفت الدفين من غامضاته
ثم أبرزتها على الأرض نوراً   يستنير الظلام من لامعاته
معجزاً كنت في صنيعك حقاً   بهر العالمين في آياته
مرحباً زرت مسقط الرأس لكن   زورةً أغرقته في عبراته
كنت للشرق خير ما يرتجي الشرق فصرت الخطير من نكباته

وشارك شاعرنا في رثاء الصباح ، الشعراء العامليون منهم مثلاً : عبد الحسين عبد الله[3] وموسى الزين شرارة[4] ووديع ديب[5] وغيرهم .

(١) المخطوطة ٢ ص ٥ وقد ألقاها الشاعر بمناسبة مرور ست سنوات على استشهاد الحاج خليل طه من وجهاء فلسطين سقط في اضطرابات ١٩٣٦ . وقد ألقاها في ١٩٤٢ أثناء زيارته لحيفا لحضور الحفل . (بضروحه : تصويبها : بضريحه .

(٢) جاء في الحركة الفكرية والأدبية في جبل عامل للدكتور محمد كاظم مكي ص ١٩٧ ما يلي في ترجمة حسن كامل الصباح : « حسن كامل الصباح ، معجزة لبنان باختراعاته ، اتصل بالغرب طالباً في الجامعة الأميركية في بيروت أولاً ثم في أميركا أخيراً ، فقدم للعلم وافراً من الإختراعات في الكهرباء ، والطاقة والبخار . وقد عرفه الدكتور مكي بما يلي : ولد حسن كامل الصباح في النبطية ، ودرس في مدارس عديدة أولاً ، ثم في الجامعة الأميركية وتخرج منها سنة ١٩١٨ ثم هاجر الى الولايات المتحدة الأميركية ، ومنحته جامعته شهادة استاذ في العلوم وقد بدأ بعدها باختراعات مدهشة منها ما يزيد على الأربعين وتوفي سنة ١٩٣٥/ الشعر العاملي صفحة ٢٨٥ .

(٣) حصاد الأشواك ، ص ١٢٤ .

(٤) العرفان م ٢٧ / ٣٨٤ ج ٥ .

(٥) العرفان م ٥٠ / ٩٤٦ ج ٥ .

رثــاء الزعمــاء

رثاء كامل الأسعد :

مات الزعيم كامل الأسعد سنة (١٣٤٤ هـ / ١٩٢٥ م) الذي كانت تربطه بالشاعر غير رابطة ، فبكاه بأكثر من قصيده ، تعبيراً عن الألم الذي تركه غيابه في نفسه ودلالة على الصدق في التعبير ، لا تقرباً ولا تزلفاً ، ومن هذه القصائد التي نشرها في ديوانه المطبوع « الوطنية والحياة » بعنوان : « دع الأنس والبس شعار الأسف» ، وقد ألقاها يوم أسبوع الفقيد ، وهي من ٢٤ بيتاً يقول فيها في رثاء كامل الأسعد .

دع الأنس وألبس شعار الأسف فإن الأنيس عن الرّبع خفّ
وقل لعيونك لا تبخلي فنفسي اذرفيها اذا الدمع جفّ

ويتابع حاضاً على ذرف الدموع :

لمن يا عيون أدخرت الدمو ع وكيف استطعت عن الدمع كف

ويتابع بعد أن رأى في الفقيد ، أباً لليتيم ومأوى للطريد :

أبعد ابن أسعد يأوى الطر يد ويرجع من مجدنا ما سلف؟[1]

ويتابع هذه القصيدة ، بعد أن يسأل عنه عاصمة الترك ، وبيروت والشام ، وفلسطين لأن كل هذه العواصم تعرفه . وهذه قصيدة أخرى من ٤٨ بيتاً بعنوان :

« وعلى العزيز عدت وأصبح عرشه »[2]

كم ذا تروح على الهموم وتغتدي أفهل تؤمل أن تعيش إلى غد؟
وأَتَتْ على لقمان فاستلبته ما أعطته من نعم ولم تتردد

إلى أن يقول :

لو كان في الدنيا خلود لامرىء وصفاء عيش ما عدا ابن الأسعد
جبل هوى من بعد ما طال السهى بالفخر منه وداس هام الفرقد

وينتقل من الرثاء إلى الفخر في هذه القصيدة فيقول :

(١) القصيدة موجودة في ديوان الوطنية والحياة . ص ١٣ ـ ١٤ .
(٢) القصيدة منشورة في ديوانه المنشور الوطنية والحياة . ص ١٤ .

الـكف بحـر والشمائـل روضـة غنـا وخلفـك بهجـة النّـور النَّدي

رثاء عبد اللطيف الأسعد

كانت تربط الشاعر بعبد اللطيف الأسعد ، صداقة قديمة ، تعود الى صداقة الأول مع كامل الأسعد ، شقيق عبد اللطيف الأسعد ، وتوطدت بينهما العلاقات خاصة ، عندما كان الشاعر قاضياً في بلدة مرجعيون ، والتقى معه في « هونين » كما مر معنا ، وشاءت الأقدار أن يفترقا ، فمات عبد اللطيف الأسعد ، فوقف الشيخ علي يرثيه بقصيدة فيقول مبتدئاً ببيت من الشعر للشيخ ناصيف اليازجي :[1]

المـوت نقـاد على كفـه جواهـر يختـار منهـا الجيـاد

أجل إن الموت نقاد على كفه جواهر ، فلقد اختار درة العقد ، ويتيمة الدهر ، ومحط الكـرامة وعنوان الزعامة ، ونخبة الأماثل ، وحامل لواء النهضة العربيـة من آل وائل .

أبـا أحمـد السامـي على النجـم رفعة ومـن بهـر الـدنيا بغـر صفاته

أجل فلقد اختاره والأمر عصيب ، والدهر ألد الخصام ، والناس في أضيق من حلقة الفاس والشدة مستحكمة .

وفي الزمـان أراجيف يشيب لها رأس الـوليد وتقصي الصبـر والجلدا
عمـت فوادحهـا الـدنيا فما تركت من بطشهـا مُذْ تداعـى ركنهـا أحدا

(١) « ان هذا البيت للشيخ ناصيف اليازجي » - أصبح كالمثل السائر لمناسبة الموت ، فهذا سلام الراسي في كتابه لئلا تضيع صفحة ٩٧ يقول : ومن هذا القبيل كذلك ، ندبة مشهورة قيلت بالأمير فؤاد ارسلان ، وبقي اللبنانيون يرددونها في مآتمهم طوال ربع قرن ، وهي كذلك من الندبات الجميلة .

البـين للغابـة قصدهـا وانتخـب منهـا أسدهـا
ودرّة العقـد اليتيمـة مـن جواهـرنا نقدهـا

ومما يدل على علاقة النادبين بالشعراء أن كلمة نقدها ، هنا مستعارة من قول الشيخ ناصيف اليازجي يرثي أحد الفضلاء :

« والموت نقـاد على كفه جواهـر يختـار منهـا الجياد»

ومن قوله أيضاً :

«ان لم يكن لك في فقـد الرجـال يد فانظـر الى الموت كيف الموت ينتقد »

أجل فلقد اختاره ، فثلم سيف النهضة[1] وهدم صرح العزة .

ونـادى بنـا كونـوا غنيمـة من يشا　　لقـد أغمـد السيف الصقيل المهندا

الى أن يختتم :

فنعـم الرجـا للمرتجـين اذا دهت　　خطـوب وعمـت في الزمـان النوائب
فنفس أبيه بـين جنبيه أودعت　　ونفس أبيّة لم تشنهـا المصائب

رثـاء النفس

علي مهدي شمس الدين ، يعتبر أن اشعاع الحياة في نفسه قد خبا ، عندما فقد بصره ، وأصبح ضريراً ، وهو الشيخ المؤمن ، الشاعر الوجداني ، الـذي لا يرى في الموت إلا حقاً . لذلك رثى نفسه ، ورثاء الذات نوع من الشعر الفلسفي الوجداني ، الذي يخلو فيه المرء بنفسه ، متذكراً مصيرها ، شعوراً منه بدنو أجله ، فيبكيها ، متعظاً حيناً ، أو زاهداً حيناً آخر .

وما وصلنا من رثاء الشيخ لذاته ، مطلع من قصيدة لم يكن بالإمكان العثور عليها كاملة ، لعدم وجودها مكتوبة ، وهذا المطلع ورد على لسـان الشاعـر عبـد الكريم شمس الدين ، الذي أكّد رغبة ناظمها بالقائها بمناسبة تأبينه ، بنصه الآتي :

سائـق الظعـن خلِّ عنـك التواني　　كل حـي مهمـا تعمّـر فانـي
فمـن المهـد للمضيق ، إلى اللحـ　　ـد لـعمـري دقـائق وثـواني[2]

ختاماً ، وبعد هذه المشاركة الوجدانية من الشاعر ، لكل من سقط شهيداً ، أو مات فقيداً ، نرى أنه رثى الأهل والأقارب ، والشهداء ، والعلماء ، والزعماء ، حتى رثى نفسه أخيراً . وهذه إن دلت على شيء ، انما تدل على ميزة جيدة عرف بها الشاعر هي المشاركة والمؤاساة ، مشاركة كافة فئات المجتمع ، أحزانها وهمومها . كيف لا ، وهو ابن هذا الوطن الحزين ، الذي كان جديراً به أن يرثيه ، عبر عصوره كلها ، ويحمل همه في أعماقه ، حتى آخر نفس له ، حيث يردد وهو ينازع الموت :

عذيريّ على التسعـين أمسـت أماميا　　فما للخـطـوب الطـارقـات وماليا

---

(١) النهضة للاشارة إلى الحزب السياسي الذي كان يتزعمه عبد اللطيف الأسعد (والقصيدة موجودة في المخطوطة ٢ صفحة ٣٠ ـ ٣١ .

(٢) مقدمة القصيدة رواها الشاعر عبد الكريم شمس الدين في لقاء معه . وأكّد أنها تقارب المئة والخمسين بيتاً، تقريباً .

٤ ـ الوصف

كان للوصف عبر العصور النصيب الأكبر من الشعر ، فهو عامود الشعر وعماده ، بل كل أغراض الشعر وصف ، والمدح وصف نبل الرجل وفضله ، والنسيب وصف النساء ، والحنين اليهن ، والشوق إلى لقائهن ، والرثاء وصف محاسن الميت ، والهجاء وصف سوءات المهجو ، إذاً؛ كل فنون الشعر تدخل تحت فن الوصف حتى إن ابن رشيق قال : ان الشعر إلا أقله راجع الى باب الوصف . وان جميع العصور من الجاهلية الى اليوم ، لم تقصّر في شعر الوصف بل يكاد يكون الأكثر نصيباً من فنون الشعر كلها ، وأما الشعراء العامليون ، فقد توسعوا في وصف ما وقعت عليه حواسهم ، وأجادوا تصوير المدركات الحسية ، فوصفوا الريف العاملي والطبيعة العاملية وما فيهما من كائنات وحركات وأحداث[١] .

وعلي مهدي شمس الدين ابن الريف العاملي ، ابن « الضيعة » الهادئة نشأ وترعرع على البساطة حيث لا ألعاب تسير على الكهرباء ولا آلات تلقى بين يديه تفتح مداركه ، كل لعبه (العيدان والأكر) وما شابه والذهاب الى الينبوع يطارد الفراشات وينصب الشرك للعصافير ، ويلعب مع رفاقه بحفر الحفر الصغيرة جانب الجدول ويغني طرباً ، بينما الطبيعة تعج بالحياة ، وعندما يذهب الى حقل التين أو يعمل في زراعة التبغ ، أو يلعب على بيادر القمح ، ملعب الطفولة الواسع ، يرسم كل هذه الصور ، وتلك المشاهدات في ذهنه ، ليبقى وفياً لتلك الذكريات ، وتلك الطفولة المجبولة بالبراءة ، ومن جملة وفائه قصيدة طويلة في وصف الطفولة ، اختصرت كل المشاهدات وبقيت مثلاً لطفولة كل عاملي نشأ وترعرع في جبل عامل ، ثم وصف المرأة ، والسيكارة والسوار ، ووصف وادي السلوقي ، وتبنين ، وهو في كل هذا الوصف مصورٌ بارع وصاحب عدسة فكرية صافية .

السلوقي وادٍ يمتد من غربي « دوبيه » الى مبدأ نبع الحجير[٢] . ووادي السلوقي يشكل مجرى لنبع السلوقي ، الذي يجري في الشتاء[٣] ، اذا كثرت الأمطار ، ويبقى الى فصل الحصاد ، وهو يمثل أحد روافد نهر الحجير الذي اشتهر

---

(١) مصطفى ، قيصر. الشعر العاملي الحديث . ص ٣١٥ .
(٢) الأمين ، محسن . خطط جبل عامل . ص ١٣٩ .
(٣) مصطفى ، قيصر. الشعر العاملي الحديث . ص ٣٢٩ .

باسمه المؤتمر المعروف « بمؤتمر الحجير »[1] ، وتعود مدة جريان النبع تِبعاً لنسبة الأمطار المتساقطة خلال العام ، وسمي الوادي بوادي السلوقي ، ويشتهر بكثرة أشجاره والأودية المتفرعة التي تنتهي اليه ، ويمثل معبراً إلى أغلب القرى المجاورة ، وفي الربيع تضج فيه الحياة ، وتزدحم فيه الأقدام « للتنزه والسياحة » ، ويقصده الشعراء للتمتع بمياهه ومنظره الرائع ، وقد وصفه الشاعر بقصيدة منها :

وادي السلوقي أَطَلتِ عهد مناكَ	ويكاد ينسى الدهر رجع صداك
سقاك يا روضة الوادي وحيّاك	صَيْبٌ من المُزن دفاق بمغناك
يا جنة الواله العاني وبغيته	لا تنسي عهد غريب ليس ينساك
يا ملعبي في الصبا هل تذكرين فتى	أسوان حنّ على بعد لرؤياك
فأنت في الصبح ملهى للحسان وفي	الظلماء مهبط أقمار وأفلاك
فدفق مائك عند الخمرِ صافيةً	والدّر دون أديم الأرض حصباك
وللشحارير يا طيب لها هزجٌ	ما بين باسم أوراد وأشواك
وادي السلوقي هل من عودة لأرى	الأغصان تكسو الأعالي من ثناياك[2]؟

إن هذا النداء المنبعث من أعماق الرجل ، لأشبه بنداء طفل ، أبعد قسراً عن ثدي أمه ، يناجيها عن بعد ، بحنان وعذوبة ، وهذا هو الحنين للطبيعة ، لرائحة الأرض .

كما وصف غرفة السجن ، التي أُدخل اليها ، بقصيدة مررنا على ذكرها

وصف السماور

ما أن يذكر « السماور » ، حتى يتبادر إلى الذهن ، تلك الجلسات الهادئة حوله لاحتساء الشاي ، « خمرة المؤمنين » ، كما يتردد في أوساط المؤمنين ،

---

(١) مؤتمر الحجير : عندما اشتد اذى الفرنسيين للعامليين ، وأصبحوا يعاملون الناس بالشدة والازدراء ، خاب أمل العامليين بالفرنسيين ، وقامت عصابات ثورية ضد السلطات الفرنسية ومن يتبعها . ويقول محمد جابر في تاريخ جبل عامل ص ٢٢٦ « ولما استفحل أمر الثوار واشتد استياء عقلاء البلاد من هذه الحال ، أرسل كامل بك الأسعد بطاقات الدعوى للعلماء ، والأعيان ، والمفكرين ، لعقد مؤتمر عاملي من أبناء الشيعة ، على رأس نهر الحجير ، وهو مكان يتوسط البلاد العاملية ؛ واقع على بعد خمسة عشر ميلاً من النبطية لجهة الجنوب وعين له يوم السبت في (٥ شعبان ١٣٣٩ هـ ٢٤ نيسان ١٩٢٠ م) وفي الوقت المعين تم الاجتماع وعقد المؤتمر برئاسة كامل الأسعد » .

(٢) موجودة في المخطوطة رقم ٣ .

وللعامليين مع السماور قصص وذكريات ، ففي الربيع عندما يذهبون الى النبع يصحبونه معهم ، وكذلك الى الأقاصي البعيدة في رحلة الحج ، وزيارة الأماكن المقدسة ، وفي المساء ، يلتفّون في البيوت حلقات كأنها المنتديات الأدبية ، يتناقشون في الأدب والشعر ، ويشربون الشاي ويتباهون بصنع هذا الخمر المعتق فقال فيه الشاعر :

قام يغني بيننا أغيدُ معصفر اللون شديد الأرق
قد أضرموا النار بأحشائه وما تندى جسمه بالعرق
لولا مياه قد أحاطت به ويلي عليه من أسى لأحترق
ما نفخوا في جوفه مرةً الا بكى من لوعة أو شهق
بتاجه يا حبذا تاجه بحر من الياقوت فيه ائتلق[1]

والشاعر يؤنسن الشاي ، كما أنسن أبو نؤاس الخمرة ، إذ يستعير للسماور دموعاً تجري بحنان ، والدموع من الصفات الإنسانية .

« السيكارة »

« السيكارة » موضوعٌ جديد في الشعر العربي ، كما الحشيشة في الشعر المصري[2] والخمريات في العصور السابقة .

« والسيكارة المستخرجة من نبتة التبغ[3] التي لم يُعرف من زرعها للمرة الأولى ومن استخرجها ، الاّأن لها جمهوراً كبيرا من المدخنين لها ، المتلذذين بها برغم المشاكل الصحية التي تسببها لهم ، ويبدو الشاعر لصيقا بها ، لأنها تسجّل ساعات وحدته ويؤ رخ بها ، اليوم أشعلت ثلاثين سيكارة ، والبارحة أربعين ، والسيكارة عنده أنثى لها جسم وعنق ، كخمرة أبي نواس ، الا أنه يحتكم وإيّاها إلى الله في الآخرة ، لأنه يحرق جسمها ، لا لشيء إلاّ لأنها تحرق تعاسته ، وتنسيه آلامه .

والسيكارة من نبتة ، ارتقت لتصبح قضية ، قضية الإنسان الجنوبي ، الذي

---

(١) موجودة في المخطوطة رقم ٣ .

(٢) أمين ، بكري . مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني ص ٢٧٦ .

(٣) تبغ : ١ ـ التبغ : هو ما يعرف بالتتن أو الدخان . جنس من النباتات الأميركية المهد ، فيه مادة سامّة ، مأخوذة من لفظة «تاياغو» وهي اسم جزيرة في خليج المكسيك وجد فيها ونقل منها (اسبانية) ـ المنجد في اللغة والاعلام . ص ٥٩ ط٢٣ .

ما أن تراه وتسأله عن التبغ حتى يقص عليك « حكاية مأسوية حزينة » حكاية هذه المرة الحلوة ، التي يقضي في عملها أربعة عشر شهراً ، من زراعة « المشاتل » ، الى زراعةٍ ، الى قطاف في منتصف الليالي إلى توضيب بعد تجفيف ، وأخيراً تسليم المحصول لشركة التبغ . .

إن مرحلة العذاب المتواصلة المتداخلة هذه ، يشترك فيها الأب والأم والأولاد من سن الرابعة ؛ وقد تكون سبب بلاء الكثيرين من الأطفال ، إذ يضطر آباؤهم لانتزاعهم من المدرسة للمساعدة في زراعة التبغ .

والشاعر يروي قصته مع هذه اللفافة الصغيرة ، التي تختصر عمر المأساة فيقول :

وبيضاء لم تبلغ سوى قيد أصبع ... من الطول لكن قد أطالت تسهدي
تعشقها دهري فلم أرَ راحة ... ولم يك عنها الصبر يوماً بمقعدي
هوىً قد دعا جسمي نحيلاً كجسمها ... وأوردني من أجلها شرَ مورد

ويبدأ بوصفها بذراً صالحاً للزراعة :

وكانت بحجم الرمل أو هي دونَه ... ولونٌ كما شاءَ الإلٰهُ مورّدِ
فأودعتها بطنَ الثرى وسقيتُها ... مياه الحيا عند المساء وفي الغد

وما أن تترعرع الشتيلات الباقية ، لأنها لا تعيش كلها ، حتى يبدأ « القطاف » .

ولما اكتست اسنى الغلائل وازدهت ... بتاجٍ من الدر النقي المنضّد
علاها اصفرارٌ كاصفراري وبدّلت ... ملابسها الخضرا بألوان عسجد
فجرّدتُها منها وأحكمت صنعها ... بأسلاك قد نيطت بجسمٍ محدد

وبعد القطاف ، وعملية « شك » الورق الأخضر ، الذي يسمّيه الجنوبيون اليوم « عملية الشكاك » وهي إدخال الورق واحدة تلو أخرى ، في سلك حديدي ، عندما يمتلىء يفرغونه في خيطٍ معدٍ لذلك ، وكل الخيطان متساوية الطول . ويُعَدُّ الجنوبيون أو من يزرع التبغ « المنشر » وهي عيدان تعلق عليها الخيطان لتجف الأوراق .

وحولتهـا للـريـح والشـمس فـانزوى   الى اليبس منها ذ لك الناعـم الندي[1]

وهنا بدلاً من تسليم المحصول للشركة ، كما هو مقرر ، يخالف الشيخ القوانين متمرداً ، لأن باعتقاده ، أن له الحق في التلذذ بالتي كانت سبب آلامه ، ويقوم بعملية « الفرم » وهذه ممنوعة ويطالب عليها القانون ، ويعاقب كل من يضبط بحوزته ما يسمى « المكبس »[2] أي الآلة التي تجمع فيها الأوراق وتفرم ، لأن للشركة فقط حق بيع السجائر .

فسلمتهـا بعـد الجفـاف لزاجـر   له سطـوة البـازي وحـد المهند
فقـام اليهـا وانحنـى فوق جسمها   بسيف على حز الرقـاب معوّد

والشاعر هنا يؤ نسن هذه الورقة ، إذ يصور لها جسماً ، ورقبةً ، وروحاً ، كما فعل أبو نواس بخمرته[3] .

ويضيف الشيخ شمس الدين لذته بها قائلاً :

ولسـت مجـوسياً ودنـت بحرقهـا   فأضرمتها في راحتي عن تعمّد

وبقدر ما يعتقد الشيخ بيوم البعث والحساب ، يعتقد إنه سيحشر معها :

سيجمعُنـا الحشرُ الـذي هو جامع   وتنصفنـا عن يومنـا وقفـة الغـد

وهنا يبدو الشيخ في موقف عتاب ولوم متبادل :

وأشـكو وتشـكو والحـوادث جمـة   وكل على عذر يروح ويغتدي
تقـول لقـد أودعتنـي الحتف ظالما   بصنعـك فارضـخ للعـذاب المؤ بد

---

(١) تم الحصول على هذه القصيدة : ١) ابراهيم علي ، شعراء من لبنان . ص ٢٥٧ .
٢) نقلاً عن عبد النبي شمس الدين (معاصر) من بلدة قبريخا ـ هو أخ الشيخ عبد الكريم شمس الدين ، عاصر الشاعر .
٣) ناصيف ياسين (١٩٤٥) معاصر من بلدة مجدل سلم : يعمل حالياً مدرساً في وزارة التربية الوطنية .
(٢) « المكبس » : الجرن : آلة حديدية توضع فيها أوراق التبغ بعد تنقيتها من الأغصان وتشد وتفرم ـ وحيازة هذه الآلة ممنوعة قانوناً ، وشاهدت في صغري ، كيف كان صاحب هذه الآلة عندنا ، يخبئها عندما يعرف أن الدرك أو الجمارك قدمت للتفتيش .
(٣) ديوان أبي نواس ص ٢٣٥ .

وبهذا الفن الوصفي الحسي ، يبدو لنا أنَّ الشاعر ، قد خاض غمار هذه الناحية ، وأدخل فن « السيكارة » وجعل منه قضية ، ومادة متعة ، « كالحشيشة » و« الخمرة » .

وصف القمر

والشاعر عاشق ملهم ، وعشيقته الطبيعة ، وما فيها من موجودات ، واذا كان معروفاً عنه كثرة التجوال في الليل ، والذهاب من بلدة ألى أخرى[1] ، فلا بد له من رفيق يؤانسه في رحلته الليلية الطويلة ، فكان القمر ، هذا العلوي الذي يسترق السمع ، وينظر الى الناس ، والعشاق ، ويحصي همساتهم وأنفاسهم ، بل يحرسهم ، ويبدو هذا القمر رفيقاً للشاعر اذ يصفه قائلاً :

أمجلي الدجى والليل ساطي الغياهب ... الى مَ على رغمي أراك مصاحبي
لئن كنت لا تلوي جفوناً على الكرى ... أما تستحي من طالعات الكواكب
فهل أنت جندي يقود وراءه ... من الجيش ما لم يحصه فكر كاتب
اتخذت الدجى ستراً وآويت تحته ... مخافة واشٍ أو حسود مراقب
فمزقته لا درّ دَرُّك وانزوى ... مخافة كشف السر خلي وصاحبي
وهل أنت نوتيٌّ سرى فوق دفةٍ ... ببحر شديد الموج حم المتاعب
يشق عباب البيد غير مجذّف ... فيدني اليه بالسرى كل عازب
وهل أنت قنديل بليل سرت به ... من الشرق نحو الغرب بعض الكواعب
وهل أنت شيخ فوق صهوة منبر ... صبيح المحيا قام في زي خاطب[2]

(وله في وصف الخلد)

وعثرت له على بيتين من الشعر ، في وصف الخلد ، ويبدو الشاعر هنا ، كأنه الجاحظ يلاحق الحيوانات ، ليعرف خصائصها ، وربما يدل ذلك على فلسفة ، وحكمة ، وحب اطّلاع فيصف الخلد هذا الحيوان الأعمى كيف يتصرف رغم انعدام البصر أو تغطيته عينه بالشعر :

---

(١) حدثني بذلك الدكتور حسين مروه ، عندما سألته عن معرفته بالشيخ علي شمس الدين قال : كان يطرق علينا الباب في ساعة متأخرة من الليل ، اذ كان من صفات الشيخ : أن يركب فرسه بعدما تغيب الشمس ، ويقصد كلّ يومٍ بلداً ، وما أكثر أصدقاءه ، وكان إذا حل عندنا لا ننام طوال الليل أُنساً بِهِ وحباً لِطِيْبِ أَحَادِيْثِهِ .
(٢) القصيدة موجودة بخط الشاعر .

بجوف الثرى من غير مأوى سكينه   له ظلمات الأرض خير حصون
يشق الثرى في ظهر وهو رابض   ويبصر ما يبغي بغير عيون[1]

خلاصة ، يمكن القول : إن اللبناني ، وان غادر قلب لبنان ، بدون أن ينسلخ عنه ، فيبقى لبنان في قلبه بدون إمّحاء أو زوال ، ولذا نراه يعب من أريجية أرضه ، ومن وما عليها ، فلا ينسى جبران مع غربته بشري ، بكل ما فيها من جمال الطبيعة ، وروعة العادات والتقاليد ، ولا « وطن النجوم » وطن إيليا أبي ماضي ، فكيف به على أرضه يعانقها ليل نهار ، مما يفرح قلب مارون عبود ، « بمعاز ضيعته » ، بكلتيه وما يمثله ، ميخائيل نعيمة « وبقرته الحلوب » ، « وصخرته الصماء » وشاعرنا في جنوب الوطن « لبنان » لا ينسى مطارحه في قريته ، المولد والمنشأ « فيعرّج في حنايا نفسه وذاكرته ، يستعيدها واحدة واحدة ، بدون أن يرى فيها استصغاراً لمراتعه . . وليس غريباً والحالة هذه ، في وقت لم تغز الحضارة مسقط رأسه ، لتضع بين يديه العاباً تفتّح الأفكار ، وتقوي الذاكرة ، ولا مدارس حديثة ، تكشف له خفايا الرياضيات والعلوم ، وما ينتج عنها . . انه ابن بيئته « المحلية » التي لم يتسنّ له أن يغادرها في مرحلة الطفولة ، ولم يحالفه الحظ بمذياع ، أو تلفاز يضع أمام سمعه وبصره ، ما يعزز مداركه الأولية خارج حدود الواقع المعيوش آنذاك ، ويبدو أخيراً أن للشاعر حدسة تصويرية ، تلتقط أدق الأشياء ، لأنه يغوص الى قلب الأشياء ويؤنسن الماديات .

٥ ـ الغزل

الغزل بمعناه الشفاف ، لمحة عين ، وخفقة قلب ، وتجيّش عاطفة ، وفيضُ قريحة ، تعبر عماً يختلج في الصدر من كوامن وأحاسيس وشعور ، فتنساب الكلمات الرقيقة الشاعرة ، كأنها الخيط السحري ، لتربط قلبين برباط المودة ، والحب ، والإعجاب .

والغزل قديمٌ قِدَم حواء وآدم . تطور عبر العصور واتجه باتجاهات عديدة . فمثلاً الغزل الجاهلي تمثل باتجاهين ، الأول الحسي ، ويندرج تحته نوعان ، الفاحش وغير الفاحش ، أكثرَ الشعراء في الأول من التغزل بالنساء ، ووصفهن ، أو وصف مفاتنهن وتشبيههن بأشياء مادية حسِّية نابعة من صميم البيئة الجاهلية ، وطبيعتها ،

---

(١) المقطوعة موجودة بخط الشاعر .

ومكنوناتها[1] . أما فيما يتعلق بالوصف المعنوي للمرأة في الغزل الجاهلي ، فقليل لا يكاد يوحي باهتمام الجاهليين به ، إهتمامهم بالجانب المعنوي[2] . ومن أبرز شعراء هذا النوع الفاحش امرؤ القيس ، والأعشى . أما الاتجاه الثاني فهو « العفيف » أو « العذري » ووجد الغزل العفيف في الجاهلية ، وعرف العصر الجاهلي جماعة من المُتيمين الذين اقترنت أسماؤهم بمحبوبات معينات ، من مثل : المرقش الأكبر وأسماء والمرقش الأصغر وفاطمة ، ومالك بن الصمصامة وحبوب وغيرهم .

أما الشعر الغزلي في العصر الأموي ، فهو كذلك يتبع هذا التصنيف ، إلاّ أن بعض الدارسين يضيفون نوعين آخرين ، قام حولهما الإختلاف ، وهما الغزل التقليدي ونوع آخر اتفقوا على جوهره ، واختلفوا في تسميته ونشأته . فطه حسين يسميه « بالغزل الهجائي » والحوفي « بالكيدي » وشكري فيصل بالسياسي[3]. ومن أشهر شعراء الغزل الفاحش في العصر الأموي، عمر بن أبي ربيعة ، والأحوص ، ومن شعراء الإتجاه العذري ، عبد الرحمن بن أبي عمار ، الملقب « بالقس » الذي أحب سلاّمة الجارية ، وعروة بن أذينة ، وعبد الله بن عتبة ، وكذلك شهد العصر العباسي شعراء أفذاذاً أكثر شعرهم في الغزل ، أمثال بشار بن برد ، وأبي نؤاس ، ومسلم بن الوليد .

إلاّ أن الغزل في الشعر العاملي ، لم يعرف الميل إلى الغلمان ، بل ظل تقليدياً ويمكن تمييزه بمرحلتين كما فعل الدكتور مصطفى[4] ، مرحلة ما قبل الخمسينات من القرن العشرين ،وحقبة ما بعده ، إذ يقول : كان معظم شعراء عاملة حتى الخمسينات من رجال الدين ، الذين تخرجوا من جامعة النجف الأشرف ، وهم تبعاً لذلك من التقليديين ، المحافظين في غزلهم ، غيرَ أن الأمر بعد ذلك الزمن يختلف كثيراً ، وقد عكف الشعراء العامليون على تقليد الغزل الجاهلي ، والأموي ، من حيث الوقوف على الأطلال ، ثم الإنتقال الى الأغراض الأخرى ، المدح أو الهجاء وغزل العامليين على وجه العموم ، رقيق ، متزن ، يحاكي الأقدمين فهو لا يخدش

---

(١) بكار ، حسين . اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري . بيروت ، دار الأندلس ، ١٩٨١ . صفحة ٤٥ .

(٢) م . ن ص ٤٦ .

(٣) م . ن . ص ٥٢ عن حديث الأربعاء ١/ ٢٥١ .

(٤) قيصر مصطفى : معاصر من بلدة « حولا » قضاء مرجعيون .

الحياء ولا يجافي الضمير والأخلاق[1] وكذلك لم يتغزلوا بالمردان كما قلت ، بل مالوا إلى غزلٍ حلال اذا صح التعبير ، وهو « غزل النهدين » ، ومن رواده الشاعر العاملي كامل سليمان[2] الذي يقول عنه الدكتور مصطفى ، عندما يعرض لبيت عن الشعر الغزلي للشاعر تحسين شراره فيه يقول :

في كل لحظة منه بارقة وكل نهد منه نيران[3]

وتلك النيران ، التي تصور النهود ، على أنها كالبراكين ، تنطلق منها الحمم فتقذفها على العشاق تقودنا إلى شاعر عاملي آخر ، جدير به بأن يلقب « بشاعر النهد » ، بالرغم مما عرف عنه من تعفف ، وذلك الشاعر هو « كامل سليمان » ، فكم فتنه النهد وكم أثاره واستفزه ، وهذا أنموذج من شعر كامل سليمان بعنوان « مراهقة » .

قامت لتخلع ثوبها الشـ ـفاف والآهات تترى
مرتاعة مما تغيـ ـر في طبائعها ... وقرا

الى أن يقول :

قالت « بلغت » .. تدفقا ثداي احساساً وشعرا[4]
وتناولت مرآتها وتأملت صدرا معرا
وكأنها من قبل لم تره فتاهت فيه كبرا[5]

ولكن لو اطلع الدكتور مصطفى ، على غزل علي شمس الدين في النهدين لوجد أن شاعرنا الشيخ هو رائد هذا الفن الغزلي الراقي ، وسنأتي عليه بعد قليل ، أما بالنسبة للغزل عموماً ، فقد حاكى علي مهدي شمس الدين القدماء بغزله الرقيق إلاّ أن له بعض القصائد الغزلية ، وكأنها الموشحات ، وقابلة للغناء ، نظراً للايقاع الموسيقي الذي تمتاز به كأن يقول :

---

(١) مصطفى ، قيصر . الشعر العاملي الحديث . ص ٣٧٣ .

(٢) كامل سليمان شاعر معاصر ، له ٥ دواوين مطبوعة ، منها : « أشراق » ، سبيل يا عطشان ، وهو يعمل في التدريس ...

(٣) العرفان ج ٥ م ٣٢ ص ٥١٥ .

(٤) بلغت : جاء في لسان العرب ٨/ ٤٢٠ : بلغ الغلام : احتلم كأنه بلغ وقت الكتاب عليه ، والتكليف ، وكذلك بلغت الجارية ، التهذيب : بلغ الصبي والجارية اذا أدركا ، وهما بالغان ، وقال الشافعي في كتاب النكاح : جارية يانع .

(٥) سليمان ، كامل ديوان اشراق ، ص ١١ .

يا ليلى لا تزيديني بصدودك ... خنقت الليل في شلحة جعودك
وذبحت البدر عا مذبح بهاك ... وبدم الورد غسلّت خدودك
وخجلت الشمس من هيكل علاك ... وسكبت الشمع في قالب زنودك
وسحرت القلب رضوان بسناك ... وصارت كل أعوانو جنودك
وقلبي موقفو ضحيه هواك ... وأنت دائماً تخلي بوعودك
ان كنت كالشمس تضوي بسماك ... وخنت عهود من خاطب ودادك
بدي خونك وانكر عهودك[1]

والشاعر الشيخ ينساب مع الحسناوات ، يغنيهن شعراً ، ويصفهن بأحلى ما يكون الوصف ، ويغنيهن بأرق ما يكون الغناء ، إذ يقول في إحدى الفتيات من بلدة « كفر دونين »[2] التقاها بين الكروم :

أبصرتها في سريرِ الكرمِ جالسةً ... بينَ الدوالي وللأطيار تغريدُ
كأنها البدر والأوراق هالتها ... وحولها كالثريات العناقيدُ
فأمسكت عودها الملقى بجانبها ... وحرّكته فقلت أهتز يا عود
وأرسلت نغماً عذباً حنّ له ... قلبي المعذب واهتزت له البيد
وأسكتت كل طير عن تلاوته ... وكان للطير ترجيع وترديد
فدغدغ العود نهديدها فقلت لها ... يا ليت أني مكان العود موجود
أو ليت اني من أوتارهِ وتر ... في حضن هندٍ الى النهدين مشدود[3]

من هذين البيتين الأخيرين ، بدأ الغزل النهدي ينساب رقيقاً ، حاراً من الشاعر ، فيسأل الشاعر من هي هذه الفتاة ؟ ـ قالوا اسمها زينب .

قال :

فصدت زينب قلبي ... وسبت عقلي ولبي
تركتني مستهاماً ... أستغيث الله ربي

والشاعر هنا فيلسوف هندي ، يرى في الإغتسال بالنار طهارة للنفس ، يخلع ثوب الدين ويتبع حبيبته ويناديها بمعبودته ، على زمن الوثنية ، لا نعلم لماذا ،

---

(١) نقلت عن محمد علاء الدين من لقاء مسجل معه .
(٢) كفر دونين . : بلدة قضاء بنت جبيل في جبل عامل ، لا تبعد كثيراً عن بلدة الشاعر (١٥ كلم تقريباً) .
(٣) القصيدة نقلاً عن محمد علاء الدين مسجّلة .

لنسمعه ماذا يقول :[1]

خــذ الجنــان فإنــي همتُ بالنار ... لأغســلَ النفسَ من إثمٍ ومن عارِ
وردتُ فــي حمــأةِ اللــذاتِ مطرَّحاً ... حِجَــايَّ ما بيــن أقــداحٍ وأوتـارِ

وهنا يخلع رداءه ، إن كان هذا سيحول بينه وبين حبيبته :

خلعـتُ ثوبي لأُبـديَ للورى عَـاري ... فلبس ذا الثـوب عند الحق كالعارِ
بعتُ «الفضيلة »[2]لكن ليس عن عمهٍ[3] ... بل بعتهــا راضيــاً فليهنأ الشاري
ورب غـانيــةٍ حسنــاء ضـاحكـةٍ ... للطفـل للشيــخ للمفتــون للجـار

ويتمثل بعمر بن أبي ربيعة ، الذي يتبع الحسناوات الى بيوتهن :

تبعتهـا غيــر هيّـابٍ ولا وجـلٍ ... بالحــالتيــن بمكــر أو بتسيـاري

فيقول عمر بن أبي ربيعة :

فلما أجزنـا ساحــة الحــيّ قلن لي ... أمــا تتقي الأعــداء والليل مقمر
وقلـن أهــذا دأبـك الدهــر ساعداً ... أمــا تستحــي أو ترعــوي أو تفكر
اذا جئــت فامنــح طرف عينيك غيرنا ... لكي يحسبـوا أن الهــوى حيث تنظر[4]

والشيخ يناديها بجرأة :

ناديتهــا ضارعاً معبــودتي وثني ... صوني الفؤ ادَ وكفــي المدمــع الناري
فأرسلــت لعنة حمــراء من فمها ... لمست فيهــا الـرضى عن حبي الناري
ولعنــةُ من فمِ الحسنــاء تقذفنـي ... بهــا لأحــبُّ من شذْوى وأشعارِ

ويتبعها :

فكم دلجــتُ وثــوب الليل يسترني ... لدار غانية هيفـاء كالقمـر
وكم شربــت كؤوس الحــب مترعةً ... حتــى غدوت بلا وعــي ولا فكر

---

(١) القصيدة نقلاً عن محمد علاء الدين ، مسجّلة أيضاً .
(٢) تطلق على القاضي أو الشيخ .
(٣) عمه : فلان في عمهٍ من أمره : وهو التردد والتحيرّ (الزمخشري . أساس البلاغة . ص ٤٣٦) .
(٤) ديوان عمر بن أبي ربيعة . وقف على طبعه وتصحيحه ، بشير يموت . بيروت ، المطبعة الوطنية ، (١٣٥٣ هـ ـ ١٩٣٤ م) . ص ٩٤ . ط ١ .

فكم ضحكت وليس الضحك عن سفه ولكن لأهزأ بالأقوام والبشر

وفي هذه القصيدة ، يبدو لنا خبيراً مجرباً في هذا الفن ، إذْ يقول خارجاً عن التعفف الى أقصى الدرجات :

أأنجم سافرة أم مهى فاني من ذي وذي في التباس ؟
تجلى بأبصار الورى للورى كأنها الخمرة تجلى بكاس

الى أن يقول :

تخالها النرجس في لطفها غب النذي لولا قليل النعاس
تكهرب الألباب أما رنت بلا دنو نحوها أو مساس ؟[1]

إن هذا الوصف ، الذي يصل فيه الى كهربة العقل ؛ فلعمري إن شاعرنا حساسٌ جداً ، ولا بدّ هنا من الحديث عن المفاتن ، التي تغزل بها كل على حدة :

الغزل بالوجنات والشعر والجيد والأهداب أي القسم العلوي ، من العنق حتى الشعر وهذه أبيات من قصائد متعددة حول كل قسم :

ووجنة وردية زينت بالأسود الفاحم من خالها
وعقرب من صدغها قد سعى ليجتني شهده جِرْيَا لَهَا[2]
وميم ثغرها بالأقاح ازدهى سقته من طيب سلسالها

وذبحت الورد عا مذبح بهاك وبدم الورد غسلت خدودك[3]
وأسيل خد كالوذيلةِ ناعم فيه اَغتَدَى مَاء الشبيبةِ نامي

ويتابع وصفه لهذا القسم العلوي في قصيدة يقول :

طرَّزت بالعذار خداً أسيلا وجلت للحتوف سيفاً صقيلا
وبثغر كالميم شكلاً ولفظاً أظهرت للأقاح شكلاً جميلا
ولسان كالورد أحمر قان عللت فيه ريقها المعسولا
وشعور تنساب مثل الأفاعي جعلتها ظلاً عليها ظليلا
وبصدغ كأنه صدغ ريم عللت فيه صبها تعليلا

---

(1) شمس الدين ، علي . الوطنية والحياة . ص ٢٠ ، القصيدة بعنوان « بلطفه يسلب كل الحواس » ٥٠ بيتاً .
(2) م . ن . القصيدة ذاتها .
(3) من قصيدة يا ليلى لا تزيديني بصدودك ، مسجّلة .

وشفـاه حمّر خفـاف لطـاف حملتنـي فـي الحـب عبئـاً ثقيـلا
وبجيـد كجيـد ظبـي أغـنّ شـأنـه فـي الغـرام أن لا يميلا

والشاعر هنا كأنه طائر الحب ، يتنقل من غصن أحمر إلى غصن أسود ، من شفاه جذبته وسحرته طويلاً ، إلى شعور انسابت واستظـل بظلالهـا ، وبعـد هذه الرشاقة في التنقل ينسدل الى القسم الأوسط ليقول مبتدِئاً بما يعجبه قائلاً في وصف الصدر :

وبنهـدٍ مجفـل كخفـاف الـر يـم ان رمْـنَ مـورداً أو مقيـلا
وبصـدر مـن معـدن العـاج قد صيـ ـغ بـه النمـل حـار عـرضـاً وطولا
رسـم الله فيـه آيـات حسن رتلتهـا على الـورى تـرتيـلا
فيـه مـا فيـه مـن ثمـار جناهـا متعـب لـم أطـق اليـه وصـولا[1]

ويتابع عن الصدر والنهود :

ولـوح بلـور بـه جنـة قـد حيـرت طـرفـي بـأشكـالهـا
انـه وهـو بعيـد الجنـى بـلـطفـه يسـلـب كـل الحـواس
ولـه نمـل قسـت تطـريـزه سلكـت في الأمرِ خـلاف القياس[2]

ويدغدغ النهد :

فـدغـدغ العـود نهـديهـا فقلـت يـا ليت أنـي مكانَ العودِ موجـودُ

ثم ينتقل إلى الخصر قـائلاً :

قـدّهـا السـمهـري كم أفسـد قلبا ولـكـم فيـه قـد أطـاشـت عقولا
وعلـى خصـرهـا السـلام فقـد زاد نحـولاً فصـرت أشـكـو النحـولا
وقفـتْ عِنـده النـواظـر حتى تـركتـه مثـل الخيـال ضيئـلا

والشاعـر بعـد تغزلـه بالجيـد والوجنـات والصـدر والرمانـات يتغـزل بأطراف البنات قائلاً :

وامتـدّ مـن أغصـانـه ناعـم بـوصـفـه المعجـز ذو اللـب حار
سمـوه زنـداً كـاد من رقـة يسيل لـولا حفـظـه فـي السـوار

(١) الوطنية والحياة . ص٣٠، القصيدة بعنوان « حملتني في الحب عبئاً ثقيلاً » .
(٢) م . ن . ـ ص ٢١ ـ القصيدة بعنوان « بلطفه يسلب كل الحواس » .

لــو غمــزت بــه قلــوب الــورى تــدور مــن دهشــتهــا حيــث دار[1]

وكأنه محلل مبدع ، عارف بأسرار الخلـق والوجـود ، وتـركيب المخلوقـات يقول :

قـد أحــكم الخــالق تكوينــه مــن عنصــري مــاء لطيــف ونــار
وراحتيــن بهمــا فتنــة يختلســان اللــب أي اختــلاس
بــراحة تحمــل جــزدانها وراحــة تحمــل ورداً وآس[2]

وفي قصيدة أخرى يصفُ الأطراف قائلاً :

ولأغصــانــه لــديَّ عضــاة تركتنــي المتيــم المتبــولا
قضــب تســحــر العقــول جمالاً وتــطيش الألبــاب جيلاً فجيــلا
قــد زهـت فـي مـرافـق زينـت فيـ ـهــا لحتفــي ذراعهــا المفتــولا
ثقــلــت ردفهــا وخففت الخصـ ـر بنفســي أفــدي الخفيف الثقيلا[3]

وما أن ينتهي الشاعر ، من التنقل بين مفاتن حبيبته برفق ، حتى يبتعد قليلاً ليصف ما عليها من ألبسة رقيقة ، أو بنظره الثاقب يرى الجسم من وراء القماش فيقول :

تلبــس شفــافاً علــى هيكــل منــه وبــاريــه لحتفــي أشــفّ
تحــكيــه فــي اللــون اذا شمتــه مــن فوقــه مــا بيــن نشر ولف
اذا عَــدَىَ الــريح عليهــا بدت للعيــن مــن غيــر ثيــاب تــزف
تميــل كــالغصــن دلالاً إذا هــب نسيــم أو عليهــا اختلــف

والشاعر يحنو على معشوقته العارية ، ويطلب لها الرحمة ، كما حنا أبو نواس على النديم فيقول :

لــو برزت عــاريــة مــا اشتكــى شفــافهــا البــض رقيــق اللبــاس[4]
لا تظلمــوهــا واتــركــوهــا كمــا شــاءت وخلــوا ستــرهــا والكنــاس
لــو خلقــت بالأصــل في سترهــا سرنــا عليــه وهــو نجــد السداد

---

(١) الوطنية والحياة ص ٢٠ .
(٢) م . ن . ص ٢١ .
(٣) م . ن . ص ٣٠ .
(٤) الوطنية والحياة ٢١ ـ ٢٢ .

لكنهـــا قـــد خلقــت مثلمـــا كـــونهـــا مبـدع خلــق العبـاد[1]

ومن حنو أبي نواس على ندمائه قوله :

وفتيـــة كمصابيـــح الـــدجى غرر شـمّ الأنـوف من الصيـد المصـاليت
دار الـزمـــان باقـــلال السعـــود لهـم وعـاج يحنـو عليهـم عـاطف الليث
نـــادمتـهم قـــرقـف الأسفنـــط صافية مشمولـــة سُبِيَـــتْ من خمر تكريت[2]

وبعد أن أطلعنا على الغزل المادي الوصفي عنده ، نصل الى نتيجة ، وهي إن الشاعر يسترسل عندما يبـدأ بالغـزل ، ويخلـع رداء الفضيلـة كما قال ، ويسـاير محبوبته ، ويصعد معهـا من فصـل إلى فصـل ، وهـكذا إلى أن يصـل الى وصف الثياب ، ويتمنى نفسه وتراً من أوتار عود ، تداعيه يداها ، فيعـود آخـر الأمـر ، ويتذكر ، ويفيق من سكرة الحب ، فيوجـه القصيدة للإصـلاح الإجتماعـي ، كما سنرى في خاتمة قصيدته ، التي ذكرت منها كل ما وصف به المرأة فيقول منتقداً قصر الثياب وغيره :

وفي الملاءة التـي قـــد قصرت طالـــت علينـــا ألســـن الخلـــق بذم
ولبـس « لســـتيك » علا كعبه حتـــى اغتـــدى مقـــدار شبـــر يقاس
قد هدمـــت مجـــدك في لبسه وبـــات بالأرجـل عمـداً يداس

(المقدمات الطويلة)

والشاعر يبدأ أكثر قصائده ، في الأغـراض الأخرى ، كالمديح ، والهجاء ، والرثاء بمقدمات قديمة . ومن أمثلة القديم ، المقدمات الطويلـة والغـزلية ، وذكر الشيب والطيف ، ومن أمثلة الجديد ، الاستعاضة عن ذكر الأطلال ، بالوقوف على القصور والمقدمة الخمرية ، والغزل بالمذكر ، وهذا لا يعني أنـه كان لكل قصيدة مقدمة ، فهناك قصائد كثيرة، ومن المقدمات منها[3] :

مقدمات قصائد المدح : عرفت قصائد علي شمس الدين الطويلة ، مقدمات

(١) الوطنية والحياة ص ٢٢ .

(٢) ديوان ابي نواس . طبعة القاهرة . المطبعة الحميدية ١٣٢٢ هجرية ص ٢٢٠ .

(٣) بكار ، يوسف . « اتجاه الغزل » ص ٥٩ .

غزلية طويلة وهذه المقدمات الغزلية ، كانت تقليداً سائداً في القرون الماضية ، بحيث لم يتخلّ عنها شاعر من الشعراء السابقين ، ومما تجدر ملاحظته ، ان مقدمات المدح ، تتأرجح بين الطول والقصر بحسب الشعراء ، فالمقلّون والمغمورون تمتاز مقدماتهم بالقصر في الغالب أما الكبار ، من أمثار بشار ، ومسلم وأبي نواس ، فيختلف الأمر بالنسبة اليهم ، ومن هذه المقدمات الطوال ، تبدو في قصائد المدح ، التي أرسلها الشيخ علي مهدي شمس الدين الى السيد علي محمود الأمين[1] وأخيه محمد . وهذه أرسلها للسيد علي :

يا غزال الرمل في وادي الأراك ... جدْ على مضنى الحشا بالنظر
وتعطّف فالذي مر كفاك ... من صدودي يا شقيق القمر
صرت من هجرك ذا جسمٍ نحيلٍ ... حرقي زادي ودمعي شربي[2]
مستهاماً لا أرى عنك بديلاً ... وأرى الفوز بنيل الأرب
واجداً أقنع بالنزر القليل ... والتسلي لم يكن من مذهبي
فارفع الحجب عن عين تراك ... لا تدعها عرضة للخطر

إن هذه المقدمة الطويلة ، والتي لم تنته بعد ، تدلنا على النَفَسْ الشعري الطويل عند الرجل .

وهذه مقدمة طويلة جداً آختصر منها ، بعض هذه الأبيات ، لتبيان مدى مقدرته على الغزل ، انتقالاً للمدح ، وهنا يمدحُ السيد علي الأمين ، وأرسلها الى دمشق .

شيئان قد جلبا إليَّ حمامي ... دلُ الحبيب وألسن اللوام
وجوى لبين الظاعنين أقمته ... في القلب أوقفني على الإعدام

الى أن يقول :

وبقوسي حاجبك الذي أقصدتني ... بالرمي عنه فلا عدمت الرامي
والقتلات وهن هدب جفونه ... اللاعبات بكل حد حسام
وأسيل خدٍ كالوذيلة ناعم ... فيه اغتدى ماء الشبيبة نامي[3]

(١) أعيان الشيعة . ٤٢/ ١٧٩ .
(٢) سرت من هجرك ذو جسم نحيل : الصواب : صرت من هجرك ذا جسم نحيل .
(٣) أعيان الشيعة . ٤٢/ ١٧٦ - ١٧٧ .

ونضيد درٍ في الثغور منظم سكنت فرائده غدير مدام
ما كنت أرغب في المديح وصوغه لولا مدائح « حجة الاسلام »[1]

وهذه مقدمة في الرثاء :

أدنني منك علّني أبلغ الغا ية وأستمد من نعمائك
واكشف الستر عن جميل محيا ك لعلي أهدى بباهي سنائك[2]

إلى آخر هذه المقدمة الطويلة :

إن الشاعر من هذه المقدمات في المدح ، والرثاء ، نراه يبدأها بالغزل ، حتى تحسب أنه يتغزل بالمؤنث فعلاً وهذا دليلٌ على مقدرته ، وقوته في هذا الباب .

والذي يلفت الانتباه ، ان الشاعر الشيخ ، دموي في حبه ، يسفك دماءه على معبد محبوبته ويركب الأخطار في سبيلها ، فيقول في هذه القصيدة :

دع الذميل وبناقك أرفق وبت معرساً بوادي الأبرق
وكم بها من زفرة لعاشقٍ عن قلب صب بالجوى محترق

الى أن يقول :

فكيف يدنو نحوها مؤمِّل لوصلها ولم يمت من فرق
إن أنكرت دمي بلا جناية أثبته بشاهد موثق
قد ضرجت وجنتها ببعضه وخضبت راحتها بما بقي
فكم على أسيلها من مهجة سالت أسى من مدمع مرقرق
سأركب الأخطار في طلابها ولو بسمر الخط سدت طرقي
وأقطع البيداء فوق جسره لغير إدمان السرى لم تخلق[3]

وهنا تتطابق نظريته مع قول توفيق يوسف عواد :

أُحبك حتى يسيلَ الدمُ وحتى يموتَ عليك الفمُ

إن الشاعر طائر حساس ، يتنقل على أغصان الحب ، ويجول فيها ، ويقول كوامن صدره في الحب غزلاً عذرياً تارة ، وإباحياً أحياناً كثيرة ، بدون أن يشذ في غزله ، إلا أنه يبدو جريئاً في حبه وغزله .

---

(1) حجة الإسلام : يعني بها العلاّمة الكبير السيد علي محمود الأمين (مرت ترجمته) .
(2) الوطنية والحياة . ص ٣٤ - ٣٥ - ٣٦ القصيدة « لا تسمها خسفاً » .
(3) الوطنية والحياة . ص ٦٧ - ٦٨ .

٦ ـ الشعر الديني

ظهر الشعر الديني في الإسلام ، مع إنتشار الدعوة الإسلامية[١] ، فما كاد الرسول يبدأ بنشر الدعوة ، حتى تعرض له ولرسالته شعراء كثر ، من مكّة كعمرو ابن العاص وهبير بن أبي وهب، وأبي سفيان وغيرهم[٢] . ولما أخذ الإسلام في التغلغل بين القبائل ، استشاطت قريش غيظاً ، وناصبت الرسول العداء ، ووقف عمه أبو طالب ، يصارح قريشاً ، بأن بني هاشم لن يسلّموه ، فهاجر الرسول إلى المدينة ، فآوى إلى ركن شديد من الأنصار ، ونصر الله رسوله ببدر وأذل القرشيين ، فهب شعراؤهم بمكّة ينالون من الرسول وصحابته ، وانبرى لمناقضتهم شعراء المدينة من الخزرج ، أما شاعرا الأوس فلم يدركا الهجرة ، وحميت المعركة الشعرية بين الاسلام والوثنية ، ولم يفتأ لها لهب ، حتى أفاء الله على المسلمين بفتح مكّة[٣] .

ومن الشعراء الذين رثوا قتلى بدر ، وهجوا المسلمين ، أمية بن الصلت ، وكعب بن الأشرف ، ولما أمر الرسول يوم فتح مكة ، بقتل نفر من قريش ، ولو وُجِدَ الواحدُ منهم متعلقاً بأستار الكعبة ، لمبالغتهم في ايذائه ، وايذاء المسلمين ، فقُتِل ابن صابه ، وابن خطل وفر ابن الزبعري وغيره ، الى نجران ، وسمع هناك قول حسان :

لا تعدمن رجلاً أهلك بغضه نجران في عيش أحد لئيم

فعاد واعتذر ومدح الرسول ، وخفت حدة الشعر في البداية ، لانصراف بعض الشعراء المنصرفين إلى حفظ القرآن ، ودراسته ، وأصبح مقتصراً على الفتوح ، ورثاء الخلفاء والفتنة بين علي وعثمان ، ولكن رأى النبي ان يقضي قضاء مبرماً ، على من عارضه من شعراء قريش ، وشعراء اليهود ، لأن الدين أعزُ من أن يهادن أعداءه ، أو يفتر عن حرب خصومه من الشعراء[٤] .

وأصبح الشعر بنظر النبي (ص) ، سلاحاً يعتمد عليه ، لرد هجمات خصومه ، فروي أنه قال ليلة وهو في بعض أسفاره : أين حسان بن ثابت ؟ فقال حسان لبيك يا رسول الله وسعديك : قال أُحدُ : فجعل ينشد ويصغي اليه حتى

---

(١) جمعة ، محمد . حسان بن ثابت (نوابغ الفكر العربي) . دار المعارف مصر . القاهرة. ١٩٦٥ . ص (١٥) .

(٢) م . ن . ص . ١٦

(٣) م . ن . ص . ١٧ .

(٤) مبارك ، زكي . الموازنة بين الشعراء . القاهرة ، مطبعة المقتطف . الطبعة الأولى ، ١٩٢٦ صفحة ٢٦ ـ ٢٧ .

فرغ ، قال عليه السلام : لَهَذا أشدُّ عليهم من وقع النبل . وروي أيضاً انه قال : اهجهُمْ فوالله لهجاؤك أشدُ عليهم، من وقع السهام ، في غلس الظلام[1] ، وهكذا أصبح حسان بن ثابت سيف رسول الله الشعري ، يذود به على كل متهجم على الرسالة والرسول ، وحسان القائل - عندما اشتد هجاء الرسول له فقال (ص) : ما يمنع القوم الذين نصروا رسولَ اللهِ بأسلحتهم ، ان ينصروه بألسنتهم فقال : أنا لها وأخرج لسانه وضرب به أرنبة أنفه وقال : « والله ما يسرني به مقول من معد »[2] .

إذاً ؛ كان الشعر الديني في الأول ، دفاعاً عن النبي في وجه الكفَّار ، وبعد ذلك أصبح دفاعاً عن الاتجاهات السياسية المذهبية ، ودفاعاً عن الفرق الدينية ، في عهد الخلفاء الراشدين وصدر الإسلام ، أما الشعر الديني لدى العامليين ، فقد نشأ مع دعوة أبي ذر الغفاري ، الذي انشأ مركزين للدعوة في جبل عامل ، الأول في « ميس الجبل » والثاني في « الصرفند » ، وقد صبغ النتاج الفكري بالصبغة الدينية وبآثار التشيَّع ، وكان لاذكاء هذه النزعة ، الحساسية المذهبية ، التي تعود جذورها الى أيام العصر الأموي . والجدير بالذكر هو ، إن العامل الأساسي المؤثر ، في المحافظة على الإنتاج الفكري العاملي حتى اليوم ، رغم جميع العواقب التي مرت عليه ، هو وجود أسرة كبيرة من العلماء الدينيين تتقدمهم الأسر الدينية المعروفة اليوم في جبل عامل ، والتي عبَّت ثقافتها ، وتلقنت دراستها في النجف الأشرف ، وفي مدارس جبل عامل الدينية ، وهذا ما جعل النتاج العاملي يتلون بلون معين ، فالشعر العاملي ، منذ القرن الأول الهجري ، الى القرن الرابع عشر الهجري ابتدأ من عدي بن الرقاع العاملي ، وانتهاءً بمحمد علي الحوماني ، نحسُ به نفساً آخرا ، وروحاً متميزاً . . . فالأنفاس لاهثة محترقة ، والصوت ناحب خافت ، والروح هاشمية نبوية ، علوية حسينية كربلائية ، وهذا ما يميّز العامليين ، في نثرهم وفي شعرهم وأحاسيسهم . . عواطف صادقة[3] . . . ويمكن تقسيم الشعر الديني إلى عدة مواضيع منها : ١) المدائح النبوية ، ٢) الغدير ، ٣) الامامة .

١ - المدائح الدينية النبوية :

نظمت المدائح النبوية في الغالب ، بعد وفاة الرسول ، ولا زالت مستمرة الى

---

(١) مبارك ، زكي . الموازنة بين الشعراء . ص ٢٧ - ٢ جمعة ، محمد . حسان بن ثابت . ص ١٩ .
(٢) جمعة ، محمد . م . ن . ص (١٩) .
(٣) مصطفى ، قيصر . الشعر العاملي الحديث . ص ٦٢ .

اليوم ، وقد اشتهر في كل عصر عدد من الشعراء ، نبغوا في هذا المجال ، وان الشعر الذي يقال في ميت رثاء ، وأمّا المديح فلا يقال الاّ في الرسول ، وان شعر الرثاء يقال في أعقاب الموت مباشرة ، وأما اذا قيل بعده بزمن طويل فهو المديح[1] .

وعلي شمس الدين من الشعراء الذين مدحوا النبي ، بعدة قصائد منها القصيدة التي ألقاها في نادي « انصار الفضيلة » بحيفا ، وهي في ذكرى مولد الرسول (ص) [2] ويركز فيها على أخلاق الرسول ونشر دعوته .

٢ ـ مدح الأئمة :

وبعد تعلق الشيخ علي شمس الدين ، بحب الرسول الكريم ومدحه ، تعلق بحب الأئمة ومجّد مقاماتهم الطاهرة ، وكان النجف الأشرف في خاطره ، المكان السامي ، فيتوق دائماً الى زيارته للتبرك ، والاستفادة ، والاستزادة من المعارف ، غير أنه لم يستطع السفر اليه ، فصار يعوض عن رغبته بالسفر ، بتحميل بعض الذاهبين الى العراق ، قصيدة ، أو مقطوعة يرتجلها ، ويمدح القادمين منه بأروع القصائد ، وبيّنا ذلك في مدح العلماء ، وله هذه القصيدة في النجف :

قم حيّ سكان النجف ... الحي منهم والسلف
المعتلين بفضلهم ... فوق الأثير وبالشرف
هو باب حطه للذي ... بفناه ثانية وقف
فيه الإمام المرتضى ... أسد الثرى الأبقى الأعف
هو وحده من جوهرٍ ... والناسُ كلهم خزف
يرد الجحيم مخلداً ... مَنْ عن ولايته انصرف[3]
صنو النبي من بفضا ... ل جنابه الشافي أعترف[4]

ويمدح الشيخ شمس الدين في قصيدة له السيد صدر الدين شرف الدين ،

---

(١) أمين ،بكري .مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني . ص٢٥٤ حيث قال : (وكأن استبدال كلمة مديح بكلمة رثاء اشارة إلى أن النبي الكريم كأنه موصول الحياة ، نظراً لأن شريعته حيَّة ، ومن هنا قيل : حسان بن ثابت رثى الرسول ، والبويصيري مدحه ، والسبب أن الثاني قال قصائد ، بعد وفاته بزمن طويل .

(٢) القصيدة مثبتة في الملحق .

(٣) منعاً ولايته انصرف ـ الصواب : من عن ولايته انصرف .

(٤) نقلاً عن السيد عبد المهدي فضل الله .

الذي يرتقي بنسبه الى الأئمة الاطهار[1] .

خلاصة ، يمكن القول ، إن الشعر العاملي الديني ، لدى علي شمس الدين ، تلوّن بالفن الكلاسيكي ، استقى ثقافته ، من البيئة الضيِّقة ، التي اتخذت طابعاً معيناً ويعود تعلقه بالرسول ، وبالأئمة ، لأنه يرى في الرسالة ، وخطى الأئمة ، مساراً يخرجه من الآلام التي يلاقيها عبر الزمن ، وعلي شمس الدين ، واحد من رجال الدين الذين حملوا الأمانة العلمية ، والثقافية الدينية ، التي يعود الفضل في رفدها الى النجف الأشرف ، ومدارس العلم الصغيرة ، التي قامت بجهود فردية غالباً في جبل عامل . . .

٧ ـ الشعر الوجداني

الشعر الوجداني ، عودةٌ إلى النفس في ساعة الوحدة ، عودةُ الذات أمام الضمير ، تعبيرٌ عن الذات المتألمة على محرق الشعور ، وحين يبعد الأحباب ، أو عند النكبة بعزيز ، هذه العودةُ الى الذات ، الى الوجدان ، من أنقى ساعات الإنسان ، لأنها تعيده الى جادة الصواب بعد الخطأ أو الى الراحة بعد التعب .

والشعر الوجداني هو حصيلة الشعور الذاتي ، ينظمه الشاعر لنفسه ، مصوراً فيه نزعاته وخلجاته ، معبراً فيه عن آماله وآلامه ، عن أفكاره وتخيلاته ، بكل جرأة وصراحة . وقد حفل الأدب العربي في سائر عصوره ، بمقاطع وجدانية كثيرة ، تنفّس بها أصحابها عن مواجد مختلفة ، ونزعات متباينة[2] ، من امرىء القيس ، إلى طرفة بن العبد ، الى عنترة العبسي ، الى أبي فراس ، والمعتمد بن عباد ، وهناك شعراء وجدانيون كثر سقوا أقلامهم الظمأى من جراح قلوبهم ، وكتبوا بها روائع أولتها الأجيال ولاءها ، وصورتها في أرائك الخلود ، من بين هؤلاء الشعراء ، شعراء جبل عامل ، من أكثر الشعراء عودة الى الذات الإنسانية ، يبثونها الهموم ، وهم من أكثر الناس تحملاً للمصائب والآلام والغربة داخل النفس والوطن ، ومن بين هؤلاء الشعراء ، شاعرنا الشيخ الذي آلمه الدهر بفقد والده ، وهو وحيد أبويه ، من الأخوة ، ثم رأى كل المصائب التي حلت بجبل عامل بأم عينه وما أن دخل سلك القضاء ، حتى تركه بعد مدة قصيرة ، وعاد الى بلده ، ليلقى

---

(١) راجع الصفحة (١٠٢) من هذا الكتاب .
(٢) الصعيبي ، أديب . المتنبي . ص ١١٩ ـ ١٢٠

آخر أيامه العمى ، ما ان يبتسم له الدهر ساعة حتى يكظم ساعات فيهتف قائلاً :

بعد سبعين من سني وخمس | أتصابي جهلاً بصبيةِ أنس
ذهبت لذة الحياة وقد بدّ | ل حلو النعيم في مر بؤس
كنت قبل السبعين شيئاً فلما | صرت بعد السبعين انكرت نفسي
فكأن الحياة وهي ربيع | مرض مؤلم يؤول لنكس[1]

فالشاعر واقعي ، لا يرى في طرح قضية الجنس أي حرج ، كما يتهرب منها أكثر الشعراء ، فهو هنا يقول : اتصابى جهلاً بصبية انس ، وكأنه أراد استرجاع ذكريات الصبا والشباب ولكن هذا الزمان قد ولّى ، ويتألم الشاعر لذلك بقوله : ذهبت لذة الحياة ، ويرى في ذلك أفول نجمه بعد أن كان ساطعاً ، كنت قبل السبعين شيئاً وبعد السبعين انكرت نفسي ، ويبدو الشاعر هنا وكأنه يبكي على أطلال نفسه ، على أطلال شبابٍ مضى وكله لذة وانشراح داخلي ، وان كانت الظروف الخارجية غير ملائمة ، وبالموضوع نفسه يردد :

ليال وصل ما يرجى إيابُها | وساعات أنسٍ قد شجاني ذهابها
ودهر تقضى بين أرام رامة | له سهرت عيني وطال انتحابها
اذا جنّ ليلي ضاجعتني ضيئلة[2] | من الهمِّ في جنبيّ يعلق نابها[3]

وكأنه هنا يتمثل قول النابغة الذبياني :

فبت كأني ساورتني ضئيلة | من الرقش في أنيابها السم ناقع

ويشكو الأيام ومعاكستها فيقول :

أراشت هموم الدهر نحوي سهامها | وقد عزّ أن يمضي سليماً مصابها
فما مزجت إلا بريق مواردي | وللغير يصفو وردها وشرابها

والذنب ليس ذنبه :

فعتبي على الأيام ليس بناقعٍ | غليلي ولا يطفي أوامي سرابها[4]

---

(١) القصيدة بعنوان : انكرت نفسي وهي ٢٠ بيتاً .
(٢) ضئيلة : دقيقة من الحيات كالأفعى (الزمخشري : أساس البلاغة . ص٣٦٩ .
(٣) أعيان الشيعة . ج ٤٢/١٧٨ . وهي ٣٦ بيتاً .
(٤) أعيان الشيعة . ج ٤٢/١٧٨ - ١٧٩ .

ومن الشعر الوجداني ، تتسرب ثورة جامحة في النفس نقمة على مسبب حرمانها وافقارها ، فهو يثور على الحكومة ، لأنها تركت جبل عامل منسياً فيقول في قصيدة على لسان كل عاملي ظامىء :

أيشرب غيري وأبقى ظمي　　وأرضى عن الشهد بالعلقم؟
وأخضع واليد مكتوفة　　وسمهم قد سرى في دمي
وأخرس والجور ملء البلا　　د ولا ماء يمنعني في فمي
وأقعد والذل فينا محيـ　　ـق وحزمي يقول الا فاقدم[1]
واجبن مستسلماً للهوان　　ولا حق يعطى لمستسلم[2]

٨ ـ الشعر الحكمي

بدأ ظهور الشعر الحكمي في الجاهلية ، وهو محصلة اختبارات وتجارب ونضج عقلي ، واستمر هذا الشعر من الجاهلية الى عصر صدر الاسلام ، فالعصرين الأموي والعباسي ، والى يومنا هذا . وان الشعر الحكمي يتضمن رأياً مرسلاً في المبدأ ، والمعاد ، والكون والإنسان ، والحياة والموت . وهو ثمرة التجربة الذاتية ؛ أو المشاهدة العامة ، ووليد التأمل الواعي والثقافة العميقة ، وما هدف هذا الشعر الا توجيه الإنسان نحو الأفضل والأكمل والسمو به إلى حياة ناعمة المسالك ، يتحقق فيها العيش الحر ، والكرامة الإنسانية[3] .

والشاعر ، شيخ خبر الحياة بعد طول تجربة ، فذاق حلوها ومرها ، وعرف الجيد من الرديء ، والصالح من الطالح ، والمحسن من المسيء ، وبعد اكتمال هذه التجربة ، التي وعت أقسى ظروف حياته ، ومعيشته ، من حكم تركي تخللته حرب كونية أولى ومجاعة الى حكم إفرنسي ، تخللته حرب كونية ثانية ، الى حكم وطني .

بعد هذه التجربة ، نراه يتكلم حكماً ، كيف لا وهو رجل الدين ، الذي على عاتقه ، تلقى أعباء الإصلاح الإجتماعي ، وها هو بعدما جرَّب الأصدقاء ، ولم يجد فيهم ما كان يتوقعه من حسن معاملة ، قال :

(١) اوأقعد والذل فينا محاق وحزمي يقول الا فاقدم ، والصواب : والذل فينا محيق .
(٢) العرفان ـ مج ٩ و ١٠ / ٤٦١ . وفي أكثر من مصدر آخر .
(٣) صعيبي ، أديب . المتنبي ص ١٢٢ ـ ١٢٥ .

خلّني من بني الزمان قديماً وحديثاً فليس يومي كأمسي
فاجعل الكوخ موطناً وتخلَّ عن جميع الأنام جنّ وأنس

ويتابع :

قل لمن غره من الدهر لين فبنى ما بنى على غير أس
خل عنك الغرور بالدهر فالدهر يعيد الزاهي نمواً ليبس
ثم يهوي بالمرء بعد صعود من علٍ واسع إلى ضيق رمس[1]

وله رأي في الحياة ، بعد أن تسير به من حال الى حال فيقول :

هكذا هكذا الحياة وخير النا س من أبقى بعد موت ذخيرة
فاذا عاش عاش في الناس حراً طيباً ذكره كريم السريرة
واذا مات قالت الناس خلفت تراثاً فنم بعين قريرة

وان خانه صاحب يتذمَّر ويقول :

فلا خير في ود يكون بلا وفا ولا في خليل عرضة لملام
فكن رجلاً حي الشعور ولا تكنِ بوجهين أو فاشرب كؤوس حمام[3]

وله أيضاً :

المرء في حفظ الزمام لخله وأخو الملالة حبله مقطوع[4]

وكذلك يقول :

فكن حر الضمير تعش كريماً فما للحر في الدنيا مهين[5]

والشاعر حكيمٌ يضمِّن حكمه معنى باطنياً ، اذ يَسْخَر ممن لا يروقه ، بتوجيه النصح اليه :

برق أمالك خلب أيها الغر المذبذب

الى أن يقول بعد بيت :

---

(١) القصيدة بعنوان : « أنكرت نفسي » . نقلتها من دفتر السيد حسن الأمين .
(٢) الأبيات من قصيدة : أنا لو تعلمين يا مي شاعر قالها رداً على « مي زيادة » .
(٣) الأبيات وجدت في العرفان م ٧/ ١٢١ وهي مرتجلة .
(٤) العرفان ٧/ ١٢١ .
(٥) العرفان ٧/ ١٢١ .

وابتسم انساً اذا ما عبس الدهر وقطّب

ويتابع :

وخذ العزلة دأباً فالورى في جلد أجرب
وخذ الصمت شعاراً انه أسلم مركب
وتخلَّ عن أناس جعلوا جدك ملعب
وهم باللين أفعى وبصدق اللسع عقرب
تعب المرء حياة وهم لا شك أتعب

إلى أن يقول في الختام مخاطباً هذا اللاهي المستهتر :

فطريق العز صعبٌ والرضى بالذل أصعب
ذبّ عن حوضك يسلم فاخو الهمَّة من ذبْ
كم جهول لعماه عن طريق الرشد نكّب
عاش ما عاش مهان النفس مرذولاً معذب[1]

والشاعر لا يشرب الخمرة ، ولا يحب أن يشربها غيره ، لأنه يرى في ذلك اتلافاً للجسد فيوجّه هذه القصيدة ، نصيحة وحكمة لمن يشرب الخمرة فيقول :

سلبت حشاك بدنها وبجامها حرباً يميت حجاك رشف سمامها
تبدو لعينيك وهي باسمة على حقد يريع الأسد في آجامها
ولها تتوق ولو علمت بما لقد طبعت عليه هربت من آلامها
كمنت لقتلك تحت ماء بارد والنفس رهن شرابها وطعامها

بعد أن يستعرض ما اوصلته اليه الخمرة يقول :

تبكي وتضحك في أوان واحد والنفس طافية على أوهامها
وجعلت نفسك زق خمر فاغتدت وهي العزيزة فيك رهن سقامها[2]

وفي قصيدة أخرى بعنوان « فليتها أرته حال المشفق » يقول :

دع الذميل وبناقك ارفق وبت معرساً بوادي الأبرق
وكم بها من زفرةٍ لعاشق عن قلب صب بالجوى محترق

---

(١) العرفان : م/ ٩ ص ١٦٨ . ٢) الوطنية والحياة ص ١٥ .
(٢) العرفان : ٢٣/ ٢٥٩ . سنة ١٩٣٢ م .

ويختم قائلاً :

والأروع الباسل كل ساعة يستقبل الخطب بوجه طلق
والجبل الشاهق في علوه معرض لكل سيل غدق
والبدر يعلوه خسوف ظاهر فينجلي قبل انجلاء الغسق[1]

ومن خلال اطلاعنا على شعر الرجل ، نجده مقلداً للشعراء القدماء في نظراتهم وحكمهم ، وهذا يعود الى تأثره بهم ، من خلال الاطلاع على ثقافتهم ودراساتهم ودواوينهم ، ولأنه خاض تجربة كبيرة في حياته ، من خلال التقلبات الكثيرة في السياسة والقضاء والفقه الشرعي .

٩ ـ التأمل والفلسفة

تعني الفلسفة ، إنها نظرة إلى العالم ، وشكل من أشكال معرفة الواقع ، الذي هو الإنسان والمجتمع والطبيعة ، وهي موقف يعكس الوعي الاجتماعي إلى جانب الأشكال الأخرى ، التي يتمظهر فيها هذا الوعي الإجتماعي ، وباعتبارها موقفاً اجتماعياً ، فهي ذات بعد أيديولوجي ، يعبر عن المصالح المادية للطبقات المختلفة[2] ، وللفلسفة معنى أدق ، وهي انها التفكير الحر المنظم ، والمتناسق والواعي ، وبهذا ، يخرج المقلد أو العامي ، وكذلك المواقف العشوائية أو التي ليس للفرد الواعي ، كفرد ، نصيب في صوغها وادراكها وتقبلها[3] .

والتأمل الباطني امعان النظر في حوادث الشعور وضبط صفاتها مع تقريب بعضها من بعض للكشف عن قوانينها[4] وهو النظر بعمق إلى كيفية خلق الإنسان والحيوان ووجود الماء والهواء ، وما في الكون من أسرار الأرض والسماء ، الكواكب والنجوم ، ويشمل المجتمع البشري ونظامه وأديانه ، والتأمل في النظام الحيواني ، كالنحل ، والنمل ، وطريقة أكله ومعاشه ، كل هذه تأملات في الوجود . « والشعراء العامليون ، اتصلوا بمصادر الفكر العالمي الحديث ، واطلعوا على التراث الإنساني ، وكان لذلك أثر بارز في توجيه أفكارهم ، وتحديث آرائهم

(١) الوطنية والحياة . ص ٦٧ ـ ٦٩ من قصيدة بعنوان . « دع الذميل وبناقك أرفق » .

(٢) الألوسي ، حسام . دراسات في الفكر الفلسفي الإسلامي . بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر . ١٩٨٠ ص ٤٧ .

(٣) م . ن . ص ٤٧ .

(٤) المنجد في اللغة والاعلام . بيروت ـ دار المشرق ـ المكتبة الشرقية ط ٢٣ ص ١٨ .

ومعتقداتهم ، فقد اطلعوا على الفلسفة اليونانية ، والفارسية ، والرومانية ، والهندية القديمة ، بالروح نفسها التي أكبوا فيها على دراسة الفكر الحديث ، والنظريات الجديدة ، كالوجودية والاشتراكية والماركسية وفلسفة داروين ونيتشيه »[1] .

وشاعرنا ، من الشعراء الذين اخذوا من الحكمة والثقافة بطرف ، فهو ملتزم بالجانب الديني ، يرى في الله (سبحانه وتعالىٰ) المسبب الأول ، لخلق الإنسان والروح ، والكون ، وقد ترك لنا قصيدتين طويلتين ، الأولى تحت عنوان « عجائب القدرة »[2] وتبلغ ١٢٩ بيتاً والثانية بعنوان « نحن والحياة »[3] وتبلغ ١٥٠ بيتاً .

ففي القصيدة الأولى يتكلم عن تكوين الإنسان وخلقه ، وعن الروح ، وعن تكوين الإنسان وولادته عارياً ، الى معاملة الأم له ، ومعاناتها حول سريره ، ومن أجل تربيته ، وأغانيها الحلوة ، وحدائها الرائع ، ثم ينتقل ليتكلم عن الطائر الثاني في بناء عش الإنسان ، وهو الوالد ومعاناته أيضاً من أجل التغلب على مصاعب الحياة فيقول :

قلت آهاً فقال الصحب آها   ما أمر الدنيا وما أحلاها
دار بؤس يشقى بها كل حي   عرَّفتني في المهد طعم شقاها
كنت في الكون ذرة لا تبالي   بنعيم الدنيا ولا بعناها

الى أن يقول :

مضغة كنت ثم صرت جنيناً   أتغذى من طمثها ودماها

وهنا يتمثل بقوله تعالىٰ عن خلق الإنسان من نطفة

فاذا العظم تم لي واكتسى اللحـ   ـم ووقت المخاض قد وافاها

وهنا يتمثل أيضاً بقوله تعالى (وكسونا العظام لحماً)

ويتابع ليقول :

وضعتني كرهاً لأضيق دار   أين سكنى الأرحام من سكناها

---

(١) مصطفى ، قيصر . الشعر العاملي الحديث . ص ٣٨٤ .
(٢) شمس الدين ، علي . الوطنية والحياة . القصيدة الأولى من ص ٤٦ ـ ٥٣ وهي ١٢٩ بيتاً.
(٣) م . ن . ص ٥٣ ـ ٦٢ . ١٥٠ بيتاً

ويتكلم عن الأم :

والى جانب السرير رؤوم ... أغرقتني بالنزر من نعماها
مجهشاً بالبكاء وهي تقاسي ... ما تقاسي من خوفها ورجاها

وعن الأب فيقول :

باذلاً جهده لعيشي برغد ... سارياً في سعادتي مسراها
يجلب القوت لي ولو من أقاصي ... الأرض لا يرعوي ولا يتلاها
هذه حالتي وقد كنت طفلاً ... لست أدري الحياة ما معناها

ويبدأ بوصف النملة ، وحياتها ، وقوتها ، وبيتها وذكائها ومعاناتها :

أنظر النملة الصغيرة في الحجـ ... ـم وسلها هديت عما عراها

وأخيراً يعطي الموعظة :

عظة أنت يا ابنة الأرض في الأ ... رض فيا للقلوب ما أعماها

ثم ينتقل الى العنكبوت وبيتها وطريقة صيدها فيقول :

وانظر العنكبوت أي بلاء ... لقيته وأي خطب عراها

ويتعجب من طريقة عملها :

عمرك الله هل بمعهد علم ... علموها أم منحة تعطاها ؟

ثم النحلة وكيف تخبر البقاع ، وتحلل الزهر ، والورد الذي يصلح للشمع ، وذاك الذي يصلح للشهد فيقول :

هندسة لكن على خير شكل ... فيه ظلّت أهل العقول هداها[1]

وعن الخفاش وسر حياته ، يقول :

وبحال الخفاش ويك تأمل ... فبها عبرة لمن قد وعاها

ويبدو هنا خبيراً بالحيوانات وعاطفتها :

ذو اعتناء بولده يبهر العقـ ... ـل وعطف من الردى انجاها

---

(١) الوطنية والحياة : ص ٤٦ ـ ٤٧ .

ويصل إلى العبرة :

عبــرة أنــت أيهــا الحي فـي الـد نيــا تعــالى مـدبـر انشـاهـا

وبعدما تحقق للإنسان كشف أسرار التربة ومحتوياتها ، النجوم ، المعـادن ، الكهرباء ، آلة البخار ، وغيرها .

وبعد أن يكمل عرض سيطرة الإنسان على كل ما في الطبيعة وهو القوي ، يعود ليقول ان الحكمة في ضعف هذا المخلوق القوي .

أنـت في الضـعف مثلما انــت في القـ ـوة فــالــكـد لـو علمـت سفاهـا
أنـت فـي كـل ساعـة عـرضـة المـو ت عليـك الأنفـاس قـد أحصـاهـا

وينصح الإنسان :

كيف ترجــو الخلــود في دار دنيا ظاهــر غدرهــا سريع فناهـا
وتقيم القصــور للبــذخ والطـو ل عليهــا وقــد لقيت أذاهـا
فتبصر ودع عنــاءك فيهـا فبتـرك العنـا لنفس غناهـا
أين عاد أو من أتــى بعــد عاد وقصــور قد شادهــا وبناهـا؟
أين لقمان ان أردت بياناً ونســوراً لصرحــه اواهـا؟(١)

خلاصـة ، الشيخ مجرّبٌ وعـى الحياة ، إطلع على أسرار الوجـودِ ، قارن بين ما شاهده من خلق الإنسان ، والحيوان ، والأشياء ؛ وما جاء عنه في القـرآن الكريم ، فاقتبس من كتاب الله . وله بتجربته الشخصية مع الحياة تأملات لأدق الأشياء وأصغرها ، يأخذ منها العبرة عن عظمة الله في سير خلقه ، وضرب لنا أكثر من مثل ، كالنحلة ، والنملة ، والعنكبوت ، والخفاش وطريقة معاشها ويبدو أيضاً أنَّه اطلع على « حيوان الجاحظ » أو ماثل الجاحظ الهمَّة والتنقيب ، ويختتم دائماً بحكمة ، وحكمته هنا كل شيء زائل ﴿ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾ .

١٠ ـ الفخر والحماس

الفخر والحماس من الأغراض القديمة في الشعر ، فقد كان الفخـر فردياً ، يقوم على مدح الذات والتباهي بمحامدها ، ثم أصبح جماعياً ، يتغنى بمآثـر الآبـاء

---

(١) الوطنية والحياة . ص ٥٠ ـ ٥١ ـ ٥٢ ـ ٥٣ .

والأجداد ، إلاّ أنه لم يكن يمت إلى الدين بصلة ،وان حماسة القدماء بسيطة وطبيعية ، وتمدحٌ بالشجاعة الفردية ووصف لها وإغراق في الذاتية[1] .

أما الفضائل التي تمدَّحوا بها : فهي الكرم ـ حسن الضيافة ـ الشجاعة ـ المروءة الحفاظ على الجار ـ الحرص على نقاء العرض ـ العفَّة وحماية الملهوف[2] وتطور الى فخر بالوطن وحماس بالدفاع عنه .

والعامليون عرفوا الفخر والحماسة في شعرهم ، فاتجهوا به للتحريض ضد المستعمرين الذين احتلوا الوطن ، واستباحوه ، فأخذ الشعراء يذودون بألسنتهم عن الوطن وقضيته يدافعون عن قداستها ، والشاعر علي شمس الدين ، لم يتأخر عن ركب الشعراء اللبنانيين ، والعامليين تحديداً ، بل أخذ على عاتقه الشعر التحريضي ، الذي إنْ صحتْ التسمية على شعره ، لأسميتُهُ « بالشعر التحريضي » عنده بدلاً من شعر الفخر والحماسة لأنه وان كانت الحماسة تحريضاً فشعره تحريضي خالص ، وصرخات مرة لم تلقَ أذناً صاغية وها نحن نستعرض أنموذجات من شعر الفخر والحماسة عنده .

فخره واعتزازه بنفسه

من المعروف أن الشاعر ، كان لا يتكلف في مظهره ، وعندما التقى الأديبة الشاعرة مي زيادة أنكرت أن يكون هذا الرجل شاعراً ، أو أديباً ، فعيرته ببؤسه ، فخرج المارد الشعري من القمقم معتزاً بنفسه ، التي لا يهمها الأقمشة البالية ، بل تلك الشفافية في تلك الروح المرحة فقال :

لي نفس سمت إلى الأفق الأ ... على فمن دون شوطها كل طائر
أدركت كل غامض وتولت ... تتوخى سبر النجوم الزواهر
فهي ملك محجب فوق كر ... سي شعور مقرها في الضمائر
جندها الخمسة اللطاف وعنها ... تتلقى الخمس اللطاف الأوامر

وهنا يفتخر بنفسه ولكن على لسان مي :

عجبت ميّ من مقالي وقالت ... أنا مما سمعت منك بحيرة
ظاهر مزعج وسمت مشين ... حدَوْا بي على اقتحام الجريرة

---

(١) أمين ، بكري . مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني . ص ١٢٦ .
(٢) الصعيبي ، أديب . المتنبي . ص ٩٦ .

وثياب رثـت عليـك ولكـن تحـت تلك الثياب نفس كبيرة
ملئـت حكمـة منهـا عليهـا وهـي لطف حمـل الأمـور الخطيرة
سخـرت بالحياة لما رأتها انهـا ان تطـل ليال قصيـرة[1]

ويتابع فخره بنفسه ، ومدحه لها ، من أجل صمـوده أمام معـركة الحياة الصعبة قائلاً :

ما استلانـت للفخـر مني قناة لا ولا أضعفـت يد الدهـر حسي
أنـا من قد علمـت صعـب قيادي مسـتحيل على المنـاويـن مسـي[2]
لو عرانـي الظمـا وفي الـورد ذل وامتهـان طويـت خمسـاً بخمس
قل لمن غره من الدهـر لين فبنـى ما بنـى على غـير أس[2]

ويقول على لسان كل عاملي يحب وطنه لبنان :

أنـا فرع من دوحِ لبنـان ذي الأر زِ ونفسي معـدودة من نفوسـه

الى أن يقول :

وطني (عامـل) وقـد عشـت دهري تحـت أقمار أفقـه وشموسه
فسعـودي منـه اذا رمـت سعداً ونحـوسي مأخـوذة من نحوسـه[3]

وفي هذه القصيدة القومية ، اعتزاز بالشجاعة التي هي صفـةٌ من صفـات النفس الحميدة فيقول في لقاء مع الشاعر أحمد شوقي «عن ليبيا» وقد احتلها الطليان ١٣٢٤ هـ .

فما الشجاعـة سيف أنـت حامله ولا قنـاة ولا درع ولا علـم
بل الشجاعـة اقـدام يشيعـه حزم تطـير به الهامـات والقمم
من لي بذي نجـدة في ثوبـه بطل في نفســه شيـم فـي انفـه شمم
لا يرتضي الـذل في حلٍ ومرتحل ولا تزل له في موطـىء قدم[4]

---

(١) القصيدة بعنوان «أنا لو تعلمين يا ميّ شاعر» .
(٢) تابع قصيدة «أنكرت نفسي» . المناوين : من نوى . وأصلها «المناوئين» .
(٣) القصيدة من ديوان «الوطنية والحياة» ص ٧١و٧٢ . ٢) مكي ، محمد كاظم . الحركة الفكرية والأدبية . ص ٢٦٤ .
(٤) الوطنية والحياة ص ٢٩ .

شعر الحماسة

إن كان شعر الحماسة يلقى أيام الحروب ، لإثارة الهمم ، والدفع باتجاه العدو ، ومحافظة على الشرف والكرامة ، وذوداً عن الأرض والوطن ، فالحقبة التي ازداد شعره الحماسي فيها تحريضاً، حقبةمبكرةجداً بالنسبة لسنه،ومتأخرة جداً عن الشعراء العرب الذين انقسموا بين موالٍ للسلطةِ العثمانية ، ومعارضٍ لها ، ومنهم من طالب بالبقاء تحت سلطتها ، ومنهم من طالب بالإستقلال الداخلي ، ضمن هذه السلطنة ومنهم من عارضها ووقف الموقف الإصلاحي ، « الموقف الوسط بين النزعتين التقليدية والتحديثية » ، التقليدية هي موقف اعتمد أصحابه على العودة بالإسلام ، إلى صفائه الأول ، بهدف مواجهة أشكال التجديد والتغيير ، التي هبت رياحها على العالمين العربي والإسلامي . والموقف التحديثي، هو موقف كان أصحابه يرفضون العودة الى ما سلف ، وقد استلهموا من الفكر الأوروبي الليبرالي ، فرضيات معينة ، لتحقيق أية نهضة أو انبعاث . أما أصحاب الموقف الاصلاحي ، فيريدون حماية الاسلام ، ومن ثم ولوا وجوههم شطر المدنية الغربية ، والعلوم الحديثة بشكل خاص ، وعملوا على التوفيق بين جوهر عقيدتهم وبين هذه العلوم والمبادىء[1] ، ومن أصحاب الموقف الإصلاحي : الشيخ أحمد رضا[2] والشيخ سليمان ظاهر ومحمد جابر آل صفا والسيد محسن الأمين وعلي مهدي شمس الدين ومحمد علي الحوماني، هؤلاء جميعاً شهدوا الدولة العثمانية قبل زوالها وبعده ، فالفكر العاملي السياسي والاجتماعي قبل زوال الدولة العثمانية ، قد أتسم بالحس الاسلامي المطالب باصلاح حال المسلمين للعودة الى مجد الأمةِ السالف .

ولو ألقينا نظرة على شعر الشيخ علي ، في حقبة ما قبل زوال الحكم العثماني ، لوجدناه تحريضياً خالصاً ، يدعو أبناء قومه للنهوض من الكبوة ، يدعوهم للمجاهرة بآرائهم ، للتمرد والعصيان ، يحضهم على طلب العلم ورفض الجهل ، ويبين ما لهذا الجهل من أظافر تنشب في جسد المجتمع والوطن ، والشاعر من خلال قصائده العديدة ، يبدو لنا مجرباً واعياً ، عرف الحياة واطلع على كل أمثلة تحرير الشعوب ، وكما يبدو فالشاعر عُرف مبكراً بهذه النفحة الحماسية التحررية ، لأن من

(١) فرجات ، هاني . الثلاثي العاملي في عصر النهضة ص ١٨١ ـ ١٨٢ .

(٢) الشيخ أحمد رضا ولد عام ١٢٨٩ هـ وتوفي عام ١٣٧٣ هـ (١٨٧٢ ـ ١٩٥٣) كان عضواً في المجمع العربي بدمشق ، صاحب متن اللغة ، خمسة أجزاء وله عدة مؤلفات مطبوعة ومخطوطة وهو مؤسس جمعية المقاصد الاسلامية في النبطية .

يطَّلع على مناسبات القصائد ، التي قال فيها الشعراء العامليون ، يَرهَ يشاركهم هذه المناسبات وحتى ان مجلة العرفان الغرّاء أوردت تعريفاً به ضمن مجلدها الثالث اذ تقول :

« الشيخ علي مهدي شمس الدين ، شاعر حماسي يقذف شعره نوراً وناراً ، نوراً تتألق به محيا الحمية والشرف ، وناراً تصلي من يريد أن تنزل عليهم شواظها ما هو أشدُ من نار الجحيم ، وإن الأمة وهي في دور الخمول ، أحوج الى شعراء حماسيين يوقظونها من سباتها المتطاول الأمد ، الى شعراء متغزلين أو مادحين ، يزيدون في طنبور مصائبها انغاماً »[1] .

عروا السيوفَ من الجفونِ ... فالخلقُ مأدبة المنونِ
وتعلَّموا ان الحيا ... ةَ الموت في الحرب الزبونِ
لا خيرَ في عيش يقيـ ... ـم به الفتى في دار هون
زحفاً فقد آن الجها ... د ولو على هدب العيُون

ويذكرهم بحسبهم الشريف ودينهم :

أفيرتضي بمذلة من كا ... ن ذا حسب ودين؟
قودوا الجياد على وجاهـ ... ـا وهي دامية العيون

ويذكر الناس بسبب مذلتهم :

والذل ان يبقى الفتى ... غرضاً لأرباب الظعون[2]

ويحث الناس قبل أن يحضهم مذكرهم بمواقفهم المجيدة :

أفتبعثوها غارة ... تبقى على مر السنين
أم تسلمون مكانة ... من دونها حبل الوتين
كم وقفة لكم يشيـ ... ـب لهولها رأس الجنين

الى آخر هذه القصيدة الحماسية ، التي يرفض بها الذل ، ويدعو للإنتفاض

---

(١) العرفان م ٣/ ٢٩٣ ـ صيدا ١٩٢٧ (قال هذه القصيدة إبان معضلة كريد « وكريد » هي احدى ولايات السلطنة العثمانية ، اذ يقول السيد جمال الدين الافغاني في حوار مع السلطان عبد الحميد : قلت يا مولاي . ان السلطنة العثمانية تتألف اليوم من ثلاثين ولاية . . . ثم الى جزائر بحر سفيد وكريد أدرنة وسلانيك فتجعلها خديوية . ١) المخزومي ، محمد . خاطرات جمال الدين الافغاني ص ٢٣٨ ـ ٢٣٩ .

(٢) العرفان م ٣ / ٢٩٢ .

على واقع سقيم ويصل الى هجاء عبد الحميد بقوله :

ولأنـت يـا عبـد الحميـ ـد أضـر مـن داء دفيـن
ذق مـا جنيـت فطـالما أسـقيتنـا جـرع المنـون[1]

والشاعر علي شمس الـدين ، في موقفـه التحـريضي ، يشبـه موقف زعماء الإصلاح أمثال ، الأستاذ الامام محمد عبده وجمال الدين الأفغاني وغيرهم وكلهم نادوا بصلاح هذه الأمة ، وشاعرنا المصلـح المحـرض يسـوؤه أن يصـدّر العـرب الحضارة للغرب ، ومن ثم يطغى هذا الغرب ويتفوق ، وينحدِرُ العربويتنكرون لتراثهم :

بني الغـرب لا لومٌ عليكم ولا عتبُ فحربُـكم سلـمٌ وسلمُـكم حربُ
تمدنُـكم في الطبـعِ أفضى لحالةٍ تذل لهـا في غابهـا الأسـد الغلب
ترقيتـم حتـى اغتـدت دون شوطكم على شانهـا الجـوزاء والأنجـم الشهب

ولكن تفوق هذا الغرب في صنع الديناميت ، « والمترليوز » ، وسائـر طرق الموت ، يزيده تحمساً لقومه النيام ويفضلهم على أهل الغرب :

وأظهـرتـم سيمـا التمـدن خدعـة وأخفيتـم ما ليس تحملـه الهضب
« بمنطادكم» هاماتـكم قد تطايرت ومن ثغر « مترليوزكم » عمكم كـرب
فعلتم بجوف الأرض في « اتربيلكم » لأهـلاككم ما ليس يفعلـه الضب
وان « بديناميتكـم » قد دنـا لكم حمامـكم فليستعـد الشرق والغرب

الى أن يرى في ذم الغرب فخراً فيقول :

أمـن آدم أنتـم وحاشـا لآدم بأن يتبنـاكـم ويشملـكـم قرب؟

ويرى نهايتهم المؤسفة :

فكالشـاة رحتـم باحشـين بظلفكم على حتفـكم والجهـل مركبـه صعب
فسـوء نواياكم رمـى بعديدكم الى هوة لا الماء فيهـا ولا العشب

والشاعر تهتز أوتاره حزناً ، ويثور غضباً لأن وجنات « طرابلس الغرب » في ليبيا ، قد دنسها الطليان ، واعملوا فيها القتل والنهب فقال :

---

(١) العرفان م٥ / ٣٩٦ تحت عنوان المدنية والغرب وهي ٢٥ بيتاً .

الا يا أباة الضيم طال سباتكم زماناً ولم تغمد بهام شباتكم
لقد أوردتكم حوض ذل عداتكم فأين مواضيكم وأين أباتكم
فعهدي بكم لا ترقدون على وتر

ويدعو للإنتفاض :

فأين الحجى ، أين الحمية والإبا وأين الحفاظ المر عنكم تغيبا ؟
فان يك سيف العزم منكم قد نبا وزند علاكم سقطه اليوم قد خبا
فكونوا نساء واسكنوا داخل الخدر[1]

الى أن يقول مشجعاً :

فلا خير فينا ان قعدنا عن التي بها نعلها عن موطىء الرشد زلَّت
فان تك أيام التخامل ولّت وسحب التواني عنكم قد تجلت
فهبوا وفاجوا القوم بالقتل والأسر

وهو في هذا الطلب ، يطبِّق شريعة الله في خلقه ، ﴿ العين بالعينِ ، والسنُ بالسنِ ﴾ أي قتل من قتل أهالي طرابلس ، وأسر بناتها ونساءها .

وهنا يذكر الناس « بطسم » و« جديس » من العرب البائدة ، أيام المعارك :

جديس لما قد نالها يوم عرسها تولت بني طسم الطغاة بنفسها
وعضَّت على الأمر العظيم بضرسها وجرَّت حراباً كالأفاعي بنهسها
بها تركت طماً موائد للنسر

ويستمر في التحريض ، الذي يطغى على روح هذه القصيدة :

فان أنتم لم تغضبوا بعدها ولم تحنّوا الثرى من وقع أسيافكم بدم
ولم تجعلوها عن أعاديكم حرماً فلا حملتم للعلى منكم قدم
ولا ضربت فيكم عروق الى فخر[2]

---

(١) العرفان م٣/ ٩٣٨ ـ ٩٣٩ وقد ورد التعريف التالي نسبة الى موضوع القصيدة « انما حصر الثارات في الاسلام بأن القتلى والمرتكب معهم أنواع الفظائع الوحشية في طرابلس هم مسلمون » .
(٢) العرفان . م٣/ ٩٣٨ ـ ٩٣٩ .

الى آخر هذه القصيدة ، التي يدعو فيها الناس ، الى الغضب والإنتقام ، من الطليان الذين أضاعوا رشدهم في هذه الحرب البشعة .

وهكذا اذا أردنا اكمال مسيرته مع الحماسة ، لن تنتهي رحلتنا ، لأنه ترك ديواناً خاصاً في « الوطنية والحياة » . أغلب قصائده تدفع للنهوض ، الى جانب الأغراض الشعرية الأخرى . . .

١١ ـ الشعر الوطني

الوطن أرض التصق بها أناس يقدسونها ، ويدافعون عنها . دماؤهم مباحة في سبيله وكرامتهم معدومة بدونه ، إنه مصدر الكرامة وينبوع العطاء ورمز الشموخ والإباء والويل كل الويل لمن يميل بعاطفته عن حب أرضه ووطنه .

وللوطن حق على المواطن في الدفاع عنه ، وخدمته ، وافتدائه بروحه ، ودفع عنه كل الأضرار وكذلك للمواطن حق على وطنه ، في التمتع بحقوق البلد الذي ينتمي اليه الإنسان ، ويتمتع بالحرية التامة فيه ولكن هذه الحرية مشروطة ، فيقال « وطني » ومعنى ذلك أنه يتمتع بحقوق بلده وأعظم هذه الحقوق الحرية التامة في الجمعية التأنسية ولا يتصف الوطني ، بوصف الحرية الا إذا كان منقاداً « لقانون الوطن » ومعيناً على اجرائه[١] .

وبهذا التعريف في حقوق الوطن والمواطن ، لا بدّ من أن يكون الوطن متحرراً لكي يتمتع فيه هذا المواطن بحقوقه المدنية والدستورية ، فكيف إذا ما أفاق الإنسان على وطنه وقدسيته تدوسها أقدام المحتلين الغزاة فلا بد انه سينتقم من الغزاة الذين استلبوه كرامته ان كان غريباً دخيلاً أم عميلاً داخلياً وهذا ما جرى فعلاً مع شاعرنا الذي استيقظ على قرع بساطير الجند التركي ، يمتهنون كرامة وطنه ، ويسوقون إخوته الى العسكرية التي تعني الموت المؤكد ، وعن هذا قال محمد جابر آل صفا « وضعت الحكومة قانون التجنيد الاجباري ، وأسمته « القرعة المحمدية » ، وفرضته على الطوائف الاسلامية وأعفت منه الطوائف غير المسلمة[٢] ولم ينج من طلب العسكرية أحد حتى رجال الدين ، وعن هذه يحدثنا السيد محسن الأمين عن « الطلب للعسكرية أولاً ثم ثانياً » فيقول : « ثم طلبت للعسكرية

(١) عمارة ، محمد . الاعمال الكاملة لرفاعة رافع الطهطاوي . ج ٢ ص / ٤٣٣

(٢) جابر ، محمد . تاريخ جبل عامل . ص ١٦٧

بعد الطلب الأول ، ولم تكن طلبة العلم في بلادنا معفاة »[1] .

وفي هذا الوقت الذي كانت فيه تركيا تفرض الضرائب المتعددة على الناس كالأعشار[2] والعشر يستوفى عن المحصولات الأرضية ، ثم « ويركو الأغنام »[3] وهي التي تفرض على الأراضي غير المزروعة التي تكون في حالة المرعى ، ومن ثم ويزكو الأملاك[4] والتمتع وكانت تؤخذ عن البساتين والأراضي التي لا تدفع العشر وعن المساكن والعرصات والأبنية المخصصة للتجارة والصناعة ثم عشر الحرير[5] ، وثم رسوم المسكرات[6] ، وهو جباية عشرة في المئة من مدخول منتجي الخمر والعرق وسائر المسكرات ، واحتكرت الدولة انتاج الملح[7] ، ومن ثم استوفت مال الاعناق ، وقضى النص بأخذ الجزية من أهل الكتاب ، فأدوها جزية حتى منتصف القرن الماضي ، وثم الكمرك[8] ، ويؤخذ على الصادرات والواردات والترانزيت . كل هذه الضرائب الفادحة الى جانب توكيل مهام جمعها الى سماسرة وعشارين ، لا تعرف قلوبهم الرحمة ، ساءت أحوال الانسان في لبنان ، وفي جبل عامل خاصة ، حتى ضاق الناس ذرعاً بأحوالهم ولم تكن حال الشعب في عهد الانتداب الفرنسي ، بأفضل منها في عهد الحكم التركي ، إذ ساءت أحوال الناس ودب الفقر وكان قوام اقتصاد جبل عامل التبغ ، الذي صادرته الشركات ، ثم القمح والشعير .

والحكومة ماذا كانت تفعل في ظل هذه الأجواء ؟ ففي العهد التركي « قلما كانت الدولة تهتم للفتن الا اذا التهب شرّها ، وخِيفَ منها على سلطانها ، وندَر أن أعدت المعتدين ورفعت ظلامة المظلومين ، ولماذا تهتم وكل قطر نشز عليها ، تضربه بعسكر من أهل القطر الأقرب اليه ، إنْ لم تستطع ضربه بأبناءِ بلده انفسهم وإذا خافت من والٍ أو صاحب إقطاع تُسَلِطُ عليه خصمه أو جاره فالناس أبداً متعادون متشاكسون والإلفة مرتفعة »[9] .

---

(١) الأمين ، محسن . حياته بقلمه وأقلام الآخرين . ص ٣٣

(٢-٣-٤) رستم ، أسد . لبنان في عهد المتصرفية ، بيروت دار النهار للنشر . ١٩٧٣ ص ٩٣

(٥) م . ن . ص ٩٤

(٦) م . ن . ص ٩٥

(٧) م . ن . ص ٩٥

(٨) م . ن . ص ٩٦

(٩) الزين ، علي . العادات والتقاليد في العهود الاقطاعية . بيروت دار الكتاب اللبناني . القاهرة ، دار الكتب المصرية . ط. ١ . ١٩٧٧ ص. ٥١ . نقلاً عن الخطط ، م ٢ ص ٢٧٧

وإذا كانت الدولة المستعمرة تعمل ما تمليه عليها مصالحها فما هو موقف الزعماء ورجال الدين والأدباء والشعراء ؟ـ لنبدأ أولاً بالزعماء

(موقف الزعماء) .

الزعماء كانوا منشغلين بالخلافات فيما بينهم ، كما ذكرت حتى إن الخلافات كانت تنشب داخل العائلة الواحدة كما جرى بين « علي بك الأسعد وتامر بك الحسين ثم بين علي بك الأسعد وشبيب باشا ونجيب بك وناصيف باشا ثم بين خليل بك الأسعد وشبيب باشا ثم بين كامل بك الأسعد وشبيب باشا أيضاً »[1] .

وقد انتصر لكل طرفٍ منهم شاعرٌ عاملي ، وكان همُّ هؤلاء الزعماء أحوالهم الشخصية ، وكانوا يضربون بالمصلحة الوطنية عرض الحائط حتى انهم كانوا يسلِّمون من يقوم بالثورة ضد المحتلين، ومَنْ لا يعرف عن « كامل بك الأسعد » انه غدر بالثائر البطل نمر الفاعور[2] وسلمه للسلطات العثمانية حيث قتلته بالسم[3] وكذلك وقف في وجه رضا الصلح وعبد الكريم الخليل، فاما غضبه على الصلح فلأن الصلح كان له « عطف خاص على جبل عامل ورثه عن أبيه أحمد باشا الصلح المعروف بسعةِ المدارك وجلائل الأعمال ، وقد تنقل رضا بك في حكومات جبل عامل وتسنم مراكزها ، وله فيها آثارٌ خالدة ، وأعمالٌ مبرورة ، قدرها أعيان العامليين على اختلاف منازعهم ، فأحلوه محلاً رفيعاً ، والتفوا حوله يسترشدون برأيه الصائب ومنهجه الوضاح » . وكان كامل الأسعد ، لا ينظر بعين الرضى ، لمنزلة رضا بك الصلح الممتازة ، في جبل عامل ، ويحسب انَّ تدخله في شؤون البلاد ، اعتداء على سلطته التقليدية ، ولذلك كانت سياسته في الجبل ، دائماً تصطدم بسياسة رضا بك ، ويكون الفوز فيها غالباً للأخير ، واشتد العداء بينهما ، خلال الانتخابات النيابية ، قبل الحرب الكبرى وبعدها ، وأما كرهه لعبد الكريم الخليل ، فلأن الخليل رشح نفسه للنيابة عن جبل عامل في البرلمان العثماني ، معتمداً على مساعدة بعض موظفي الدولة ، ولأن كثيرين من أعيان الشيعة ، يمتُّ اليه بصلة الصداقة ، والنسبّ ، ولأنه يدين بمذهب الشيعة الامامية ، وكان كامل

---

(١) جابر ، محمد . تاريخ جبل عامل ص ١٦٩

(٢) نمر الفاعور . من الحولة . كان ثائراً على الدولة الفرنسية ، سلم الى السلطات التركية من قبل كامل الأسعد حيث مات مسموماً .

(٣) مصطفى ، قيصر . الشعر العاملي الحديث ص ١٣٤

بك يحسب ان النيابة عن الشيعيين في جبل عامل ، حق من حقوقه ، لا تجوز لسواه مهما كانت هويته وكفاءته [1] .

(موقف رجال الدين)

كان رجال الدين فئتين :

الأولى :

هم رجال الدين الأشراف ، الذين وقفوا من السلطة ، الموقف المعادي ، وقد عرضت عليهم المناصب الرفيعة ، لابتلاعهم واحتوائهم ، ولكنهم رفضوها بإباء ، كما فعل السيد محسن الأمين عندما عزم الفرنسيون على إحداث منصب رئيس علماء للشيعة في لبنان ، وقرروا تعييني (الكلام للسيد محسن الأمين) لهذا المنصب ، واصدروا به مرسوماً ، اعتقاداً منهم بأنني أقبله بكل إمتنان ، فالناس تتوسط للحصول عليه فكيف بمن تأتيه ، فقلت للرسول الذي جاء بالكتاب قل لصاحبه (ان هذا الأمر لا أسير اليه بقدم ، ولا أخط فيه بقلم ، ولا أنطق فيه بفم ، وقلت للعرفاء :

أيها السائل عنهم وعني لست من قيس ولا قيس مني [2]

ومن هؤلاء العلماء الشرفاء : السيد محسن الأمين ، الشيخ عبد الحسين صادق ، والشيخ أحمد رضا ، والسيد عبد الحسين شرف الدين ، والسيد عبد الحسين نور الدين ، والشيخ سليمان ظاهر ، والشيخ محمد حسين شمس الدين ، والحاج اسماعيل الخليل ، والشيخ عبد الحسين عبد الله ، والشيخ عز الدين علي عز الدين ، ومحمد جابر ، وهؤلاء هم الذين شكلوا فيما بعد مؤتمر الحجير الشهير ١٩٢٠ [3] .

الفئة الثانية :

هم الذين مالأوا تركيا وفرنسا ، وجل همّهم أكلهم وشرابهم ونثيلهم كما قال عنهم الإمام علي (ع) وعن أمثالهم (بين نثيله ومعتلفه) [4] يعيشون كالطفيليات

---

(١) ـ تاريخ جبل عامل . ص ٢١٤ ـ ٢١٥

(٢) أعيان الشيعة . ج . ٤ / ٩٥

(٣) عن تاريخ جبل عامل ص ٢٢٦

(٤) نهج البلاغة ، شرح الأستاذ الامام محمد عبده . دمشق مطبعة كرم ج ١ / ٣٥ « خطبة الشقشقية »

لا كرامة لهم الا تحت أقدام المستعمرين وللأسف كانوا كثراً ،أجمع أكثر شعراء جبل عامل على هجائهم .

(موقف الادباء والشعراء من المسألة الوطنية)

أما موقف الشعراء والأدباء والمؤرخين ، فأكثريتهم العظمى وقفت الموقف المشرّف ، وقد دافعوا عن مصالح الشعب ، وكانوا الصوت المدوّي ، والكلمة المؤثرة ، في سبيل التخلص من الظلم ، والجور والاستبداد ، ويحدثنا عنهم هاني فرحات ، في مجمل حديثه عن محمد جابر آل صفا إذ يقول : انتظم محمد جابر ، في سلك الجمعيات السرّية العربية المناوئة للترك ، فأحست به الحكومة خلال الحرب الأولى ، واعتقل مع أربعين وجيهاً من أعيان جبل عامل ، وصيدا وصور ، ومنهم : الأساتذة الشيخ أحمد رضا والشيخ سليمان ظاهر وعبد الكريم الخليل ورضا الصلح وولده رياض . . . وجرت محاكمتهم في محكمة عاليه العسكرية ، التي أنشأها جمال باشا السفاح [1] ؛ ومن ثم سالت أقلام الشعراء العامليين تملأ كون « عامله » والعالم شعراً وطنياً خالصاً. ومن هؤلاء شاعرنا الشيخ علي شمس الدين الذي وعى هذه الأحداث كلها ، وشاهد تلك المشاهدات بأم العين ، فلنسمع رأيه بالمسألة الوطنية ، وبعد سماع شعره نحكم لأي فئة ينتمي .

وينظر الشيخ علي شمس الدين الى وطنٍ يطمح بالعيش فيه بحرية وكرامة ويسر حال إلاّ انه يرى مجتمعاً تعساً في وطن يخضع للأتراك ، فيخاطب وطنه لبنان ليستفيق من غفلته فيقول :

أترى الدهر بعد طول عبوسه ... وازدياد العنا وشدة بوسه ؟
يمنح الشعب فرصة توصل الشعـ ... ـب لرفع الثقيل عن كابوسه
أنا فرع من دوحِ لبنان ذي الأر ... ز ونفسي معدودة من نفوسه
أيه لبنان آن أنْ تعرف الدهـ ... ـر وتصغي الى بليغ دروسه [2]

مواطنٌ التصق بوطنٍ ليسعَدَ فيه ، وما أنْ تغرورق عيناه بدموع الفرح حتى تنسكب هذه الدموع ساخنة على وطن أسير وشعب مقيّد .

---

(١) فرحات ، هاني . الثلاثي العاملي في عصر النهضة . ص ١٧٦
(٢) العرفان . ج ٧ مج ٢٧ ص ٦٢١

وطنـي عـامـل وقـد عشـتُ دهـري ... تحـت أقمـار أُفقـه وشمـوسـه
فسـعـودي منـه إذا رمت سعـداً ... ونحـوسي مـأخـوذة مـن نحـوسـه
كيـف أرضـى بـأن أراهُ شقيـاً ... ولبـوس الإرهـاق بعـضُ لبوسه

ولكن الشاعر ، يجد انّ العلةَ في الشعبِ النائم تارةً ، وفي الحكام الداخليين تارة ثانية ، وفي الحكم المستعمر . فيتكلم عن الجميع ، فها هو يصف حال الشعب :

عامـل مات تحـت نِـيرٍ من الجـو ... ر ولكـن ما زج فـي نـاووسـه
خشـبٌ أهلـه المسـاكيـن والخشـ ... ـبُ الملقـى دمـاره فـي سوسِه
أيُ شعـبٍ أعمـى يقـادُ الى الحتـ ... ـفِ بحبـلٍ يبتـاعُـه بفلـوسـه

ثم يصف حال الشعب النائم يحضّه على النهوض من كبوته .

دعـا فيهـم داعـي المعـالي فأبطأوا ... ونـاداهـم داعـي الخمـول فأسـرعوا
هم القـوم أمـا شملهـم ان سألتني ... فمجتمـع والـرأي منهـم مـوزع

ولكنه ينتقد فراغ الرئاسة من زعيم صالح أو خطيب فيقول :

أليس من الخسران أن لا يرى بهم ... خطيبٌ له تعنو الـرقـاب وتخضـعُ ؟
أليس من الخسران ان لا يرى بهم ... زعيـم لـه عنـد الملمات نـرجعُ ؟

ويزيد في التحريض :

أيحسـن منـكم أن يقـال تقاعدوا ... عن الحـق ما منهـم فتـى فيه يطمع
أيهمـل فينـا عـامـل المجـد والعلـى ... ويعمـل فينـا الجهـل والجهـل اسفع
فقومـوا سراعـاً واطلقـوهـا عزائمـاً ... تذل لهـا غلـب الـرقـاع وتخضـع

وينبه ناصحا :

وضـعتـم ومـا ضيّعتـم غـير حقكم ... مقـال (زعيم) مثلـه لا يضيّـع

وينتقد العادات الاجتماعية :

فلـم نسـتفـد ممـا اجتمعتـم لأجله ... سوى القول عنكم «انهم قد تبرعوا»
ولـم نسـتفـد ممـا اجتمعتـم لأجلـه ... سوى النقل في الاخبارقالوا ووزعوا [1]

---

(١) العرفان . م٢ / ٥٠٩

وبعد أن يصوّر حال الشعبِ الفقير ، والمظالم الاجتماعية التي تؤلمه ، يحدد لنا العلّة ويراها في الحكومة أيامه ، في الرؤساء ، والزعماء . فماذا يرى وماذا يقول :

أيشرب غيري وأبقى ظمي   وأرضى عن الشهد بالعلقم
وأخضع واليد مكتوفة   وسمّهم قد سرى في دمي
وأخرس والجور ملء البلاد   ولا ماء يمنعني في فمي
وأجبن مستسلماً للهوان   ولا حق يعطى لمستسلم

وهنا يهاجم النواب :

فلما ظفرتم بما تبتغون   وفزتم بما فيه من أنعم
دستم على قبره بالنعال   وقلتم امنّا من اللّوم
هبكم ملكتم عليه القياد   ومن حيفكم قط لم يسلم
فهل تملكون عليه اللسان   وهل تحبسون بنات الفم

وفي هذه الأبيات اشارة لما يفعله الحكام والنواب بالشعب ، حتى انهم يطلبون منه أن لا يتكلم مطلقاً خشية أن يفضحهم بقوله :

أنبقى لكم في مكان الشيا   ة لنُحْلَبَ قسراً ولم نُطْعَمِ[1]

ويردد البيت نفسه في قصيدة ثانية :

نحمل فوق الذي نستطيع   ونحلب كالشاة وسط المراح[2]
صناديقكم أفعمت بالنضار   ونحن نموت على درهمِ
نكدُ حفاةً عراة الجسومِ   لزرع الحبوبِ ولم نسأمِ
وينهكُنا الكدُ في جمعِها   بِحَرِ الهجيْرِ وبذلِ الدمِ
لندّخر القوت قبل الهلاكِ   الى صبيةٍ حولَه حُوَّمِ
فتُسْلَبُ منّا بِسِقْطِ المتاعِ   ولّما نراعَ ولم نُرْحَمِ

صورة حزينة مؤلمة ، تتفتت لها الكبد ، صورة عائلة تشقى عاماً كاملاً من أجل ادّخار القليلِ من القوت فيأتي الحاكم ، والزعيم ، والسمسار والعشار ، وكل

(١) القصيدة منشورة في : ١ / شعراء من لبنان ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠ ـ ٢ / المخطوطة وغيرها . . .
(٢) أعيان الشيعة ٤٢ / ١٦٨

هؤلاء المتسلطين، ويأخذون المحصول عنوة . أفليست محاربة هذا الداء المميت موقفاً وطنياً ؟

ويخرج الشاعر عن صمته لينطلق كالمارد يتهم، ولا يخاف في الحق لومة لائم، يتهم الزعماء بإرسال الازلام فيقول :

أقمتم على سبل الارتزاق رجا لأ على الحيف لم تندم
وقلتم لهم ضيّقوا سبلكم وسوقوا البريء مع المجرم
محاسيبكم وهم الجاهلون رقت للسماء بلا سلم
وأهل الكفاءة في عهدكم كميم لدى أفلح اعلم
يوزَّع بينكم حقّنا ولم نتحرك ولم نبغم

ويتهمهم بالاثراء على حساب الوطن :

وعمرتُم دوركم والبلاد خراب بعهدكم المظلم
مصائبنا انتم لا الزمان وعن قوسكم عامل قد رُمي[1]

وعن هؤلاء الأكلة لأموال الناس يقول في قصيدة ثانية :

يسومونا الخسف في كل آ ن ونخفض بالرغم منا الجناح
ونلقى اضطهاداً يشق القلو ب وليس عليهم به من جناح
هوانا للبنان أودى بنا وما الحب الا هوىً وافتضاح
فكم عاشق مات في دائه ومعشوقه في هنا وارتياح

وهنا يعرض للمعاناة :

وتعطى المعاشات للاغبياء ومنا جبايتها بالسلاح
نخوض البحار لنيل الرغيـ ـف ويسلب منا بكل ارتياح
كأنا خلقنا لهم مغنماً وما يجتنى لسوانا مباح
متى يا زمان نرى العدل منـ ـك ونسعد منك بغض الجماح ؟![2]

وختاماً، هل رأينا في الشاعر بعد كل صرخاته المرة، وكأنه طائر يذبح ليؤكل، أو شاة تربط لتحلب، أو مواطن تستلب حريته، ويدمر وطنه على رأسه،

(١) ابراهيم، علي . شعراء من لبنان ـ ٢٥٠ ـ عمرتم دوركم ـ الصواب : وعمرتم دوركم ـ ونخوض البحار ـ الصواب : نخوض البحار .

(٢) أعيان الشيعة ٤٢ / ١٦٩

لتعمر بيوت الزعماء ، الا محامياً وطنياً يدافع عن حقوق الوطن والمواطن ؟

إذاً ؛كان شاعرنا وطنياً وقف مع الزعماء الوطنيين في مواقفهم المشرّفة ، ينتقد الحكم الأجنبي من أية جهة أتى ، ولا يخشى الظلم ، طالما يعدّ عليه أنفاسه ، ويسلبه حريته وطعامه ، وطعام أولاده . لو يتسع لنا المجال في هذا الكتاب ، لنشرنا العديد من الاستشهادات الوطنية عنده لأن هذه الناحية أعطاها من عقله وتفكيره الشيء الكثير والعناية الخاصة .

١٢ ـ الشعر القومي

القومية العربية ، كباقي القوميات الأخرى ، لم تخلق فجأة ، ولم تتكون بفعل السحر ، إنما تدرجت خطوة خطوة ، من وجود عربي قبلي إلى وجود جماعي قومي[١] ، ويعود الفضل في هذا التدرج الى بعثِ الرسالةِ الإسلامية الذي جعلها بادىء الأمر ، تقوم على محتوى ديني إسلامي ثم تطورت الى رابطة لجميع الشعوب العربية ، سواء من اعتنق الإسلام أم لم يعْتنق ، وبهذا تطورت الى قومية انسانية تحترم سائر القوميات ، وبذلك تصبح القومية العربية قابلة للحياة والديمومة والتقدم والانطلاق[٢] ، وفي دور فتوة العرب ، زمن الراشدين والأمويين ، أخذ الوعي العربي يدخل في دور التعبير عن ذاته في إطار الاختبار العملي ، وكانت حروب الردة أولى خطوات الانطلاق العربي ، فقد أتمت ما بدأ في دور الرسالة ، من توحيد العرب ، وجعلت منهم محور الحركة الجديدة ، ونظمت توثبهم تحت راية واحدة ، وقيادة واحدة ، فكانت الفتوحات العربية[٣] ، ويؤكد الدكتور زين نور الدين زين نشوء القومية الى بعث الرسالة الاسلامية حيث يقول : لو أخذنا بعين الاعتبار العناصر الأساسية التي تدخل في تكوين القومية ، من عرقية ، وحضارية ، وروحية ، نجد إن القومية العربية من هذه الناحية هي أقدم القوميات في العالم . . . وان المصادر الحقيقية للتاريخ العربي الإسلامي تجبرنا أن نجزم أن القومية العربية ولدت ونشأت يوم ولد الاسلام ونشأ[٤] . ولكن الدكتور محمد عمارة

(١) حنا ، جورج . تصويب مفهوم القومية العربية . بيروت ، دار القلم ١٩٥٩ . ص ٧ .

(٢) م.ن. ص ٨

(٣) الدوري ، عبد العزيز . الجذور التاريخية للقومية العربية . بيروت ، دار العلم للملايين ، ط ١ . ١٩٦٠ ص ١٥ .

(٤) زين ، زين نور الدين . نشوء القومية العربية . بيروت ، ١٩٧٢ . ط ٢ / ١٣٦

ينفي بروز القومية العربية قبل عصر الطهطاوي إذ يقول : وقبل عصر الطهطاوي وقبل قيام نظام الحكم المدني الذي شهدته مصر منذ ١٨٠٥ م ، والـذي امتـد الى أغلب أجزاء المشرق العربي لسنوات عشر (١٨٣١ م - ١٨٤١ م) لم يعرف الشرق العربي رابطة يتحدث عنها الناس وجامعة بين أهله سوى « رابطة الملّة » ، التي كانت تعني يومئذٍ رابطة الدين ، ولـم تكن الرابطـة « الـوطنية » أو « القومية » - الجنسية[١] . وعلى أي حال يمكن القول ، أن القومية العربية تجلت معالمها وظهرت أبعادها بشكل واضح ، في القرن التاسع عشر ، وبداية القرن العشرين .

. . . وجبل عامل ، واكب الحركة العربية ، وناضل على ساحتها من أجل قيـام الدولة العربية بقيادة فيصل ، إلا ان جبل عامل قد ضم الى لبنان ، ويقول شكيب أرسلان في معرض حديثه عن أحداث سنة (١٣٤٢ هـ) «وأخذ الفرنسيون في الانتقام من أخواننا شيعة جبل عامل لنزعتهـا العـربية وتأييدهـم حكومتهـا في الشام[٢]» ، ويروي لنا السيد محسن الأمين في كتابه - سيرته بقلمه وأقلام الآخرين ، كيف التقى الوفد العاملي الذاهب لمبايعة الملك فيصل ، ورد الملك عليهم ، فيقول « في أثناء وجودي بدمشق توج الأمـير فيصـل ملـكاً على سوريا فحضرت وهنأتـه بالملك[٣] ، إلا أن الملك فيصل وجد موقفهم حرجاً ولم يردْ بسببه سوءاً ، فأمرهم أن يلزموا السكوت إلا أن أحداث ١٩٢٠ ونتائجها ، التي أدت الى خروج الملك فيصل من سوريا ، واحتلالها من قبل الفـرنسيين ، أدت الى ثورة جبـل عامـل ، تأييداً للملك في حربة ضد الفرنسيين[٤] » .

وهكذا كان أدباء وشعراء جبـل عامـل ، يغنـون العروبـة في أشعارهـم ، ويسعون للانضمام لأول دولة عربية ، وانضموا الى صفوف ثورتها مقاتلين ، وقامت ثورات داخلية ، كثورة صادق الحمزة[٥] وأدهم خنجر[٦] ومحمود الأحمد بزي[٧] ، إلاّ

---

(١) عمارة ، محمد . الأعمال الكاملة لرفاعة رافع الطهطاوي . ج ١ / ١٢١

(٢) أعيان الشيعة ج ٤٣ / ١٣٦

(٣) الأمين ، محسن . حياته بقلمه وأقلام الآخرين . ص ٩٣

(٤) ظاهر ، سليمان . العرفان . م. ٢٠ / ٢٥ من مقالة بعنوان معجم قرى جبل عامل .

(٥) صادق الحمزة : من قرية دبعال في قضاء صور ، وينتمي الى أسرة آل علي الصغير . وفرقته من أهم الفرق التي عرفها جبل عامل .

(٦) أدهم خنجر : وينتمي الى عائلة الدرويش ، وهي من الأسر الصعبية التي منها آل الفضل في النبطية . وجده أحمد بك الدرويش من أصحاب المروءة . ١ / الراسي ، سلام . لئلا تضيع . ص ١٦١ .

(٧) محمود الأحمد بزي : رئيس الفرقة من وجهاء بلدة بنت جبيل وكان ينسق مع صادق الحمزة .

أن فرنسا التي حركت الشعور الطائفي في جبل عامل ، قد تمكنت بالتالي من ضربه وحرق بعض قراه ، كما ينقل الشيخ سليمان ظاهر ما رواه عن أحد المتطوعين ، الذين رافقوا الحملة الفرنسية على جبل عامل فقال : ولما طلع الصباح ، أخذنا بالمسير حتى أقبلنا على مساواة مجدل سلم (تولين) فصوبنا المدافع عليها وهدمنا منها عمارة محمد بك ، ثم أقبلنا على تبنين . . . ويقول حسن سعد عن الحملة : وهكذا نرى مدى الانتقام ، الذي مارسته قوات الاحتلال الفرنسي على جبل عامل حيث دمرت الكثير من البلاد ، وقتلت الكثيرين ، وكأنها لم تكتف بذلك ، فقد اشركت الطائرات في حملتها[1] وبالتالي سيطرت عليه .

. . . وبعد ؛ فإننا نرى ، أن علي شمس الدين ، وعى حركة زعماء العرب بشكل عام ، وزعماء الإصلاح العامليين ، أمثال محسن الأمين وأحمد رضا ، وسليمان ظاهر[2] ومحمد جابر آل صفا[3] ومحمد علي الحوماني ، وغيرهم من المصلحين ، الذين كانوا يسعون لاقامة حكومة اسلامية شاملة تتخطى حدود الأوطان . ونلحظ في شعره ما قبل العشرينات ، هذه النفحة الإصلاحية الاسلامية . يقول عندما ضرب الايطاليون طرابلس الغرب قصيدة بعنوان « يا لثارات الإسلام » نقتطف منها هذه الأبيات :

فكم في طرابلس لكم من عقيلة   لقد أبرزت حرى بعين ذليلة
وكم من قتيل منكم وقتيلة   وربة خدر للدموع مذيلة
لقد طار منها اللب في شدة الذعر

إلى أن يقول محرضاً :

أضاعت بنو الطليان في الحرب رشدها   وقد بذلت في القتل والهتك جهدها
أمن دمكم يا قوم تجعل وردها   أقيموا لها حرباً عواناً وعندها
فأما ضياء النصر أو ظلمة القبر[4]

(١) سعد ، حسن . جبل عامل بين الأتراك والفرنسيين . ١٩١٤ / ١٩٢٠ ص ٩٠ .

(٢) العلامة الشيخ سليمان ظاهر : ولد وتوفي في النبطية (١٢٩٠ هـ / ١٨٧٣ م) (١٣٨٠ هـ / ١٩٦١ م) كان عضو المجمع العلمي العربي في دمشق اشتغل في القضاء اللبناني ، من مؤلفاته الشعرية الالهيات والفلسطينيات والجهاليات ، وله منشورات كثيرة في العرفان وله معجم قرى جبل عامل .

(٣) محمد جابر آل صفا : ولد في النبطية عام ١٢٩٠ هـ / ١٨٧٢ م . ودرس فيها على يد السيد محمد ابراهيم الحسيني وتخرج عليه ، اعتقلته السلطات العثمانية ثم الفرنسية ، أسس مع الشيخ أحمد رضا والشيخ سليمان ظاهر جمعية علمية في النبطية ثم جمعية المقاصد الخيرية أيضاً وهو من واضعي جمعية النهضة العاملية ١٩٢٨ توفي عام ١٩٤٥ م له تاريخ جبل عامل . الطلائع . له رسالة أسماها « ثلاثة وخمسون يوماً في عاليه » .

(٤) العرفان . م ٣ ص ٩٣٨ ـ ٩٣٩

فكأنه يقول هنا مع أبي فراس الحمداني : « لنا الصدر دون العالمين أو القبر »

وله قصيدة أخرى بعنوان « المدينة والغرب » وهي طويلة ، وقدخلص الشاعر في هذا العنوان إلى أن زعماء الاصلاح ، وضعوا دأب أعينهم ، الاغتراف من حضارة الغرب ، دون التأثر بمذاهبها ، وبالوقت نفسه يفاخرون هذا الغرب بأنهم مصدر العلم ، لنسمع ما يقول :

زعمتم بأن العلم أكبر مغنم   لديكم فلم ينمو فاعقبه الكذب
وفي ما جنت أيديكم كان حتفكم   فلا العجم قادتكم اليه ولا العرب

إلى أن يقول :

وكم من دم طلت وكم من عقيلة   أبيحت وكم من قصور ما له نهب[1]
أخولكم دين سلكتم سبيله   ولا رسل قالت ولا نزلت كتبِ

ويتساءل عن نسب هؤلاء القوم الذين يعشقون قتل الناس بآلات حربية حديثة مدمرة فيقول :

أمن آدم أنتُم وحاشا لآدم   بأن يتبناكم ويشملكم قرب ؟

ويتابع الهجوم على الغرب ، ويحض في الوقت ذاته الشرق على النهوض . وهذه القصيدة أيضاً قبل العشرينات فيقول :

جرّد الغربُ على الشرق حساما   قعد الشرقُ له رعباً وقاما
سنةٌ ساقت الى الحتف فَلم   يهتدِ قصداً ولم يبلغ مراما

إلى أن يذكر أسباب تأخر الشرق بقوله :

قادك الجهل لضيم منهك   وقرين الجهل أحرى أن يضاما
آه يا شرق فكم من كبوةٍ   قد أذاقتكَ على العنفِ الحِماما
آه يا شرق أفقْ مستيقظاً   فإلام أنت بالذل الى مَا ؟

ويدعوه للنهوض :

فمتى يا شرق يصحو غافل   أيقظ الغرب الى العلم وناما
أيها الشرق أفق من سكرةٍ   جعلت يقظة علياك مناما

---

(١) العرفان م ٥ / ٣٩٦ « المدنية والغرب » .

ويبكي مجد الشرق :

فسأبكيك بكا ثاكلة بدموع تخجل السيل الركاما
صرت بعد العز ذيلاً لا إماماً ووراءً بعدما كنت اماما[1]

ويغني هذا المقطع :

ما الشرق الا مطلع لكواكب الفضل المضية
حلَّ الخمول بأهله فقضت نفوسهم الأبية
فمتى تدب بجسمهم قبل الفنا روح الحمية
ونراه يطلع أنجماً بضيائها تهدي البرية[2]

ومرة جديدة ، يطلع علينا بنداء جديد لهذا الشرق ، وكأنه ما خلق إلا ليحرض هذا الشرق على النهوض من واقع مؤلم فيقول :

أفق من سباتك يا مشرق فقد ربضت خيلك السبق
رقدت على الضيم لا عن كرى فحتى متى جهلك المطبق؟
فكيف قعدت قعود الذليل ومن وصمة العار لا تفرق

إلى أن يذكر العرب بمجدهم الغابر ويبكيه كمن يبكي على الأطلال المدارسة :

أما كنت مطلع شمس الفخا ر وطرف علاك هو الاسبق
أعرني سمعك مستيقظاً فكم أيقظ الغافل المشفق
إذا دمت فيما به قد أقمـ ـت وكنت بنفسك لا ترفق
وخالفت رشدك وهو الحيا ة وكنت الى الفوز لا تسبق[3]

وهذه صيحة جديدة فيها يقول :

في الشرق لو فكرت داء قاتل من شامه الأدنى لأقصى صينه
للغرب فيك دفين غدر مُهْلِكٍ فخذ الحذار من انفجار دفينه

ويفخر بشعبه الكئيب :

سلني عن الشرق الكئيب فإنني أدرى بضاحك أهله وحزينه

(١) العرفان م ٧ ص ١٥
(٢) العرفان. م٨ / ٤٥١ سنة ١٩١٠
(٣) الوطنية والحياة . ص ٤٥ ـ ٤٦

بردى يئنُ وفي الفراتِ فوادح ذهبت برونق مائه ومعينه
وبدجلةَ ما للفرات من الأسى وشجونه لرقودكم كشجونه
وطن العروبة وهو أكرم موطن فازوا بملك منيعه وحصونه

ويرى العلة في الرشوة وبيع الضمائر والنفوس :

عبثاً يحاول ان يسود ويرتقي شعب لقد ساءت جميع شؤونه
قادوه نحو الافتتان بأصفرٍ أعماه لون بريقه ورنينه
فمشى على لمع السراب وأسلم الوطن العزيز بسهله وحزونه

وينظر الشاعر الى وطن يتناوب على حكمه المستعمرون الأجانب ، فينظر الى لبنان وسوريا فيراهما تحت الانتداب الفرنسي ، وينظر الى العراق وفلسطين وغيرها من البلدان ، ليراها تحت الاحتلال البريطاني ويعود بالذكرى قليلاً إلى الوراء ، الى العهود التي سبقت سقوط الدولة العباسية ، فيرى كل المعالم التي تدل على كرامة للعرب ، قد ولّت فيبكيها أطلالاً ، وكأنه جاهلي نأى عن مضرب حبيبته ، ويعود ليراها ولا يجدها ، فيبكي من الأعماق دموعاً حارة سخية وها هو يقف على الاطلال قائلاً :

عرفت الطلول بآثارها فباحت عيوني بأسرارها
وناشدتها أين سكانها لينعم سمعي بأخبارها

فيأتيه الجواب :

معاهد كانت حمى للطريد وغيثاً مريعاً لزوارها
فأضحت ملاعب للساقيات بايرادها وبإصدارها

ويتعجب من تبدل أحوال البلاد العربية فيقول :

وأمست كأن لم تكن أمة تخيف الأنام ببتارها
فلا الدار في يمن دارها وذو قار ليس بذي قارها(1)
ولا بالحجاز لها دولة ولا مصر من بعض أمصارها
وليس الفرات ولا دجلة يعدان من بعض أنهارها

وبعد أن يستعرض كل أنواع الاهانات التي أصيبت بها البلاد العربية ، يعود ويجري مقابلة بين عرب الأمس وعرب اليوم فيقول :

---

(1) وذي قار ليس بذي قارها = الصواب = وذو قار . . .

حموا ضادهم بشفار السيو ف كعين تصان بأشفارها
واسلمتموه على ضلة كشاة لمدية جزارها

ويحرض قومه قائلاً :

اليكم بني الضاد من واجد أنامل عتب بأضفارها
رضيتم بصمتة طفل فهل جبنتم وغمتم على عارها ؟
أهل بعدما كنتم الفاتحـ ـين وعن عزكم ذل جبارها ؟
أنوماً وفي العين منهم قذى ؛ وهل ترقد الاسد عن ثارها ؟

وهنا يشمل كل الأقطار الاسلامية مذكراً بالمصائب التي حلت بها :

فأوداجكم بضفاف الفرات فرتها أنامل نحارها
وفي مصر كم من دماء جرت وعانت عتاة بأطهارها
وكم في طرابلس من حرة قضى الذل في كشف أستارها
وأفغان سلني بها ان تَشَا فاني عليم بأخبارها[1]
سيقضي عليها فكن في أمان فإن الردى حول أسوارها

ويرى الحل في الاجتماع ونبذ التفرقة يقول مختتماً :

أناشدكم بالحفاظ للقد يم وكعبتكم وبأستارها
بأن تتركوا خطة الانقسام فقد أهلكتكم بأضرارها[2]

ويرتجل الشاعر قصائده القومية ارتجالاً في محروسة مصر . عام ١٣٢٤ هـ في لقاء مع الشاعر أحمد شوقي ولكن في هذه القصيدة ، عودة الى ليبيا وحربها مع الطليان ويبتدئها راداً على أبي تمام في ملحمة العمورية ، وعلى عنترة بن شداد في معلقته حيث يقول الأول :

السيف أصدق انباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

---

(١) وافغان سلني بها أن تشى . الصواب : سلني بها ان تَشَا .

(٢) الوطنية والحياة . من الصفحة ٢٤ ـ ٢٨ . وهذه القصيدة الطويلة بعنوان « كعين تصان بأشفارها بلغت ٧١ بيتاً » .

ويقول الثاني :

ولو أرسلت رمحي مع جبان ... لكان بهيبتي يلقى السباعا

ويرد عليهما علي شمس الدين بقوله :

لا يصدق السيف ما لم تصدق الهمم ... فالسيف يصدأ والخطي ينحطم
وفي شبا العزم عن حد الشبا عوض ... ان فارقت كفك الصمصامة الخذم
فما الشجاعة سيف انت حامله ... ولا قناة ولا درع ولا علم
بل الشجاعة اقدام يشيعه ... حزم تطير به الهامات والقمم[1]

إذاً ؛ شاعرنا يرى الشجاعة هي قوة الإرادة والتصميم ، ويرى في الجهل سبباً لتأخر الشرق فيقول :

متى أرى ببلاد الشرق مجتمعاً ... للعلم عن ثغرِه بالبشر يبتسم

ويحرض الشعب على النهوض كالعادة فيقول :

هل وثبة في ظهور الخيل مرجعة ... من مجدنا اليوم ما اغتالوا وما التهموا
أم هل ترى ترجّع الأيام من يدهم ... من حقنا اليوم ما ابتزوا وما غنموا

(فلسطين في شعر علي شمس الدين)

لم تسقط فلسطين بيد المستعمرين الصهاينة عام ١٩٤٨ ، إنما كانت ساقطة في حساباتهم فعلاً قبل ذلك بكثير ، وشاعرنا عايش هذه المؤامرات وان كانت أولى « بشائرها » التعسة بدأت مع وعد بلفور ، وشاعرنا مع أكثر الشعراء اللبنانيين والعرب ، يعطي من وجدانه هذه القضية العادلة الشيء الكثير ، وذلك لعدة أسباب ، أقلها الروابط الجغرافية التي تربط جبل عامل بفلسطين وثانياً نسبة للعلاقات الحميدة على مر العصور والعلاقات الوطيدة وخاصة بين ظاهر العمر والعامليين ، وشيخهم ناصيف النصار العاملي ، وكذلك كان شاعرنا كثير الزيارات الى فلسطين ، يقيم فيها الندوات الشعرية ، وقد مر ذكرها في فصل لقائه مع الشعراء ، والعامليون أشعارهم كثيرة في فلسطين وهذا الشيخ سليمان ظاهر ، يترك ديواناً خاصاً تحت عنوان فلسطينيات .

(١) الوطنية والحياة ص ٢٩ ـ وفي شبى العزم عن حد الشبى عوض = الصواب = وفي شبا ـ عن حد الشبا

ومن القصائد العديدة التي تركها شاعرنا الشيخ في فلسطين العدد الكبير نقتطف منها ما قاله في هذه القصيدة :

الشرق كل الشرق هام بأهله فتناحروا وتفرقوا أحزابا
ورموا فلسطين العزيزة رمية أصلتْ بنيها حرقة وعذابا
واستعمروها باليهود ودنسوا أقداسها والبيت والمحرابا
وتحكموا في مجلس الأمن الذي خلناه تبراً ثم كان ترابا

ويخاطب المستعمرين وكله أمل بأن هؤلاء لن يكون لهم مكان فيما بعد قائلاً :

هيهات أن تصلوا الى أهدافكم إلاّ إذا ابيضّ الغراب وشابا
فتدبروا سوء العواقب واعلمـ ـوا أن العروبة لم تذل رقابا[1]

ويختصر الشاعر مأساة فلسطين ، بقصيدة طويلة ، يعرض فيها كيف تحركت الجيوش العربية عام ١٩٤٨ وكيف جيشوا الجنود الكثيرة ، وكيف تنافخوا فيها لتحرير فلسطين ، وبعدما انتهت الحرب حسب المراوغة الاسرائيلية ، والدعم البريطاني ، الى انتصار العصابات الصهيونية على الجيوش العربية مجتمعة وهنا يهزأ من هذه الدول وجيوشها ، ويعرض للقيمين على القضية الفلسطينية ، وينهي القصيدة بما لاقاه من الخذلان الذي لم يتوقعه .

يقول :

فلسطين لا زيد رقاكِ ولا عمرو مطياً على يأس فقد قضي الأمر
تطاولت الأعناق من كل جانب لنصرك حتى رفرف العز والنصر

ويصف كيف سارت الدول الى الحرب :

مشت مصر في أنقاذ أرضك عنوة فقلنا مشى التوفيق لما مشت مصر
وقام الوصي ابن الوصي كعمه ولم يثنه الجبن المشين ولاالكبر
وعلق من نجد همام غضنفر يهون لديه الأمر ان صعب الأمر
ومن يمن هز الإمامُ مهنداً له حسبما شاء الهدى النهي والأمر
ومن سوريا قامت ليوث تعودت على النصر قدماً ما لعدهم حصر
ولبنان فادت بالنفيس ولم تزل تفادي وها قد صدق الخبر الخبر[2]

---

(١) نقلا عن محمد علاء الدين

(٢) العرفان : م ٣٦ / ٧٣٨ - ٧٣٩ سنة ١٩٤٩ م - ١٣٦٨ هـ .

ويصف موقف البريطانيين :

وللعـرب دسـوا السـم في كل فكرة ... فخاصمهم غمرٌ وسايرهم غمرُ
أروهـم رعـادا « لـين اللمس بارداً » ... لكنـه من تحتـه المحـرق الجمر

ويصف الحرب :

ولما التقى الجمعـان في حومـة الوغى ... ودارت رحى الهيجاء واستفحـل الأمر
مشـوا مشية الأسـد المغـاوير للردى ... وقامـوا وفي المعمـور قام لهـم ذكر
فلما بسمـوا للنصر حتـى تجهموا ... عوابس يعروهم من اليأس ما يعرو[1]

وبعد أن يصف كيف تراجع العرب يأتي على ذكر الهدنة :

ممـالك سبـع أعجـزتهـا عصابة ... ولم يثنهـا عن قصدهـا المسلك الوعر
وللهدنـة العمياء يعرب سلمت ... كتسليم أعمى قاده قائد غمر
وناموا ولكن نومة أبديـة ... يقصر مهما طال عن حدها العمر
لجمعية الأمـن استكانـوا ومـا دروا ... بأن الـرضى فيهـا على مثلهـم حجر

وبعـد عرض هذه المسرحية الهـزلية التـي يسخـر فيهـا من العـرب يعود ويعرض النتائج .

نهضتـم لتحيـا يعـرب وافترقتـم ... فأيديكم من كل مـا يـرتجى صفـر
وصـمتـم بعـار ليس يمحـى ونمتم ... على الضيم لم يشـدد لنـا بكم أزر
وكنـا نـرجـي النصر منكم إذا غدا ... علينـا عدو أو غزا قطرنـا قطر[2]

والشاعر حساس مرهف لا يقبل أن يبتسم وجيرانه أبناء فلسطين مهجّرون فقال في قصيدة بعنوان : « كيف يحلو عيشي وجاري هاجر » :

طارقـات الهـموم عنـد الرقاد ... وزمـان مـولـع بالفسـاد
وهـوى حـل في سويـدا فؤادي ... وأسى جيـرتـي وأهـل بـلادي
اخرسوا مقولي عن الانشاد

قلـت للطـير لا تغني طـروبـا ... فلقـد كـدت من أسى أن أذوبا
أيهـا الـطير كم صدعـت قلوباً ... وكم قد نَكَأْتَ منـا ندوبـا
عندما رحت في الخميلة شاد[3]

(١) العرفان م ٣٦ / ٧٣٨ ـ ٧٣٩ ـ عوابس يعروهم من اليأس ما يعروا = الصواب ـ ما يعرو .
(٢) العرفان م ٣٦ / ص ٧٣٩ ـ ٧٣٨ ـ القصيدة بعنوان « فلسطين »
(٣) الوطنية والحياة : ص ٤٠ ـ ٤١

وفي الختام ، فإن لشاعرنا المواقف المشرِّفة ، التي وقفها من القومية العربية ، ومن قضية فلسطين . ومواقف وطنية مشرفة أيضاً ، عرض مشاكل المجتمع العربي ، وعرض حل هذه المشكلات ، وهي العلم والاجتماع والتوحيد فيما بينهم ، وانتقد بسخرية لاذعة العرب ، لمواقفهم العبثية من قضايا شعبهم ومن قضية فلسطين ، وبيّن لنا كيف انتصرت عصابة صغيرة على سبع دول مجتمعة وكيف لجأوا الى مجلس الأمن ، وكان ، شاعرنا بعيد النظر فيما يصور ويتصور ، فالمشاهد تتكرر ، إذ لم يتغير شيء . الزعماء هم هم ، والمؤامرات الاستعمارية الأجنبية لا زالت مستمرة ، وفلسطين ما زالت قضية تنتظر الحل العادل .

١٣ ـ الفقر

الفقر مأساة إجتماعية ، تبتلي بها فئة في المجتمع ،مُورست عملية سطو منظمة قسرية ، أو بالتضليل ، على نتاج عملها ، من قبل فئات أخرى ، تسعد على حسابها ، بينما تبقى هي في الدرك الأسفل من الحرمان ، وإن الفروقات الاجتماعية بين البشر ، تصنفهم بين من اغتنى ، ومتوسط الحال ، وفقير ، فاما الفئتان : الأولى والثانية فتعيشان على أتعاب الفئة الثالثة ، وكما قيل « ما اغتنى غني الاّ من فقر فقير » .

والعامليون عرفوا الفقر عامة قبل الخمسينات ، « فلم تكن لتجد في جبل عامل من أقصاه الى أقصاه الغني الميسور ، الذي تنطبق عليه كلمة « غني » بمعانيها المعروفة إلاّ الأسر الاقطاعية »[١] .

وأسباب الفقر أو « الإفقار » إذا جاز التعبير ، عائدة الى وقوع بلادنا ، تحت الاستعمار العثماني ، الذي استمر من سنة (١٥١٦ م الى سنة ١٩١٨ م) ٠ وكانت الأحوال الاجتماعية في الحقبة ، ما بين سنة (١٨٦٥ م الى سنة ١٩١٨ م) سيئة جداً ، إذ حكم الأتراك البلاد حكماً قاسياً شديداً مدة تزيد عن الخمسين سنة وعبثوا بكيانها وفرقوا كلمتها[٢] فأدى ذلك الى تأخير جبل عامل ، بعد أن كان مقدراً له ، أن ينتقل من عهد الفوضى والظلم الى عهد التنظيم ، والأخذ بأساليب الرقي ، ومن ثم

---

(١) مصطفى ، قيصر . الشعر العاملي الحديث . ص ١٩٦ ـ ١٩٧

(٢) جابر ، محمد . تاريخ جبل عامل ص ١٦٥ . ٢ / الأمين ، نوار . الأدب العاملي في النصف الأول من القرن العشرين ص ١

عمد الأتراك العثمانيون الى الزعماء وذوي الاقطاعات من رؤساء العشائر ، فأقصوهم عن الحكم والسيطرة على الشعب . ومنحوا صلاحية واسعة للوجهاء وزعماء الأسر من الدرجة الثانية ، وكانوا لا يردون لهؤلاء طلباً ، بشأن تنصيب الحكام وعزلهم ، وأغروا كل فئة بالأخرى ليتسنى لهم حكم البلاد وعلى هواهم ، وكما يبتغون[1] . ولم يكتف الأتراك بذلك بل فرضوا الضرائب على الأهالي ونوعوا هذه الضرائب بين « ويركو »[2] و« أعشار »[3] و« ضريبة مسقفات » و« بدلات طرق » وقد وصف « بولياك » هذه الضرائب قائلاً « وهكذا ضرائب وضرائب . . حتى أمسى الفلاح لا يملك ما يسد به عوز عياله ، وأصبحت الديون تتراكم عليه من كل صوب وناح ، وتعضه الحاجة فيطلب من أسياده قرضاً من حب « التقاوى » للبذار أو « سلفة » يقتات بها حتى الحصاد المقبل فيجيب هؤلاء طلب الفلاح المسكين فارضين عليه فائدة تتراوح بين ١٠ و ١١ بالمئة ، حتى ولو كانت تلك الحبوب قد سلفها أيام السلطان خصيصاً لهذه الغاية ، ولمساعدة الفلاح[4] ، وعن هذه الضرائب يقول علي الزين : ان الضرائب في العهد الأقطاعي ، كانت تختلف حسب مشيئة الحكام ، وإن الجباية كانت على غير قاعدة مطردة ، فقد تجبى جباية سنتين أو ثلاث في غير أوقاتها في آن واحد ، ولا تراعى في الجبايات أعوام القحوط أو الجدب والمصائب . . . . فكان من الضرائب أن يقطعوا الناس شاشات للف العمائم ، ويأخذوا ثمن القطعة من ثلاثة الى أربعين غرشاً وأكثر ويسمونها (الشاشية) ويسمحون لهم بلبس البوابيج ، ويأخذون ثمن كل منها عشرين غرشاً ، ويضربون على بيض الحرير وقيمتها خمسة غروش على كل من يربي من شجر التوت أوقية بزر قز ، وقد تكون هذه الضريبة نصف القيمة[5] . وبعد الضرائب قضي على أهم عامل من عوامل المعيشة في جبل عامل وهي زراعة التبغ . إذ يقول محمد جابر ، ثم قضت على زراعة التبغ بالحصر ، ومنحت احتكارها للشركات الأجنبية ، وكانت المورد الوحيد لجبل عامل من زمن مديد ، إذ لم يكن

(١) تاريخ جبل عامل ص ١٦٦

(٢) ويركو : رسم مقطوع على الأرض

(٣) الأعشار : رسم على نتاج الأرض والشجر بطريق الإلتزام ، حتى اضطر الناس الى قطع أشجارهم لأنها ان أثمرت أم لم تثمر ، سيدفع عنها صاحبها ، لذلك يقطعها ويرتاح .

(٤) بولياك . الاقطاعية في مصر وسوريا وفلسطين ولبنان . ترجمة عاطف كرم ، بيروت ، دار المكشوف مباحث أجنبية في تاريخ لبنان . ص ١٨٧ .

(٥) الزين ، علي . مع التاريخ العاملي ص . ١٤٩ - ١٥٠

للحبوب أسواق رائجة في خارج البلاد فتعطلت الزراعة وبارت الأرض[1] وزاد في الأمر سوءاً طلب الرجال للعسكرية وعنه يقول محمد جابر ، وبدأت بتطبيقه في جبل عامل بعد زوال الحكم الاقطاعي في سنة (١٢٦٠ هـ) سبباً متمماً لخراب البلاد ، وضربة قاضية على ثرواتها[2] ، وكان الذاهب الى الحرب ربما لم يعد منها أبداً ، وكانت النتيجة ان البلاد خسرت مالها ورجالها ، فالأغنياء ضنوا بنفوسهم ، عن القائها في أتون هذه الخدمة الشاقة ، فافتدوها بالمال مما جمعوه بكد يمينهم ، والفقراء كانوا يساقون كالسوام ، الى شقاء دائم ، وموت محقق[3] . ولم ينج من هذا التجنيد رجال الدين ، فقد كانوا يساقون أيضاً اليها ، دون احترام للشعائر الدينية أو تقدير ، وبهذا يخبرنا السيد محسن الأمين بقوله : « وفي هذه الأثناء (سنة ١٣٠٤ هـ) طلبت الى العسكرية ، فاقتضى الحال السفر . فسافرت الى بلاد بعلبك مجتازاً بالبقاع ، ومنها الى حمص ، حتى انتهينا الى قرية شمس الغور . »ثم يقول وطلبت للعسكرية بعد الطلب الأول ، ولم تكن طلبة العلم في بلادنا معفاة[4] ، ويصاب أهالي جبل عامل بما لم يكن في الحسبان ، إذ نزل بهم داء الكوليرا ، الهواء الأصفر . حتى انه مات في قريتنا (شقرا) وهي قرية صغيرة ، اثنا عشر نفساً ، وكان الوقت صيفاً ، ودخل في أثناء ذلك شهر رمضان ، وامتنع الناس من تغسيل أمواتهم ودفنهم حتى الأخ من تغسيل أخيه وحمله الى قبره ، خوفاً من العدوى ، وزاد في الطين بلّة أن « الجندرمة » كانت تجول في القرى تطلب الفارين من الخدمة العسكرية ، فأغلق الناس بيوتهم واختبأوا فيها[5] في هذا الجو الخانق ، لا بد للمرء أن يتساءل عن قوت الناس ، وطرق معيشتهم ، فيحدثنا السيد الأمين عن هذه الحالة المزرية فيقول ـ وهو رجل الدين الذي لم تكن حاله ، بأحسن من حال شعبه ومواطنيه : « بعد أن ارتفع ثمن القمح ، ووجدنا أن ما معنا لا يكفي لشراء «مد»[6] واحد ونحن نصرف في كل يوم ما يقارب ثلاثة « أمداد » فصرنا نقتات من « الحلبة » بعد أن نحلّيها بالماء ، ونطبخها ونشتريها بالمثاقيل ، أو نقتات من نبات الأرض ،

---

(١) جابر ، محمد . تاريخ جبل عامل . ص ١٦٦

(٢) . م . ن . ص ١٦٦

(٣) م . ن . ص . ١٦٧

(٤) الأمين ، محسن . حياته بقلمه وأقلام الآخرين . ص ٣١ - ٣٢

(٥) م . ن . ص . ٨٥ - ٨٦

(٦) مد : مكيال يكيلون به القمح وباقي الحبوب

بعد أن نطبخه ونضع له شيئاً من الملح والزيت ان وجد ! وإن كان عندنا شيء من شعير ، أو حنطة مخلوطة بالتراب وغيره ، جهد العيال في تنقيته وخبزوا منه أرغفة ووضعوها في الصندوق وأقفلوه وأعطوا لكل واحد من الاولاد ، كل يوم قطعة رغيف ، وكان الناس يأكلون البلوط ويطبخون الباقية المعدة لعلف الدواب ، ويخبزونها ، ويأكلونها[1] ، ويقول سلام الراسي : « وكان أكثر أهالي جبل عامل يشربون من مياه البرك ، ويسقون مواشيهم منها[2] . وشاعرنا عاش هذه اللحظات لحظة لحظة ، كيف لا وقد ولد في الحقبة التي ولد فيها السيد محسن الأمين وتوفي عام ١٩٥٤ بعده بسنتين ، ونقل لنا الشيخ هذه الوقائع شعراً ، فصور لنا اذا كان الرجل يبغي غسل ثيابه ، فعليه انتظارها حتى تنشف :

قوم إذا همّوا بغسل ثيابهم ... لبسوا البيوت وزرروا الأبوابا

والشاعر مصور بارع ينقل الينا الفقر المر بصوره المتعددة ويبدأ بنفسه إذ يقول في :

وصف حاله

خذ حديث اللمس عني مسهباً ... فحديث اللمس في النفس أهم
لمست كفي ضافي جيبتي ... وإذا الأذيال في حكم العدم
تحتها برد قديم صنعه ... حاكه الحائك ثوباً لإرم
وقميص لا يواري جسدي ... مزقته راحتي فتحاً وضم
فعن السروال لا تسأل ففي ... وصفه ان حار فكري لم أَلُمْ
كفه الحابل من أشكاله ... ما به ستر لساق أو قدم
وعن الجورب لا تسأل فمن ... عهد قرن حيك من غزل الغنم
كلما رقعته من جانب ... هبت الريح عليه فانقسم[3]

وصف العمة

وعن العمة مع طربوشها ... خذ حديثاً يصدع الصخر الأصم
أغبر اللون له قشّيّةٌ ... صنعها من سعف النخل التأم

(١) م.ن. الأمين محسن . ص ٧٧
(٢) الراسي ، سلام . لئلا تضيع . ص ١٨٥ .
(٣) المخطوطة ص ٢٨

ولــه شرابــة م
سترت في ع
عصبــة كانــت ل

الله ما أحلى ط
بنشره يصبــح
كــوراتــي « جيبــي
يغنــي عن الف
فاعصره بعد اللي

إن هذه السخر
أشــرت في المقدمة
الإنسان في هذه الحال
المصاعب انه موقف م
للحكام ، وينال رض
وهجاهم أيضاً رجال

ويتابع سخري
بالبورصة فيقول :

ما ورق العملـ
لكـن أوراقـي الـ
مصقولهـا الزاه

أنــا والعيـا
أضـواؤنـا زه

(١) المخطوطة رقم ١ . ص
(٢) م.ن. ص ٢٨ - ٢٩

والـدهن في لغـة العـراق فإننـا منـه بـراء
والأرز وهـو طعـامـكـم حجبتـه عنـا الأغنيـاء
وطعـامنـا الصبـر الجميـل غـداً وكسوتنـا العـراء
ولحافنـا الغيـم الكثيـف إذا تعـاجلنـا الشتـاء
وفـراشنـا حـزم مـن البـا بيـر بَعْثَرَهَـا الهـواء
والمخـدّ إن ذكـرت فقـل تصـدق علـى المخـد الصفـاء[1]

وهكذا ، إلى أن يعرض لكل مواصفات المعيشة والمشاهدات التعسة ، وكلها بريشة فنان ساخر من حال مجتمعه تارةً ، ومن حكامه ورؤ سائه تارة أخرى .

ويرى العلة في « السماسرة » و« العشارين » ، فلم ينج هؤ لاء من سخريته ، لأنهم سببٌ من أسباب الفقر فيقول فيهم قصيدته المشهورة التي تناقلهـا أكثـر من باحث وناقد وكاتب .

النـاس ما بيـن سمسـار وعشـار يا للفضيحـة عنـد النـاس والعار
مـدوا حبائلهـم فـي كل ناحيـة كأنمـا أرسـلـت عن كـف سمسار
واضرمـوا بالقـرى ناراً مسعرة فأهلـكـت في البـرايا كل ديَّـار
إذا أتـى زمـن التعشير خلتهم قطـاط مسغبـة[2] حنـت الى فار
ترى كبيرهـم يسعـى بهمته على الكفالـة من دار الى دار[3]

ختاماً نجد أن علي مهدي شمس الدين ، شاعـر وعـى عصره ، ورأى بأم العين الظلم يحيق بشعبه ، وسياط الحكام تعمل في ظهـوره ، أفـاق على الأعـداد الغفيرةمن شعبه تساق سوق النعاج للحرب أو للسجون ، رأى الناس تتهرب من دفع الضريبة الباهظـة وتتخلى عن أرضها[4] من أجل ذلك ، عاين المريض وعرف الـداء ، وشخَّصـه بالحكومـة التـركية ، والـزعماء ، وأزلامهـم والسماسرة والعشـارين ، والمرابين ، والكوليرا ، والمجاعة ، والحرب ، عوامل كلها اجتمعت مطبقةً على الشعب العاملي ، ولكنها لن تفت في عضده .

---

(١) المخطوطة ص . ٢٨ ـ ٣٠ وهي ١٠٨ أبيات .

(٢) مسغبة : جائعة

(٣) مروة ، علي . روائع الأدب الفكاهي العاملي . ص ١٤١

(٤) حدثني أكثر من معاصر انه بهذه الطريقة انتقلت ملكية الأراضي الى العائلات الاقطاعية ومنها بلدان بكاملها ، مثل : حانين والحنِّية ، والعزِّية وغيرها . . . .

١٤ ـ الحنين

الحنين تلك الرعشة الضوئية ، التي تمر على أوتار القلب فتحركها ، وتهيّج ما فيها من كوامن الحب والعاطفة ، اتجاه الحبيب الذي قد يكون صديقاً وفيّاً ، أو عذراء جميلة أو زوجة مخلصة ، أو أرضاً التصق بها ، أو طبيعة عاش في كنفها ، أو كاسات شاي أو لفافة تبغ ، وقد تكون أماً حنونة تركها مرغماً بسبب الهجرة ، أو بطلب ملحّ .

والهجرة هذه لا تكون الى خارج الوطن فقط ، إنما تكون في داخله أيضاً ، وقد تكون في داخل الشخص نفسه ، والهجرة داخل الوطن ، قد تكون في السجن أو الابتعاد قسراً عن الحيّز المكاني الذي عاش فيه ، أو البيت الذي فيه أبصر النور ، والهجرة داخل النفس كأن يعايش الانسان مجتمعاً لا يشعر به ولا يقدّره .

وشاعرنا لم يهاجر بطلب العلم أو بطلب الرزق ، إنما هاجر في ظلمة السجن وان كانت مدة هذا السجن قصيرة ، إلاّ أنها كانت مرحلة يقظة شعور دفين ، ومحبة لأرضه وأولاده ، وبني قومه ، وطبيعته ، وذكرياته التي ما لبثت أن طفت على الساحة الشعرية عنده ، « لأنها تحسّرٌ على الماضي ، وكلما كانت الذكريات التي يختزنها العقل جميلة ، كلما كان الشوق اليها جارفاً والحنين لمعاودتها قوياً[1] .

وإذا ألقينا نظرة على شعره ، الذي كتبه في السجن ، نلاحظ أن « الحنين » ازداد في هذه الحقبة في شعره وفاض ، فأول ما ينقل اليك ، صورة دخوله السجن ، ويصور الغرفة التي ستكون ديار الغربة عنده ، وعندما تهيج به العاطفة الى أولاده ، يبث أولاده العاطفة ، وعندما يتذكر الطبيعة العاملية ، وتهيج به الذكريات الى « وادي السلوقي ونبعها »[2] وأشجارها ، ، يذوب حنيناً للطبيعة العاملية ، وكذلك يتذكر بأعين دامعة ، الطفولة البريئة المعذبة ، التي لا تخلو من مشاكسة وتعدٍ ، على أعشاش العصافير ، والى جانب هذا كله يبقى وطنه في خاطره ذكرى لا تنتهي .

---

(١) مصطفى ، قيصر . الشعر العاملي الحديث . ص ٣٧٧ .

(٢) وادي السلوقي : واد لصيق ببلدة الشاعر ، ينساب فيه نبع أيام الربيع .

حنينه الى أولاده

الأولاد حشاشة القلوب ، وسر الوجود ، يشقى الرجل لاسعادهم ، ويتعذب ليكبروا بهدوء وسلام ، ويتذكرهم في أحسن ظروفه وفي أتعسها ، وها هو يبث أولاده الحنين من داخل جنبات السجن فيقول :

قف بالديار وحيّ الاربع الفيحا ... واستنشق البان والقيصوم والشيحا
واعقل ركابك في اطلال (مجدلة) ... فلي بها أوجه تحكي المصابيحا
ما أنْ ذكرتهم الآ بكيت دماً ... وازددت من اجلهم هماً وتبريحا
والموت أهون عندي من فراقهم ... لو استطيع لهذي النفس تسريحا
يا نازلين (محاني مجدل) ذهبت ... بالجسم أدواؤه فابقوا لنا الروحا
اهتز مرتعشاً ان مرّ ذكركم ... لكنما كارتعاش الطير مذبوحا[1]

أي حنين رائع هذا ، إذ يكاد يذوب الشاعر ويذوي حباً ، لفلذات كبد تركها قسراً .

الحنين الى الطبيعة العاملية

الطبيعة العاملية ، أو الريف العاملي باختصار، جو هادىء، وحقل ينمو ببطء على حداء الفلاح الطيب ، والمزارع الذي يغرس يده في الأرض بحنان ، ليغرف منها الغلال الطيبة إنه يلتحم بها فتشاطره أحزانه وآلامه ، ويبتسم لها كل صباح ، ويغنيها كل مساء ، يزرعها في الشتاء ، وماذا يعني الشتاء في الريف ؟ جلسات حول موائد الشاي والبلوط ، والخروج الى صيد « السمّن » و« الكرُج » والحجل وفي الربيع ترقرق الينابيع وتتسرب وسط أشجار السنديان والغار وتخرج الناس وتضج الطبيعة وتلتقي جرار الماء على النبع والعين ، والعين تذكرنا بالحب البريء العفيف ، واللقاءات الخجولة ، والصيف جني المحاصيل ودبكات الاعراس ، ومطاردة أعشاش العصافير ، والخروج الى الحياة الحلوة الرائعة .

طبيعة بهذا الهدوء وتلك البراءة كيف لا يحن اليها شاعر مرهف يحن فيها الى « وادي السلوقي » والنبع فيها فيقول :

---

(١) ابراهيم ، علي . شعراء من لبنان ص ٢٥٦ .

سقـاك يا روضـة الـوادي وحيّـاك صيبٌ من المزن دفّـاقٌ بمغناك
يا جنـة الوالـه العانـي وبغيته لا تنسي عهـد غريب ليس ينساك
أهفـو اليك كما يهفـو الفـراش على ضوء السراج اذا ما عنّ ذكراك

ويحن الى الطفولة البريئة حيث يقول :

حيّت ربـاك نسـمات السحـر يا ملعبـي عنـد زمـان الصغر
أيام كنـا والقضـا طوعنـا نلهـو مع الغد بلعـب الاكر
وخيلنـا العيدان نفـري بها عرض الفـلا في وردنـا والصـدر[1]

إلى آخر هذا الحداء الرائع :

ويشتـاق الى القهوة المعللة على الجمر المتوهج كتوهج قلبه حنيناً فيقول :

تشوقنـي العـرب وآدابهـا وقهـوة البـنّ وشرّابهـا
لا يخرس الجـرن لديهـا ولا تغلـق دون الضيـف أبوابهـا
تـرى عنـاق الخيل مـن حولها مربوطـة قطـع الفـلا دأبهـا
ان أظلم الليل أضاءت لهـم نـار بهـا ترشـد طلابهـا[2]

ويتذكر السيكارة تلك اللفافة الصغيرة فيقول فيها قصيدته المعروفة[3] .

ويشارك الشيخ علي ، الحنين والتذكر الى الديار العاملية ، ابن عمه الشيخ محمد حسين شمس الدين[4] وأكثر الشعراء العامليين ، بعدةِ قصائد رائعة .

. . . . ويبقى النجف الأشرف في خاطره ، المكان السامي المقدس ، يحن اليه لأنه مرقد الإمام علي ، والمركز العلمي الذي يطمح أي طالب علم أن يعب من معينه فيقول فيه .

قـم حيِّ سكـان النجـف الحـي منهـم والسلـف[5]

---

(١) ابراهيم ، علي . ص ٢٥٣ .
(٢) م . ن . ص ٢٥٥
(٣) انظر شعراء من لبنان ص ٢٥٧ . مر ذكرها في فن الوصف .
(٤) انظر شعراء من لبنان . ص . ٢٧٠ ـ ٢٧١
(٥) تم نقلها عن السيد عبد المهدي فضل الله . انظر الشعر الديني ص ١٣٤

ويشارك الشيخ في هذا الحنين ، الشيخ محمد رضا الزين[1] ، والسيد محسن الأمين وغيرهما من الشعراء العامليين .

من خلال الأنصهار مع شعر الحنين عند الشيخ شمس الدين ، نرى أن للشاعر عاطفة ، طغت على ذاته حباً ، الى كل كائن التصق به ، فإذا التصق بالطبيعة وغادرها نراه يذوب حنيناً اليها . وكذلك إذا غاب عن أولاده وأقربائه ، وكذلك يحن بصدق إلى مقدساته الدينية ، وإذا كان الحنين يعني صدق العاطفة ، فإن هذه العاطفة تكون نتيجة وفاء واخلاص لكل كائن أحبه الشاعر .

١٥ ـ المرأة

قضية المرأة وحرّيتها في الحياة ، بدأت منذ أن بدأ الإنسان يعي إنسانيته ، فاختلفت النظرة اليها ، تبعاً للظروف قديمها وحديثها وما زال الموقف منها بين متشدد في عزلها عن الحياة العامة ، رهينة البيت ، وبين داعٍ لاعتبارها عنصراً « كاملاً » لا معنى لكمال المجتمع بدونه .

من هذا المنطلق ، نستمع الى رأي الشيخ شمس الدين ، الذي تأثر بالمتشددين . فهو يرى : عدم مخالطة المرأة الرجل . وهذا المبدأ يسمى الفصل ، ويُعَدُّ من المساوىء وعبّر عنه أبو العلاء المعري (٩٧٣ ـ ١٠٥٧م) إذ يقول :

إذا بلغ الوليد لديك عشراً ... فلا يدخل على الحرمِ الوليدُ
وإن خالفتني وأضعت نصحي ... فأنت وان رزقت حجى بليد
ألا ان النساء حبال غي ... بهن يَضيْعُ الشرف التليد[2]

وفي هذا يقول الشيخ شمس الدين : أفيليق بالمرأة ذات العقل والحياء ، بعد كونها من أهم مقاصد الرجال ، أن تخالطهم في جميع الأحوال ، وهل يرضى الأبي الغيور أن تكالم قرينة دهره ، وشريكة عمره ، خلافه من الرجال ، ألا ومن بسط الأرض ، ورفع السماء ، إن ذلك تكليف ما لا يطاق ، وفساد في الأخلاق .

ويتابع فيقول : في بيوتكن فبذلك الفضل الجزل وسرور البعل[3] .

---

(١) انظر الأعيان ج ٤٥ / ١٢٣
(٢) أبو العلاء المعري . لزوم ما لا يلزم . تحقيق أمين عبد العزيز الخانجي ـ طبعة القاهرة ١٩٢٤ ج ١ / ٢٤٧
(٣) المخطوطة ص ٤٤

وأما أمر تعليم المرأة فيقول فيه « واما تعليمكن خلاف ما يطلب منكن ، فتهور لا نرضاه وإقدام على ما النفوس تأباه ، وهل يلزم للمرأة من العلوم الاّ علم الأخلاق والصناعة كيف تكون الطاعة ، وليس من الاصابة ان تتعلم ما زاد عن احتياجاتها البيتية ، والتربية العائلية ، والعقل يحكم بذلك ويشهد بما هنالك[1] ويتابع فيقول : اما أمر تعليمها فأمر مطلوب . وللنفوس محبوب وحسب المرأة ان تكون محيطة بما يعود لحفظ كيان بيتها .

والشيخ متأثر بقاسم أمين في تعليم المرأة العلوم الابتدائية . وكما انه ضد عمل المرأة اذ يقول : إنما المرأة بالحقيقة هي العامل القوي في تربية الناشئة ، والقائمة بمهام حياتها ، فمن حمل ، الى وضع ، الى تغذية ، الى تربية ، ومن كانت هذه حالتها مع من تعيله ، فلا ينبغي لها أن تكون جوّالة ، لأن ذلك يدعو لشغلها عن مهمات أمور العيلولة التي هي المقوم التام لحياتها حال الطفولية ، كما وانه لا ينبغي أن تقعد حبيسة البيت مدة حياتها ، لأن في ذلك الكثير من المضار الصحية ، فلا بدّ من الخروج لأخذ الأهوية النقية ، وقذف الأهوية الردية ، ولا ينبغي لها إذا خرجت ، أن تخرج نابذة حياءها ، كاشفة غطاءها ، مقصرة رداءها بادية الجمال بين جماهير الرجال ، فإن ذلك يغيظ الحليل ويهيج القبيل[2] .

وهو مقتنع برأيه الذي أخذه من الشرائع السماوية فيقول :

لا ومن فلق الحب والنوى ، فأوجدت من لا تخرج من كلتها ، فقد حجبها خفر الحياء ، ومنعة الاباء وكراهة الخيلاء ، بعد أن أعطاها الخالق تمام الحرية ، ضمن قيود شرعية ، كفلتها الآيات البينات ومن راجع مطولات الأسفار ، ومتون الأخبار ، عرف أن التطرف منهن خلاف ما نصته الشرائع السماوية[3] .

إن موقف الشاعر موقف سلبي تقليدي ، إلاّ انه ينتقد في بعض الأحيان مواقف امرأة تخرج عن المألوف فيقول في قصيدة « ليلى اجعلي للجور حداً » .

---

(١) المخطوطة ـ ص ٤٤

(٢) (٣) ـ المخطوطة رقم (٣) . (أو الرواية النثرية) . ص : ٤٦

أ ـ لقد تم تصحيح العبارة من : لأن ذلك من المضار الصحية والخروج من أخذ الأهوية النقية ـ الصواب كما هو وارد في النص .

ب ـ ومن العبارة : فإن ذلك يغيض الحليل = الصواب = فإن ذلك يغيظ الحليل .

ج ـ فإذا دنى = الصواب = فإذا دنا .

ليلى اجعلي للجور حداً أفهل يطاق من استبدا ؟
أأنوثة وذكورة أفمنهما لم تلف بدا؟

ويقول :

وطلبت جل حقوقهم سفهاً فما أبقيت جهداً

ويرى المرأة تتطلب زيادة فيقول :

حتى إذا ألف الفرا ش أخذت للطلبات سردا
فيظل طيلة ليله يرعى النهى كمداً ووجدا

والامرأة عنده تمنع الرجل إذ يقول :

فإذا دنا منك نأيت وزدت بعد القرب بعدا
فيطيل ذلك ليله وتزيده الحسرات سهدا

وبعد أن يقضي ليله نكداً تنهض اليه عند الصباح تطالبه بحقوقها :

حتى إذا بزغ الصبا ح وللفرار قد استعدا
قمت اليه بحالة تدمي الحشا هزلاً وجدًّا
وطلبت كل عظيمة وشددت منه العنق شدا
أشياء لو تليت .على طود من الأطواد هدا
فيجيب كل طلابة ليكون منك العيش رغدا

ويعرض هنا لملابس المرأة التي لا يقبل بها :

وبرزت بالثوب القصـ ـير وما جعلت لذاك حدا
وكشفت ساقك للعيو ن وما أطلت قط بردا
وخرجت في الاسواق تو لي اللطف أشياخاً ومُردا
وابنت للنظار رغـ ـم آبائه صدراً ونهدا
وحملت جزداناً به ليلى لقد أوهيت زندا
وعلى الحلاقة كالرجال لقد عكفت فجئت ادا
قالوا بأن الناس من قرد فصرت اليوم قردا

هذا ما وصفه الشيخ شمس الدين ، من صفات ليلى ، وهي المرأة التي شكلت عنده خروجاً على المألوف ، لأنها ارتدت ثياباً قصيرة ، وذهبت الى صالونات

الحلاقة ، وأبانت صدرها ونهدها وتركت حجابها على غير عادة نساء الجبل العاملي ، إذ ان المرأة العاملية في ذهنه تبقى تلك الفاضلة الحسناء ، التي تحب زوجها وأولادها ، ولا تتبرج ولا تخرج من المنزل دون إذن ، وهو يرى منها كائناً لا يخرج عن حدود المنزل قلباً وقالباً ، دون أن ينظر بعين الناقد الممحص لما مثّلته المرأة اللبنانية في الأدب العربي ، بشخص صاحبة ندوة الثلاثاء ، الأديبة ميّ زيادة والتي كان لأديبنا حظ اللقاء بها .

وأخيراً إذا جئنا نستعرض أفكار علي مهدي شمس الدين ، وآراءه في المرأة ، مقابلةً مع باقي المصلحين الاجتماعيين أمثال : جمال الدين الأفغاني ، وقاسم أمين ، ومحمد عبده ورفاعة الطهطاوي ، وبطرس البستاني وغيرهم ، وجدنا انه يتفق مع بعضهم في شيء ، ويعارض بعضهم الآخر في أشياء . وإن الشيخ من خلال ما ترك من شعر ونثر في المرأة ، يدلنا على تصلب وتشدد كبيرين ، فهو يرى الاقتصار على تعليم المرأة ما يتطلبه وضعها الاجتماعي فقط ، ويرفض فكرة العمل لها ، ويقول فيها : «أنت ريحانة لا قهرمانة ، ما للنساء ولمواقف الرجال ، فالمرأة مهما تمادت فليس لها إلاّ أن تقوم بمهام البيت وأدواته ، والزوج وملذاته ، والأولاد وتغذيتهم ، والعائلة وتربيتها ، وهي في كل خدرها »[1] . وهو يرفض لها أن تعمل والطهطاوي الذي سبقه بقرن تقريباً يقول : إنه يحق للمرأة العمل واستشهد ببنات نبي الله شعيب فقال : فلقد ساغ لنبي الله شعيب أن يرضى لابنته بسقي الماشية ، بدون أن يقدح ذلك في حقه بشيء ، حيث لا مفسدة في ذلك لأن الدين لا يأباه في البدو ولا في الحضر ومروءة أهل البدو لا تأباه وقال : « نساء النبي ونساء أصحابه كن يسعين على عيالهن ويخدمن أزواجهن ويمتهنّ (أي يتخذن لأنفسهن مهنة من المهن) وقال بعملها لتحسن وضعها ، ووضع بيتها الإقتصادي »[2] .

إذا ، كان الشيخ شمس الدين ، يشير على قارئه بمراجعة كتب الدين كما رأينا ، فإن كتب الدين لا تنفي عمل المرأة . كما قال الطهطاوي ، وإذا عدنا للبيئة التي تكلم فيها الشيخ لرأينا في جبل عامل حيث عاش أن المرأة تخرج مع الرجل جنباً الى جنب في الزراعة وتخرج في أنصاف الليالي ، ومن أجل العمل في حقول التبغ ، ولا تعود الا متأخرة ومع ذلك تتخالط مع الرجال وتتحدث معهم ، ولا يضرها هذا

(١) المخطوطة ص ٤٤

(٢) عمارة ، محمد . الأعمال الكاملة لرفاعة رافع الطهطاوي . ٢ / ٢١١ .

بشيء ، إنما يُعد مفخرة لها ، لأنها تسعى في سبيل عيالها وزوجها ، وإذا كانت البيئة العاملية ، بيئة زراعية ينقصها من الاهتمام الشيء الكثير ، فلا بأس على المرأة أن تخرج الى المجتمع ، وتساعد زوجها في جميع أعماله ، وتشاركه وظيفة التعليم وغيرها من الوظائف والأعمال .

الفصل الثاني
الفنون غير التقليدية

١ ـ الشعر الاخواني

« شعر الاخوانيات » فن قديم من فنون الشعر ، عرفته العصور السابقة ، ونظم فيه الشعراء وأكثروا[1] . وهذا الفن يصور العلاقات الاجتماعية بين الشعراء وممدوحيهم ، أو بينهم وبين أصدقائهم وأحبائهم ، ففيه التهنئة والاعتذار وفيه العتاب والشكوى والصداقة والمودة »[2] .

ولهذا الفن عند الشعراء العامليين منزلة جيدة ، إذ قلما تجد أديباً أو شاعراً الا ويبث أصدقاءه لواعج الحنين ، أو الشكوى القائمة على عتاب المحبة ، أو الاعتذار اللطيف ، وازدهر هذا الفن الشعري في المجتمع العاملي ، وذلك لكثرة العلماء والشعراء ، وعلى هذا كثر الشعر الاخواني حيث تراسل الأدباء والشعراء نظماً ، وتبادلوا الآراء والأفكار والنوادر ، مما دفع بعضهم لتصنيف المؤلفات في ذلك ، كما فعل كل من الشيخ علي الزين ، وعلي مروة ، والسيد كاظم مكي[3] ، ومحمد نجيب مروة وغيرهم ، وان وسائل الاتصال بين الشعراء كانت المراسلات ، والمساجلات ، والمعارضات ، والمقابسات ، كما سماها أبو حيّان التوحيدي[4] .

وشعر الاخوانيات بطبيعته النفسية ، يمثّل اتجاهاً من انسان الى انسان آخر ، يقاربه أو يرتفع قليلاً فوقه ، ان هذه الحدود التي ترسم العلاقة بين الشاعر وصاحبه الذي يتحدث اليه ، ذات تأثير كبير جداً في الصورة الفنية ، التي يمكن أن يتجلبب بها هذا الموضوع من الشعر ، الذي هو بسيط في الغالب ، لا يرقى بموضوعه الى باقي الفنون الشعرية الأخرى ، ومن هنا ان شعر الاخوانيات ، يتطلع الى جانب نفسي أصيل هو جانب البث أكثر مما يتطلع الى جانب الابداع ، واني لا أجرِّده من الابداع ، فتلك رغبة أصيلة في نفس الفنان ولكنه أحياناً لا يحرص عليها ، أو لا

---

(١) أمين ، بكري . مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني . ص ٢٨٨

(٢) الشكعة ، مصطفى . فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين . مصر ، طبع مكتبة الأنجلو مصرية . ص ٢٧٦

(٣) مصطفى ، قيصر . الشعر العاملي الحديث . ص ٤١٩

(٤) عانوتي ، اسامة . الحركة الفكرية والأدبية في بلاد الشام . ص ٧٠

يشتد حرصه عليها ، وأحياناً يحاول أن يضع بديلاً عنها بعض القيم الأخرى ، وان شاعر الأخوانيات في حرصه على الابداع يميل الى قيمة أخرى وهي التي تكاد تكون أظهر القيم فيه وهو الاطراف ، وان من الاطراف يقود الى سلسلة من المظاهر التعبيرية ، التي يتلاءم واياها وكل ما يحتاج اليه وهو زينة خفيفة ، لا تظلل القارىء ، ومعنى قريب لا يرهقه وتعبير شيق ينفذ اليه ، وزينات خفيفة متناثرة ، كاقتباس أو تعريض أو تضمين أو كناية ، دون أن يبدو على ذلك كله اثر العمل والقصد .

« وأكثر ما يحتاج اليه شعر الاخوانيات ، القدرة على الموسيقية ، التي تسخّر اللفظة الجميلة والمعنى والزينة لها ، وتسبك ذلك كله في إطار بارع شفاف ، المعنى والزينة أي بواسطة الموسيقية والسهولة التي يتطلبها يحتاج الى قاعدة عريضة في الارث الشعري ، والذي يلين بين يدي الشاعر كل الألفاظ والتعابير ويجعله قادراً على أن يصب ضمن الموسيقى الشعرية ما يشاء »[1] .

وعلى كلٍ فشعر الاخوانيات لم يصل الى مستوى الفنون الشعرية الأخرى ، من حيث قيمته الاجتماعية ، ولم يتعدَ كونه مراسلات بمناسبات وانما يراد منها تمتين الروابط الاجتماعية بين المتراسلين ، ومن أمثلة القصائد الخاصة بهذا الفن ، القصيدة التي أرسلها الشاعر علي شمس الدين الى شخص من آل خاتون[2] تزوج ولم يدعه إلى حفلة الزفاف .

إذ يقول فيها :

أوَبَعْدَ صفو منك مر زينت بيتك بالعكر؟
وبدلت صفوك مع ذويك أخا المحامد بالكدر
هلاّ بقيت كراهب في عفة النفس اشتهر
أو ما علمت بأن في التز ويج أكبرها خطر
ماء الحياة تريقه في الور د منك وفي الصدر

---

(١) المطالعات . ص ٢٨٩ ـ ٢٩٠ ـ ٢٩١ .

(٢) خاتون : أسرة عريقة من الأسر العلمية في جبل عامل ، خرج منها كثير من العلماء أصلهم من (أمية) قرية قرب رشاف ، وهي اليوم خراب ، وفيها تلقبوا بخاتون . سكنوا عيتا ثم جويا ، وهم من آل جمال الدين ابن خاتون ، وقيل لقبهم بيت البوريني ، وقيل انهم بيت الزاهد المعروفين ببيت أبو شاما ويقال لهم بيت الشامي تصحيفاً (وخاتون لفظ غير عربي معناه السيد ولقبوا بخاتون لأن شيخ العائلة كان عالماً تزوج بابنة السلطان الغوري الملقبة الخاتون) .

وتبيت ليلك ساهر الاجفـ ـان كي تقضي الوطر

ويعرض له مشاكل الزواج وكأنه يريد أن ينتقم ، لفعلته النكراء ، بعدم توجيه الدعوة له فيقول :

فالسمن هيء جلّه « والبفت » هيّئه صرر
ومن السميد أسلق غرائر للطعام ولا تضر
واقنِ جرار الزيت في مغناك خالية العكر

ويصور حال الرجل مع زوجته :

وإذا أتى وقت المصيف وأتى بعيد البرد حر
القتك تحت لحافها القاء موتى في حُفَرْ
ما القصد عرسك ربة النفس الأبية والخفر

وأرسل الى الشاعر ابراهيم بزي ، عندما وجه اليه الدعوة لشرب الشاي ولم يحضر :

امعلم الشبان في الأخلاق أغرقت نزعاً أيّما إغراق
أغرتك أبهة الوظيفة وهي لو فتشت عارية عن المصداق

ومن القصائد المشهورة في هذا المجال الحادثة التي ذكرتها في باب الفكاهة ، والتي حصلت بينه وبين الشيخ أمين شرارة ، من بنت جبيل ، وتبادل معه قصيدة اخوانية ، سأذكر البيت الأول من كل منها : قال الشيخ أمين :

يا معيني وناصري ومجيري وثمالي في كل أمر عسير

فأجابه الشيخ علي :

من معيني وناصري ومجيري من دعاة الخنا وأهل الفجور

وهذه القصيدة على الوزن نفسه ، والقافية ذاتها ، ومن قواعد الشعر الاخواني ، أن يرد الشاعر على صاحبه بقصيدة مشابهة حتى في الوزن والقافية .

وقد أرسل اليه الشيخ عبد الكريم شمس الدين [1] عندما كان في العراق بقصيدة اخوانية بمناسبة مغادرته السجن منها :

سقاك الحيا يا مربع البركات وحياك زهر الروض بالنفحات
ودامت بك الافراح ما دامت الدنا ولا زلت مأوى للضبا العفرات
وفيك علي سيد القوم انْ نمي سليل كرام فاز بالقصبات
لقد حاز مجد الأولين مسدداً بهمته الشماء والضربات
تحدثت الركبان عن نذر سيبه فضاق لعمري رحب ذي الفلوات

إلى أن يختتم قائلاً :

عذولي لا تعذل فأني معذب بحبٍّ فتى ذي عزمة ونباتِ
أبيت على شوق هل الجمر أبصرت عيونك أم أحست باللذعات

وهنا يشير الى خروج الشيخ من السجن :

سررت بما قد جاءني من بشارة تلقيتها بالبشر والرغبات
فإني وان أتاني الدهر لم أزل أواصلكم بالبذل والدعوات [2]

إن هذه القصيدة تتشح بالطابع الديني الرقيق وكذلك فيها لواعج الحنين الصادق من شاعر مغترب الى شاعر غادر لتوه حجرات السجن المظلمة .

ومن القصائد الاخوانية ،ما أرسلها الى السيد محسن الأمين ، والسيدين علي ومحمد محمود الأمين وكل هذه القصائد منشورة في أعيان الشيعة الجزء ٤٢ من الصفحة ١٦٩ ـ ١٨٢ .

ختاماً نرى أن هذا الشعر الاخواني جزء من كل هو الاخوانيات العامليات التي يمكن أن تكون بدوافعها ، ومضمونها موضوع دراسة منفصلة ، إلا إنها تعبير عن روح الجماعة في المجتمع العاملي وعن قيام المنتديات الأدبية العفوية في جبل عامل .

---

(١) الشيخ عبد الكريم شمس الدين (معاصر) ولد في قبريخا سافر إلى النجف الأشرف وتخرج فيه ، شاعر مقل ، أولاده علماء أفاضل منهم الشيخ محمد مهدي شمس الدين نائب رئيس المجلس الاسلامي الشيعي الأعلى والشيخ عبد الأمير والشيخ محمد جعفر وغيرهم . . .

(٢) القصيدة نقلتها مشافهة عن الشيخ عبد الكريم شمس الدين .

٢ ـ العتاب والاعتذار :

العتاب زفرة ألمٍ يبثها الأب ابنه ، والأخ أخاه ، أو القريب أو الصديق ، بل هو شكوى صادرة من أعماق النفس ، تنجلي معها الهموم والمآسي ، التي سببها هذا الابن وذاك الأخ ، وعند اكتمال الزفرة ، وانتهاء الشكوى ، تتعانق القلوب محبة « وفي العتاب حياة بين أقوام »(١) .

وبعد توجيه العتاب الى الصديق والحبيب ، ينتظر المعاتب الاعتذار وقد لا يطلبه ، فيبادر المسيء الى الاعتذار ، وهو همسات قلب محب يطلب الصفح ، ولا بد أن يناله ، وقد يكون العتب لعدم قضاء حاجة ، أو كأن يزور شخص شخصاً فلا يجده ، أو يطول غيابه وينقطع عن زيارته ، فيأتي الاعتذار اللطيف ، ويعود الصفاء من جديد .

« وعادة ما يكون هذا النوع من الشعر ذاتياً ، وشخصياً ، محدود الأثر بين الأحبة والأصدقاء ، فالذي يعتب يحس بتقصير صاحبه معه ، أو تخليه عنه ، وأما الذي يعتذر فإنه غالباً ما يحس بذنب ارتكبه ، بحق من يحب ، وهو غير متعمد للإساءة وقد يكون خائفاً حتى من عواقب هذا الذنب ، فيسارع للاعتذار وايراد الحجج والمبررات »(٢) .

والشاعر علي شمس الدين عاتب على أولاده لتخليهم عنه ، وما أروع عتب الوالد على أبنائه فهو يقول :

بح صوتي والمنادى في صمم ... فإلى من أشتكي فَرْطَ الألم
حالف الدهر على حرب الأولى ... هم يدى اليمنى وسيفي والقلم
فإلى من اشتكي دهري إذا ... خانني الولد وجافاني الرحم(٣)

يقول هذا بعد أن ابتعد أولاده عنه وترك وحيداً في الحقبة الأخيرة من حياته وتصل به الحالة لأنْ يصرّح :

استغنيت عن أرضي وعن فلحها ... وعن جميع الولد والأقرباء

---

(١) المنجد في اللغة والاعلام . دار المشرق . بيروت ، (فرائض الأدب ص ٩٩٩)
(٢) مصطفى ، قيصر . الشعر العاملي الحديث ص ٤٣٠ ـ ٤٣١
(٣) المخطوطة رقم ١ . ص ٢٧ .

وصــرت لا أخشى هـلاكاً إذا ضنّت علينا بالســحاب السمـاء[1]

ويحتكم الشيخ مع أولاده الى العالم العلاّمة الشيخ محمد تقي صادق المكنى بأبي جعفر متسائلاً بعد أن يعدد ما سببه له أولاده بقوله :

يا «حجة الإسلام» ماذا ترى هل فعلهم هذا دليل العقوق
أم وصلتني يا أبا جعفر منهم بلا «قين» جميع الحقوق
فلا تلم من يشتكي ظالماً يخدعه في خلب من بروق[2]

وما أصعب تلك اللحظة ، التي يجبر فيها الأب الوالد ، لأن يتقاضى وأولاده أمام عالم لكي يثبت حقوقه على أبنائه ، ولعمري انها مرحلة صعبة كان يجتازها الشاعر .

ويعاتب ابنه محمد علي لأنه وعده ببرد وأخلف الوعد فأرسل اليه بقصيدة يصف هذا البرد[3] ، ويبدو ساخراً ، ينقل اليك الصورة التي تعبر عن حاجته ، ويعطيك المنظر الأجمل ، الذي يجب أن تكون عليه ، وامتاز بهذا الأسلوب الجاحظ في رده على من انتقد كتاب الحيوان . وينتقل الشيخ بقصيدته من مشهد الى آخر ، وكأن مسرحية متكاملة الفصول تعرض أمام عينيك وأنت متلهف لاعادة كل مشهد ، وها هو يعرض لمشهد آخر يخاطب أولاده .

أفعمتُمُ أذني واخليتم على عمد كفوفي
وتركتم الجرذان في بيتي تكد على الرغيف
جدرانه لفسادها كادت تخر على السقوف

من عناصر التشويق في هذه المسرحية الشعرية ، ان يعرض عليك جرذاً يقتحم بيت رجل عجوز لا يستطيع رده ، وكيف ان هذه الجرذان قد نخرت السقف وعاثت بالجدران .

ويتابع ليقول :

---

(١) المخطوطة رقم ١ . ص ٢٩ .
(٢) المخطوطة رقم ١ ص ٢٨ ـ ٢٩ ـ ٣٠
(٣) انظر الصفحة ١٩٥ من هذا الكتاب .

أسلمتموني للردى ومضاضة العيش الكفيف[1]
فكأنني فرخ به سغب يغُطُّ على الرفيف
وكأن كلاً منكم أما نطقت فتى ثيف

وينتقل من السخرية بأولاده الى عتاب نفسه ولومها ، وكثيراً ما نشاهد بطل المسرحية يكلم نفسه

فعليكم لا عتب لي عتبي على رأيي السخيف
وليتكم أمري فلم أفلح ولو بندى طفيف
هذي الشهور تمر والأعياد تخطر بالشفوف
وأبوكم بعيونكم حتماً أذل من الوصيف

وقد لا يطول سكوت الشيخ في عدم معاتبة أولاده ، ويعود فجأة ليكلمهم بسخريته المعهودة وكأن شيئاً دفعه دفعاً فيقول :

قد كنت أحسب أنني استعفيت أولاداً أماثل
حتى إذا غدر الزمان فلم أجد الا المخاتل

وهذا الدافع هو غدر الزمان كما أوضح لنا الشاعر ، والشيخ عاتب على أصدقائه أيضاً فهذه أبيات عتاب أرسلها للشاعر حسن البحيري[2] عندما زار حيفا في فلسطين في ٤ / ٣ / ٩٤٤ وفيها يقول :

قل للبحيري إذا جئته أغرقت نزعاً في جفاء الصديق
جافيته عمداً بلا باعث فهل لديك الهجر عمداً يليق
تفضلاً زره ولو ساعة فأنت في كل وفاء خليق
منحته لطفك فيما مضى فعاد في بحر وفاكم غريق
والآن ضيعت ذمام الاخا مع مخلص يراك أوفى شقيق

---

(١) القصيدة طويلة جداً وبها يستعرض كل مأساته مع الحياة والمجتمع وأولاده . وهي موجودة في المخطوطة رقم (١) بلغت ١٠٨ أبيات من الصفحة ٣٠ ـ ٣٥ . « جدرانه لفسادهم ـ تم التصويب » .

(٢) حسن البحري : شاعر فلسطيني معاصر موجود اليوم في دمشق ، صاحب ديوان الأصائل والاسحار ، التقاه الشاعر أثناء زيارته الى حيفا . فلسطين . وسبق الحديث عن هذه الزيارة في لقائه مع الشعراء .

فإن تكــن حوشيــت من سكرة بعــد ثلاث[1] آن أن تستفيق[2]

ويتابع نثراً ومن عادته في المديح أو العتاب والرثاء أن يدخل في قصائده أو في خاتمتها مقاطع نثرية كما الحال في هذه المقطوعة .

« عجالة مخلص ، وثورة محب ، لا يرضى خفراً لذمة ولا ينام على ضيم فما لك رعاك الله اعرتني ظهرك وأنا المخلص الوحيد والمبشر اللسن تدارك يا حسن الصفات ما فات وأرني وجهك الكريم » .

وفي المناسبة نفسها ، أرسل هذه المقطوعة الى السيد ابـراهيم الرمـلاوي[3] رئيس نادي أنصار الفضيلة في حيفا ، وهي عتاب أيضاً .

يـا زعيـم الشبــاب إنـي نزيل وعلى ذي الحفـاظ حفـظ النـزيل
لك في مهجتـي أجـلُّ مقام لم أفـرغـه قبلـكـم لخليــل
أنــا بالأمــس قـد سعيت لرؤ يـاك ولــكـن سـدت حظـوظي سبيلـي
فتلــطف بأن أرى وجهـك الميمـون يا ذا الحفـاظ قبــل رحيلي[4]

الخلاصة ، أن فن العتاب قد يأخذ على عاتقه القضايا الاجتماعية ، فيعبر عنها بصدق ، كأن يشكو الشاعر ، فقراً نزل به ولم يجد معيناً له وخاصة من أقرب الناس اليه أولاده وهذا ما حصل فعلاً مع الشيخ شمس الدين . ومن خلال قصائده الطوال تتجلى لنا تلك الروح المسرحية إذ تعتبر القصيدة وحـدة متكاملـة من حيث تعـدد الأغراض والفنون والمشاهد ، وحتى تنوع القافية .

٣ ـ أدب الفكاهة :

الضحك خاصة انسانية ، والإنسان حيوان ضاحك ، هذا ما أشار اليه الكثير

---

(١) بعد ثلاث هنا يشير الى المدة التي قضاها في حيفا دون أن يلتقي الشاعر .

(٢) المقطوعة موجودة في المخطوطة (٢) صفحة ٢٠ ـ ورواها شخصياً علي موسى شمس الدين الذي رافق الشاعر في رحلته . (ذما الاخا = الصواب = ذمام) .

(٣) ابراهيم الرملاوي : (معاصر) من مزرعة مشرف التي تبعد حوالي ٣ كلم عن بلدةقانا في الجنوب ، عاش صباه في فلسطين ، قام بعدة نشاطات فكرية ، أنشأ أكثر من نادي في فلسطين ، جمعت أكثر شباب الوطن المهاجرين ، ومن هذه النوادي التي كانت فروعها الأساسية في جبل عامل وكان «حين زار الشاعر فلسطين» يترأس «نادي أنصار الفضيلة » وقد استضاف النادي الشاعر شمس الدين طوال مدة بقائه هناك .

(٤) المخطوطة رقم ٢ . صفحة ٢٠

من الباحثين والمفكرين والفلاسفة ، وقال برغسون : اننا لا نضحك إلاّ من الإنسان ومن أموره الانسانية ، فلا مضحك الا فيما هو انساني ، ويضيف برغسون قائلاً : للضحك جوانب اجتماعية مختلفة منها أن الضحك دائماً ضحك جماعة ، وكذلك انه كابح إجتماعي ، يرد الذي أخرج بفعلته أو عيب من العيوب فيه الى حظيرة المجتمع الذي أخرج منه ، فهو نوع من التأديب[1] وكما أن الإنسان يبكي من الألم والحزن ، فإنه يضحك مسروراً بعمل جيد ، أو حدث مفيد ، وهذا الضحك يكون صادقاً بريئاً، وقد يضحك الإنسان مرغماً ، خافياً بين ضلوعه لوعة وأسى ، يشكلان موقفاً عكسياً . من أنواع هذا الضحك، الإبتسامة الساخرة الصفراء، أو الذي يضحك مجبراً تحت ضغط قوي والضحك أنواع ، منه النكتة والتهريج والدعابة ، ويمكن أن تستعمل كلمة الفكاهة بدل الضحك .

والشاعر العاملي الذي يصور عصره ، عادات أهله وتقاليدهم لم يذهب عن باله أبداً أن ينقل الينا هذا الأدب الهام من حياة العامليين ، فلو تصفحنا فنون الشعر عند العامليين لوجدنا أن شعر الفكاهة يأخذ الحيِّز الكبير ، وقد ترك المرحوم الشيخ علي مروه ، كتاباً خاصاً في هذا المجال تحت عنوان « من روائع الأدب الفكاهي العاملي » وكذلك الشيخ محمد نجيب مروه كتاب « الروض الزاهي في الأدب الفكاهي العاملي » مصورين حوادث جرت بين عدد من الشعراء العامليين ومن هذه الصور الطريفة البريئة التي نقلاها ، انه اذا نفقت لأحدهم عنزة أو دابة ترى أكثر من شاعر يؤاسيه بهذا الخطب الجلل ومن أمثلة ذلك أنه كان للشيخ نجيب مروة حمارة سوداء أسماها الكحلا ، فركبها في بعض السنين قاصداً « بصرى أسكي شام » من أعمال حوران وفي أثناء سيره ماتت فرثاها بقصيدة منها :

خرجت قبل الصبح من أرض عامل   الى جهة فيها على الدهر انصر
ورحت أجد السير فوق حمارة   عن الخيل في البيداء لا تتأخر[2]

ومن أمثلة هذا الرثاء أيضاً ، تلك المراسلات العديدة بين الشاعرين ، السيدين نور الدين بدر الدين[3] وجعفر محسن الأمين[4] ، عندما ماتت للسيد جعفر

---

(١) أمين ، بكري . مطالعات في الشعر المملوكي . ص ٢٧٩ .

(٢) مروة ، علي . روائع الأدب الفكاهي العاملي ص ٤٩

(٣) السيد نور الدين بدر الدين : (توفي ١٩٧٨) في بلدة النبطية ، كان أستاذاً في وزارة التربية الوطنية .

(٤) السيِّد جعفر الأمين (توفي ١٩٨١) من بلدة شقراء قضاء بنت جبيل . وهو ابن السيد محسن الأمين ، كان مديراً لمدرسة شقراء مدة طويلة ، لم يجمع شعره في ديوان .

عنزة ، رثاه السيد بدر الدين بقصيدة فردّ عليه السيد جعفر الأمين بقصيدة على الوزن والقافية نفسها[1] واذا نظرنا شعر علي شمس الدين، وجدناه ساخراً يمتلك روحاً مسرحية في شعره ، ولذلك يخافه من يعرف انه سيتعرض لسخريته ، وان كان باستطاعتي القول ان هذه الضحكة البريئة ، تخفي تحتها آلاماً كثيرة ، فبذلك يحاول الشاعر أن يتكيف مع البيئة وان فرضت عليه . وصادف مرة أن طلب أحد أقارب الشيخ اشتراكاً في المياه، من أجل الحصول على مياه الشفه، وذهبت الأيام وبقي الطلب في أدراج وزارة الأشغال ، ويعلم الشيخ فيذهب للسيد أحمد الحسيني[2] الوزير يومذاك ، ويرسل اليه بواسطة سكرتيرته ورقة صغيرة كتب عليها :

تشحرت اخته لما أتى خبر ... ان ابن والدها أمسى من الوزرا
فولولت ثم صاحت وهي قائلة ... يا رب بالمصطفى لا تصدق الخبرا
ان صح ما قيل فالدنيا على خطر ... ونحن في حالة لا تحمل الخطرا[3]

ومرة وعده السيد حسين صفي الدين ، من بلدة شمع ، بكيس من الفحم وأخلف ، فأرسل اليه يقول :

جاء الشتا وأوان وعدك لم يجيء ... وتكذبت فيما رجوت ظنوني
ان قلت في كانون وقت وفاته ... رحت مسوفاً وعدي الى تشرين
وان أتى تشرين رحت مسوفاً ... وعدي بلا سبب الى كانون[4]

وقال عندما وعده أحد الوجهاء بثور وأخلف :

عمرت « بايكة » ومعلف ... وربطت « طاروسا » مكلف
« عوداً » شريت وسكة » ... وكذاك يفعل من تطرف
وبسرعة من وعدكم ... حبكتها قد رحت أرسف
ليت « الزناق » يشد في ... عنق الذي فيكم تعرف

الى أن يقول :

---

(١) راجع كتاب روائع الأدب الفكاهي العاملي ص ٤٩

(٢) جاء في كتاب انتخابات في لبنان من صدر التاريخ حتى اليوم . تأليف جورج سعادة : السيّد أحمد الحسيني . شيعي ، ملاك ، نائب من أعضاء المجلس التمثيلي الأول من ٢٤ أيار ١٩٢٢ الى كانون الثاني ١٩٥٢ ثم انتخب بعد ذلك عدة سنوات .

(٣) المقطوعة منقولة عن علي موسى شمس الدين .

(٤) المقطوعة منقولة عن نجيب شمس الدين .(معاصر) من مجدل سلم ، يقيم اليوم في بيروت .

ولو كنت قبلاً لم تعد فنا لكان الفن أشرف
وأظن أنك لا تَفي حتى يكون الثور خلَّف[1]

ويقول ساخراً من أحد الزعماء :

يعطي من الألف فلساً للفقير وان حاسبته طرَّز الأعذار تطريزا
قد قسم الحق حق الله عن طمع بغير عدل فكانت قسمةٌ ضيزى

والشيخ علي يسخر من أحد الوجهاء في جبل عامل إذ كان قد وعده « بصاكو » وخلافه وأخلف :

بوجت خمسين بوجاً في رحابكم للنصب والنصب عندي أكبر الفلج
وقد غرست بها ما شئت من شجر فأثمرت جُبَباً سوداء كالسبج

إلى أن يصل الى سخريته المعهودة :

والجوع داع للسؤال ومنعكم في غير داع
وعلي جمعت الهمو م وقد عجزت عن الجماع
مرنا باحضار الحمار ة والجوالقة الوساع
واذا أبيت تركتنا بأذل من فقع بقاع

والشيخ علي شخصياً ، قد لا يكون بحاجة الى هذا التبرع السخي ، من قبل المخاطَب ، إلا أن الشيخ يتكلم باسم فئة فقيرة من أبناء « عاملة » ، والمخاطب المقصود قد لا يكون هو الشخص المراد تقريعه ومداعبته بهذه السخرية اللاذعة ، « واني من خلال اطلاعي على شعره ، أراه دائماً يتحدث عن الفئران وغضبها من خلو بيت الفقير من المآكل » . وكان الشيخ على علاقة وطيدة بالشيخ علي الزين[2] من بلدة قليا[3] وان لم أعثر على نصوص تكمل اللقاءات أو تؤ رخها ، الا بهذه المداعبة نقلتها عن الشاعر عبد الكريم شمس الدين[4] وهي : أرسل الشيخ علي شمس

---

(1) الا تفي . الصواب . لا تمي .

(2) الشيخ علي الزين : (ت ١٩٦٤) شاعر من بلدة قليا في البقاع الغربي من أهم قصائده الهتلرية وكان في بدء حياته زجالاً « إلا أنه جنح في آخر حياته الى نظم الشعر الموزون المقفى » .

(3) قليا : بلدة في البقاع الغربي تتبع قضاء جب جنين شتاء وصغبين صيفاً

(4) الشاعر عبد الكريم شمس الدين ، شاعر جيد . ولد عام ١٩٣٥ م في مجدل سلم ، ويقطن اليوم النبطية مع عائلته ، ويعمل موظفاً ، له عدة دواوين منها : الجرح المدمى ، مواسم . وقصائدي لكم .

الدين عندما كان قاضياً في مرجعيون مع أحد الأشخاص ، رسالة الى زوجة الشيخ علي الزين ، وأراد من هذه الرسالة تحريض « أم زين » أي زوجة الشيخ علي الزين على الشيخ بدعوة أن زوجها قد تزوج بامرأة سواها إذ قال :

من مخبر أم زينٍ أصدقَ الخبرَ ان العلي لبنتِ الشيخِ قد مهرا

فصادف أن التقى الشيخ علي ، الشخصِ حامل الرسالة ، ولما رآه أعطاه الرسالة ففضَّها الشيخ وحمَّل الشخص الرد فوراً :

إن يخبروك تزوجنا فلا عجب فذاك كذب من القاضي وأكل (. .)

وبعد لقاء مع مي زيادة كتب لها مداعباً :

أتشربين ببز باؤه قلبت أم تشربين ببز غير مقلوب

وهذه قصة لما جرى للشيخ علي مع محمد العبد الله[1] وهي ان « محمد افندي العبد الله » كان من الوجهاء المحترمين في جبل عامل ، وكان مرهوب الجانب ، وصادف أن ادعى ، انه سيخرج مع المهدي المنتظر ، (محمد بن الحسن العسكري) فما كان من الشيخ علي عندما علم بالأمر ، إلاّ أن مزج المسك والزعفران وصنع منهما حبراً للكتابة ، وما أن انتهى من تحضير الحبر ، حتى أخذ ورقة وكتب عليها « من صاحب العصر والزمان ، محمد بن الحسن العسكري ، الى مساعدي في الأرض محمد بن الحسن العبد الله ، أما بعد : « لقد قرب موعد ظهورنا ، فبشروا عندكم بقرب الفرج ، ودنو الخبر السعيد ، من أجل الدعوة عندكم »، ثم وضع الكتاب بشكل مرئي من الجميع ، فوق بوابة الدار ، ولما شاهدوه أعطوه للأفندي ، الذي ما ان قرأه حتى خرّ ساجداً الى الأرض ، ومن ثم أخذ يجمع الوجهاء من المنطقة ، ويقص عليهم الرؤ يا السعيدة ، فصدّقه جمع غفير ، وعلم الشيخ عبد الحسين صادق بالأمر فتوجه اليه وسأله عن الأمر ، فأخبره ما جرى معه ، فلما تمعّن الشيخ صادق به قال متسائلاً هل مر الأقرع[2] من هنا ؟ فأجابه : نعم . ومكث ليلة عندي، ضحك الشيخ صادق، فسأله الأفندي على الفور وهل يجرؤ على ذلك ، فأجابه تجرأ ومضى .

---

(١) محمد العبد الله أحد وجهاء بلدة الخيام في ذلك الوقت

(٢) الأقرع كناية عن الشيخ علي

ولم يسلم من سخرية الشيخ علي حتى أولاده ، فأرسل الى ابنه محمد علي ، وقد وعده ببرد وأخلف

أدفأت آذانـي بـوعـدك يـا أبا عبـد اللطيـف
في خير بـرد يقتنـي لا بالثقيـل ولا الخفيـف

وأرسل اليه في رسالة ثانية يقول :

الله ما أحلى طحـين الورق ومـا عليه من مداد مرق[1]
بنشـره يصبـح في راحتـي أرغفـة أمـلأ منهـا طبـقي
فاعصـره بعـد البلِ تعـطى بـه ان تبتغـي اللـذة شحـم الغنـم
وان تـرم طبخـاً له يغتـدي فيلـوذجـاً يذهـب عنـك الألـم[2]

وأرسل مداعباً موسى الزين شرارة قائلاً :

هل عندكم ما عندنا يـا مشرك أنف يسيل أسًى « وطيز » تضحك[3]

وله عندما وعده أحدهم بشيء من التين :

أكلنـا تـين وعـدك وهـو فـج فآذانـا وطـول الـوعـد يؤذي
وحـين وعـدتنـا فيـه مساء تحقّـقْنَـا بأنـك كنـت تهـذي

وختاماً ان هذه المشاهدات الساخرة الضاحكة بمرارة ، تدلنا على أن روح الفكاهة كانت شائعة في الجبل العاملي ، غير أن المزاج الشخصي للشيخ ، ساعد على شيوع الفكاهة في شعره ، ولكن هذا الفن الشعري الساخر يفتح أعيننا على حقيقة مرة ، نستشفها ونراها من خلال نوادره ، والنوادر التي يتبادلها شعراء جبل عامل ، إذ يرثون ثوراً مات أو يرثون حمارة ، أو نعجة ، أو عنزة ، ثم يعزون أصحابها ، إنما يرثون بها أنفسهم من خلال رثاء الثور أو النعجة ، وتضحك من أعماقك لاستعمال الجمل الرائعة الدالة على الصور ، وما ان تنتهي الصورة ، حتى ترى الدموع التي سالت فرحاً إنما ذرفت فعلاً على عائلة تعلقت حياتها بحياة ثور تقتات من أعماله ، أو عنزة تأكل حليبها ، أو حمارة يعيشون من نتيجة أيجارها ، فتموت فيبكونها بكاء مراً

(١) المخطوطة ـ ١ ـ ص ـ ٢٨ ـ ٣٠

(٢) المخطوطة ـ ١ ـ ص . ٣٠ ـ ٣٥ الفيلوذ : ضرب من الحلواء ، فارسي معرّب . لسان العرب ٥٠٣/٣ .

(٣) البيت ذكره موسى الزين شرارة

تلك المظاهر وان دلت على معنى فكاهي فطري بريء ، فإنما تدل على أوضاع مزرية عاشها هؤلاء العامليون في جبلهم المنسي ، فظلوا يضحكون الحرمان بمرارة ، أو يبكونه بسخرية .

٤ ـ تقريظ الكتب ونقدها

إن تقريظ كتاب ما ، صدر أو سيصدر لكاتب أو شاعر ، ما هو إلاّ تبادل الاطراء والمديح ، وكان الأدباء يرسلون الكلمات الأدبية ، والشعراء يرسلون القصائد الشعرية ، وكلٌ يجاري الكاتب في النسق الذي وضع عليه الكتاب ، وقد وجدت تقريظاً شعرياً ، أرسله الشيخ علي شمس الدين للشيخ محمد نجيب مروه ، صاحب كتاب « الروض الزاهي في الأدب الفكاهي » وهي قصيدة شعرية تساير نمط الكتاب الذي وضعه صاحبه على : جمع النوادر ، والملح ، والنكات الحلوة الجميلة ، وسنأتي على ذكر هذه القصيدة بعد قليل ، وكذلك وجدت في ذلك الكتاب ، تقريظاً أدبياً للدكتور حسين مروة[1] ، حيث يقول فيه تحت عنوان « الفكاهة وروضها الزاهي » :

(ولا وسيلة لذلك أنجح من اختلاس بضع دقائق من ثنايا سويعات التفكير ، ومساورة الهواجس ، لسماع أو تلاوة مقطوعة أدبية فكاهية مطربة ، فيضحك اذ ذاك من خاطرات الهموم والأحزان ، ما كان يتطاير حول قلوب التعساء ، ويتبدد ما كان يحجب أشعة الأفكار النيرّة عن النفاذ الى أعماق الأشياء .

فلا بدع إذاً أن يكون احتياج الأمة الناهضة الى شاعر رقيق الحاشية والعاطفة ، لطيف الطبع ، حلو المذاق ، يعاطي أسماع بنيها اكؤس رحيق المزاج الأدبي ، نتنقل في النفوس فتسكرها طرباً كاحتياجها الى شاعر حي الشعور)[2] .

أما الشيخ علي شمس الدين فقرَّظ الكتاب بهذه القصيدة :

يا ابن المروة روضك الزاهي غدا كالروض في نواره وعبيره

(١) الدكتور حسين مروة : ولد عام (١٩١٠) ، شاعر وناقد وكاتب كبير كان يدرس الفقه في النجف الأشرف ، ثم عاد وعمل في السياسة ، نال جائزة أصدقاء الكتاب عام ١٩٦٥ وله « مع القافلة » ، وكتاب « النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية » عام ١٩٧٨ .

(٢) مروة ، محمد نجيب . الروض الزاهي في الأدب الفكاهي ١٥٤ .

جمع الظرافة واللطافة كلها ببسيطه وطويله وقصيره
هو مطرب الشيخ الكبير ومضحك الطفل الصغير اذا بكى بسريره
صاغته فكرتك الدقيقة آية لا فرق بين عويصة وخميره
أودعت فيه من المزاح فرائساً تنسي حمار الشيخ قضم شعيره
أديت فيه حقوق كل أخ لقد غدر الزمان بخيله وحميره
كم ثور فلاّح أقمت عَزَاءَهُ إذ كان مصرعه بلطمة نيرِهِ
وإلى بني جساس دراً سقته لم يأت شاعر أمة بنظيره
وعلى الفكاهة والمزاح قصرته سيان دراً نظمه ونثيره
حاربت « عيسى سيف » ثم غلبته وله أَبَنْتَ وقيت سوء مصيره
فجزاك ربك كل خير ما يُجْتزى امرىءٍ ووقاك من « عيسى » ومن تعثيره[1]

٥ ـ الطفولة :

الطفولة ذلك التعبير الذي لا ينفصل عن البراءة ، فالأطفال براعم تنمو من أجل الحياة ؛ وأزاهير تتفتح في ربيع الوجود ، ومنهم مَنْ تتفتح عيناه على واقع مأسوي ، لا ذنب له فيه ، ومنهم من يطلّ ليرى الدنيا تبتسم له ، فكم من طفل عُيِّن ملكاً منذ ولادته ، وهو لا يعرف من هذه المراسيم شيئاً وطفل تنتظره التعاسة لتعضه بنابها المسموم .

الطفل الجنوبي بريء براءة كل أطفال العالم ، ذلك المعذب الذي ما شاهد قط احتفالاً بعيد ميلاد له ، الذي عاش طفولة مسؤولة ، فمنذ نمو براعمه ، يجد نفسه أمام واقع مرسوم « العمل مع الأهل من أجل مقاومة الحياة » خائف دائماً كيف لا « وبساطير » الأتراك تقرع أذنيه وينتزعون والده ليزجوه بحرب لا علاقة له بها ، وقد يعود مصاباً وقد لا يعود . وهو الذي وعى الحكم الفرنسي ، وما نال وطنه من تأخر معيشي واجتماعي ، وما زال يشاهد ويعايش قنابل اسرائيل تزرع الموت ، وتمزق من تمزق ، وتجرح من تجرح ، والعجيب فعلاً لو سألت أيَّ طفل جنوبي أو لبناني ولد في السنوات العشرين الماضية ،عن أي نوع من السلاح لأجابك فوراً هذه قذيفة « عنقودية » وتلك « انشطارية » وهذا « هاون » وذلك موزر وهذه « فانتوم » وتلك « ميراج » هذا الطفل الذي يمضغ التبغ ويرضع الرصاصة ، جُبل على هذه

(١) مروه ، محمد نجيب . الروض الزاهي في الادب الفكاهي ص ١٥٤ .

الحياة ، والعادة طبيعة ثانية ؛ ألعابه بقايا قذائف ، وحكاياته حديث مستمر عمن قُتِلَ هنا ، ومن أصيب هناك ، وأي حقل احترق اليوم ، وأي بيت تهدم البارحة بدلاً من العاب كهربائية تسلية وتفتح مداركه ومدارس تعلمه بدل أن تسقط على رأسه . والشيخ شمس الدين ، يتذكر طفولته في أحلك ساعة من ساعات حياته ، في السجن وهذه القصيدة طويلة يقول فيها :

حيّت ربـاك نسمات السحـر ... يا ملعبـي عنـد زمـان الصغـر
أيام كنـا القضـا طوعنـا ... نلهـو مع الغيـد بلعـب الأكر
حلواؤنـا البلـوط أنعـم بـه ... وكِنُّنا تحت ظـلال الشجر[1]
ومهدنـا الممتـاز أرجوحـة ... نغـدو بها بيـن كر وفـر
ووردنـا الأجـران عنـد الظمـا ... بالقش نمتـص بقـايا المطر

وينتقل الشاعر من ذكرى الى أخرى ، فهو فارس يركب العيدان ويصطاد بشوكة مثقوبة بارودها التراب الناعم ، هذا في الصيف ، أما في الشتاء ، فلعبة « الدوش » « والمنطاع » ، وفي الربيع انتقاء الأزهار والنرجس ومطاردة الفراشات ، وعند ذبول الأزهار ، تأتي مهاجمة العصافير في أعشاشها الى حلول أيام التين « والعجر »[2] ، ولا ينسى هذا الطفل ان في حليب التين بعض الضرر ، طفولة بريئة هانئة يتندر عليها طفلنا اليوم (ستثبت القصيدة في الملحق) .

٦ ـ التأريخ الشعري :

من الأبواب المستجدة على الشعر ، فن التأريخ الشعري ، وادعى الأمير حيدر الشهابي[3] ان عبد الرحمن البهلول[4] أول من اخترع هذا الفن حيث قال : وهو الذي اخترع فن التأريخ على حساب الجمل ، لأننا لم نجد تأريخاً على هذا الحساب قبل عهده[5] .

(١) ابراهيم ، علي . شعراء من لبنان . ص ٢٥٣ . كنن : الكِنُّ البيت . لسان العرب ١٣/ ٣٦٠ وهنا : البيت الذي يبنيه الأطفال من الحجارة الصغيرة .
(٢) التين قبل أن ينضج
(٣) الأمير حيدر الشهابي ١٧٦١ م ـ ١٨٣٥ م له عدة مؤلفات تاريخية .
(٤) شاعر دمشقي برع في الأدب والتأريخ ١٦٦٣ / ١٧٤٩ م (عن المرادي ٢ / ٣١٧) . (المطالعات ١٦٧)
(٥) فن التأريخ الشعري وتواريخ المنسنيور يوسف العلم « الحركة الفكرية في بلاد الشام » . للعانوتي ص ٦٤ .

أمـا الأب لويس شيخـو[1] فيقـول ان حسـاب الجمــل ، عريق في الأدب العربي ، ظل العرب ، يعرفونه حتى أوائل العهود الإسلامية ، فاستبدلوا به الأرقام الهندية ، ثم انهم ركّبوا حروف الجُمل تركيباً له معناه اللغوي ، الى جانب دلالته التأريخية الحسابية ، وسموه « التأريخ الحرفي » الذي عرفوه « بأنه ما دل على ابتداء زمن بطريق جمل حروف معدودة ، أو ما في معناها » ، أما الأبياري فإنه يقول في كتابه « سعود المطالع » قد رأيت بعض التواريخ ، ما يقتضي انه كان مستعملاً في الجاهلية الأولى عند شعرائها ولكنه لم يورد أمثلة على هذه التواريخ ، « والتأريخ الشعري معتمد على اصطلاح معروف قوامه الأحرف الأبجدية « فأبجد وهوز وحطي » وعدد حروفها عشرة يأخذ كل حرف منها رقماً متسلسلاً من واحد لعشرة على التوالي . . . فالألف رقم واحد والباء اثنان . . . . وهكذا وعندمـا نصـل الى « كلمن »فالصورة تختلف حيث ترمز الكاف الى العشرين واللام الثلاثين وهكذا حتى المائة وعندما نصل الى المائـة ، نبدأ بالمائتين ، وهكذا حتى الألف » ، وهذا جدول تفصيلي بالأحرف والأرقام . وبهذا التأريخ أخذ الشعراء بالتأريخ لموتاهم ، ولبناء بيوتهم ومساجدهم ومدارسهم ، ولولادة أولادهم ، أو أولاد أصدقائهم ، ولمناسبة الزواج أيضاً ، أو تسلم وظيفة وكل مناسبة من هذا القبيل

ا	ب	جـ	د	هـ	و	ز	حـ	ط	ي	ك	ل	م	ن	س	ع	ف	ص	ق	ر	ش	ت	ث	خ	ذ	ض	ظ	غ
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	٢٠	٣٠	٤٠	٥٠	٦٠	٧٠	٨٠	٩٠	١٠٠	٢٠٠	٣٠٠	٤٠٠	٥٠٠	٦٠٠	٧٠٠	٨٠٠	٩٠٠	١٠٠٠

وكان شعراء جبل عامل ، قد ساروا على نهج الأقدمين في ذلك ، حتى نهاية الخمسينات من القرن الحالي[2] ، ومن بينهم الشاعر علي شمس الدين ، إذ يؤ رخ لولادة محمد بن علي موسى شمس الدين .

طير المسرة قد شدا يا ليل همي فانجلي
وشذا الكبا في الكون فا ح فأين عرف المندل
مذ لاح من أفق السعادة طالع السعد العلي
قمر تبلج من سما العليا و أسعد منزل
من آل شمس الدين من لم نجف فضلهم الجلي

(١) تاريخ آداب العرب ٣ / ٣٩٦

(٢) مصطفى ، قيصر . الشعر العاملي الحديث ص ٤٣٦ .

من والد موسى أبوه فعنْ مآثره أسأل
ان تحسب الاكفاء يحسب في الطراز الأول
أرخه واشكر معطياً بمحمد بشر علي[1]

وهذا تأريخ للمرحوم الشيخ محمد أمين شمس الدين :

سعدت يا رمس فيمن في ثراك ثوى وطبت يا قبر حقاً مثلما طابا
فاهنأ فمن آل شمس الدين فيك غدا خير البرية أخلاقاً وأحسابا
قد كان نبراس هدى يستظاء به وبحر فضل طمى فضلاً وآدابا
فأنت دون قبور الأرض قاطبة قد صرت للهدى والإيمان محرابا
رمس به قيل في تأريخه أملٌ به محمد المهدي قد غابا[2]

ومن تأريخ الحوادث ما أرخ به الشيخ عبد الحسين صادق[3] لدخول الجنرال غورو إلى لبنان عام ١٩٢٠ م حيث قال :

غورو وقطع يد ورجل كلها قد جمعت أرخ بهذا غورو[4]

وأرخ كامل الأسعد لدخول الجنرال غورو النبطية عام ١٩٢٠ .

ويوم كله ظلم . نأى عن وجهه النور
به للشؤم تاريخ كيوم جاءهم غورو ١٩٢٠[5]

وبعد هذا يمكننا أن نستنتج أن الشيخ علي جارى الشعراء في جميع الفنون الشعرية وأخذ بكل فن بطرف ، حتى هذا الفن الذي يستلزم حساباً وأرقاماً .

---

(١) المخطوطة رقم ٢ ص ٢٣

(٢) المخطوطة رقم ١ ص ٣٧

(٣) الشيخ عبد الحسين صادق . هو ابن الشاعر ابراهيم بن صادق بن ابراهيم بن يحيى بن محمد بن نجم المخزومي . وُلِدَ في النجف الأشرف عام ١٢٧٩ هـ ١٨٦٢ م . مات والده وهو في الخامسة من عمره فكفله زوج شقيقته الكبرى محمد أفندي العبد الله ، الذي أرسله الى مدرسة مجدل سلم ثم الى عيتا ومنها الى كفرا حيث درس في تلك المدارس الصرف والنحو والمنطق والبيان حتى ١٣٠٠ هـ . وفي هذه السنة سافر الى النجف الأشرف ودرس على كبار العلماء ، فنال اجازة الإجتهاد المطلق . . . عُين مرجعاً للشيعة في جبل عامل من قِبَل النجف الأشرف عام ١٣١٦ هـ . ١٨٩٩ م . «له منظومة في المواريث ومنظومة رد فيها على غلاة الوهابيين وثالثة رد فيها على القِس الحلبي ، وله سقط المتاع وعرف الولاء والنظرات والمناظرات» . توفي عام ١٩٤٥ م وهو من المقلدين في الشعر شكلاً ومضموناً .

(٤) العرفان . ١٩٥٧ ص ١١٠

(٥) العرفان ١٩٦٠ ص ٦٧٣ من مقال لمحمد يوسف مقلد .

البَابُ الثّالِث

تقويم نتاجه الأدبي

النثري والشعري

قيمة هذا النتاج لجهة الموضوعات وتطابقها مع الواقع
تقويم نتاجه لجهة الصياغة
منزلته بين الشعراء العامليين .
ما قيل في علي مهدي شمس الدين

وإذا كان لا بد ، من وقفة نقدية مع الشاعر ، فلا بد لنا أيضاً من أن ننظر ، بعين التجرد الى الحقبة التي جاء فيها ، وندرسها على ضوء المعطيات ، التي تيسرت من العلم والثقافة ، وما تعرضت له من مؤثرات بيئية ، ويمكن أن نبيّن ، ان كان لهذه الأحوال البيئية تأثير على الحالة الأدبية أم لا ، وكذلك النظر الى الحالة الاجتماعية ، التي كان يحياها الشاعر وأترابه ، ولننظر بماذا طبعهم هذا الشعر ، ومن ثم ننظر الى صياغة الشعر ، والنثر عنده ، والأخطاء التي وقع بها ، والمواقع التي فيها أصاب ، ثم نجري مقابلة سريعة لأدبه مع الأدب العاملي بشكل عام ، وأخيراً نأتي على الجديد في شعره . . .

أولاً : من خلال اطّلاعنا على المقدمة ، التي تنقل الينا ، الحالة الاجتماعية والفكرية لبيئة الشاعر ، نرى أن مواضيعه كانت تعكس واقعه الى حد بعيد ، مفهومه لواقعه المعاش ، وانه لم يتراجع أمام الضغوطات التي صادمته .

ثانياً : كان الأدب العاملي الذي ينتمي شاعرنا الى محيطه ، متأثراً بالحالة السياسية والاجتماعية ، فحين نشاهد صور الفقر ، وسَوْقَ الناس الى المعسكرات ، وتحصيل الأعشار والضرائب ، نرى الشاعر ينقل الينا هذه الصورة ، عبر مجلة كالعرفان ، أو عبر كتاب أو جريدة ، ثم ينقل الينا صورة جابي الضرائب ، الذي غدا مثلاً للاضطهاد في جبل عامل ، ورمزاً للتعسف مثل « عيسى سيف [1] » الذي أدخله الشعراء والكتاب العامليون في أدبهم ، حتى لو جمعت ما تناقلته الأقلام بشأن « العيساويات » لبلغت ديواناً « كبيراً » ، ومع ذلك ينقلون الصورة بسخرية ودعابة ، « إنها الإرادة ، إنها المعاناة » .

(١) عيسى سيف : هو جابي كان يجمع الضرائب من الناس في جبل عامل ، عرف بقسوته وجبروته مبلغاً ، حتى أرّخ به العامليون للشؤم ، ولا يكاد يمر شاعر من دون أن يتحدث عن قصصه في العنف ، وأصبح هذا الفن يسمى « بالعيساويات » .

إذاً ، كان شأن الأدب العاملي ، شأن الأدب العباسي ، « الذي لم يبلغ ذروته ، إلا في مطلع القرن الثالث والرابع للهجرة يوم كانت الدولة العباسية ، تعاني منذ القرن الثالث شدائد وويلات ، والأتراك يمزقون البلاد والعباد »[1] .

وبعد هذا نرى ان الأدب العاملي مر تاريخياً ، وفنياً ، بثلاثة أدوار :

الأول : دور التقليد المحض . **والثاني** دور التطور والانتقال . **والثالث** : دور التجديد ، والترف الفني[2] .

ـ قيمة هذا النتاج الأدبي لجهة الموضوعات

إذا أردنا أن نقوّم هذا النتاج تبعاً لجهة الموضوع الذي خاض فيه ، فلا بدَّ لنا أن نذكر كل فن من هذه الفنون الشعرية ، وننظر إليه من زاوية الموقع الذي يعبّر عنه ، ثم نصدر حكماً مجرداً يحدد قيمته وقيمة الشاعر من خلاله .

المقامات

إن فن المقامات كما بيّنا نشأ مع بديع الزمان الهمذاني ، ثم تطور على يد الحريري ، ليصل الى عصرنا وقد تناوله بالتقليد أكثر من أديب وكاتب ، حتى ترك الشيخ ناصيف اليازجي كتاباً بهذا الخصوص أسماه « مجمع البحرين » يحتوي على ستين مقامة ، لكل منها اسم حسب الموضوع الذي تناولته . وبطلها هو « سهل بن عباد » واتبع فيه أسلوب الحريري أي حافظ على الاسلوب القديم من حيث المعنى والمبنى .

وإذا عدنا الى جبل عامل ، الى علي شمس الدين . نراه الوحيد الذي ترك المقامات ، ولو أخذنا باستعراض مواضيع هذه المقامات ومدى تأثرها بواقع الحالة التي عاصرها الأديب لوجدنا أن في روايته البالغة سبعاً وأربعين صفحة ، اسلوباً نثرياً استطرادياً وان الموضوع الذي انتقاه لروايته ، أو مقامته الطويلة ، هو المرأة ، ولم يكن اختياراً جاهلاً ، بل كان اختياراً واعياً ، أراد به معالجة واقع قائم ، واقع مغلق ، يعيش فيه الناس على السلف والتقليد ، تتراكم المفاهيم في عقولهم ، يسلمون ببديهيات الأمور ، وهؤلاء الناس محافظون يضعون أمام المرأة القيود والتقاليد .

---

(١) أمين ، بكري . مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني . ص . ٣٠١

(٢) الزين ، علي . مع الأدب العاملي . بيروت ، مطبعة سميا ، ص ١٧

وصحيح أن علي شمس الدين لم يخرج في موقفه عن معاصريه في النظرة إلا أنه كان يطلب التروي في الحكم على هذه المرأة ،التي قدر لها ان تتحمل المعاناة ضمن كل هذه الظروف ، ونراه جاء يشرّع ويسنّ القوانين التي يجب أن تتبعها المرأة وقد طرق مثل هذه المواضيع ، علماً ان هذه الموضوعات كانت قديمة قدم المرأة وفي كل عصر وزمن ،أخذت منحى معيناً ،ونصل من خلال هذه الى أن شمس الدين أراد أن يرينا أنه توفيقي ، سلفي ، بقدر ما أراد أن يرينا مقدرته على الاستطرادات الكثيرة ، التي تكررت مرات في النص ، الى جانب الأبيات الشعرية ، لأنه أراد أن يثبت لنا شاعريته الفياضة ومقدرته على الارتجال ، ونرى ان الشاعر لم يخرج عن موضوع المرأة ، في مقامته التي أطلق عليها « المقامة الأولى وهي القمرية » كيف يعرض لنا قصة شيخ وقد هجر دياره : هجرت دياري بعد تسعين حجة ، وقلت عساني كأس حتفي ان أسقى مخافة أن أشقى كشقوةأهلها . . .فأصبحت مرهوناً الى ما هو الأشقا .

وبعد أن ننظر في أسباب هجرة الشيخ ، بكل مقامة شمس الدين ، نجده ترك دياره لما يلاقيه من معاصريه وأخصهم النساء اللواتي يخرجن دون اذن ويتبرجنّ ، ويتزيّن . . .

لقد عرت الساقين من كل ساتر   وجارت على صدر وزند ومنكب

ويصل أخيراً بهذه المقامة ، الى وفاة هذا الشيخ قهراً من هذا الواقع ، ولو نظرنا الى مقامته الثانية الهجيرية ،نراه يتابع الموضوع ذاته وهكذا الى الثالثة ، التي يسير بها على نمط حكمي من أولها الى آخرها ، « لا تعجل فتزل بك القدم ، ولا تنِ فيعاجلك الندم » ، وكذلك الرابعة التي أطلق عليها اسماً دينياً « الصراط » فهي حكمية يخاطب بها « إذا ملكت فاعدل ، أو حكمت فارفق ، أو استأمنت فاحفظ الأمانة » الى أن يقول أخيراً : فإن من طعن طُعِنْ ومن أمتَهن أمتُهِن.والخامسة كذلك حكمية .

من خلال هذه اللمحة السريعة ، نرى أنه لجأ الى إرسال الحكم لكثرة المشاهدات اليومية التي تستحق لفت الانتباه الى الوعظ والارشاد ، برأيه .

وإن مواضيع رواياته مستقاة من الواقع ، يسيطر على جو النص العام الثقافة الدينية وهو يريد من ورائها كلها الهداية والإصلاح ، أما أسلوبياً ، فإننا نرى أن لديه الحبكة القصصية في الأولى والسادسة ومقامة الثور ، وأسلوب المقامات عنده

نثري مرسل يغلب عليه السجع ، يزخر بمعاني البديع فيه الكثير من الزخارف اللفظية ويطغى على أسلوبه النثري المقاطع الشعرية الكثيرة ونلاحظ انه سخّر الاسلوب للمضمون ، ويكثر في النصوص الاستطرادات ، ونرى في مقاماته توافر العناصر القصصية ،المقدمة والعقدة والحل ، ويغلب الأسلوب الساخر على مقاماته ،خصوصاً الثامنة «الثور» إذ يأتي بهذه المقامة على لسان ثور باعه صاحبه ، عندما عجز عن الفلاحة ؛ ونلاحظ الى جانب الأسلوب الفكاهي الساخر ، عنصر التشويق ، والشيخ شمس الدين يقدم الحل ولكنه يترك للقارىء أن يستنتج هذا الحل . مثلاً في مقامةالثور نستنتج إن الإنسان عندما يكون قادراً على العمل يتهافتون على استغلال طاقته ، وعندما يكبر ويشيخ يبيعونه للذبح ، متنكرين لمدة قضاها في خدمتهم . . . الخ . . . وأخيراً إن عباراته سهلة واضحة ، مفهومة ، وفي بعض نصوصه، الحوار وهذا يدلنا على مقدرة في الفن القصصي ، وكذلك فيها التأمل والحكمة ، نتيجة تجربة كبيرة في الحياة وشمس الدين الذي يطرق هذا الفن القديم ، أظهر لنا أنه آخذ من كل فن بطرف ، ترويحاً عن النفس أو انسياقاً وراء فكرة ، أو إثباتاً لمقدمة ، أو تعبيراً لحالة وربما لكل هذه الأشياء مجتمعة كانت مقاماته وتنوعت وختاماً نجد : ان علي شمس الدين مثّل مستوى الصناعة الأدبية في مقاماته .

تقويم النتاج لجهة الموضوعات

١ ـ الفنون الشعرية التقليدية :

الفنون الشعرية التقليدية ، هي تلك التي استمرت عبر الزمن ، من الجاهلية الى اليوم باستمرار توافد الشعراء ، وبدوام قولهم الشعر ، وأغلب فنونها ينشد في مناسبات رسمية ، وهي كثيرة منها : مثلاً أدب المديح ، والرثاء ، والغزل ، والوصف والهجاء وغيرها . . .

لو جئنا ندرس أدب المديح مثلاً ، مقياساً للموضوعات التي تتناولها ، لرأينا المديح يقسم الى قسمين : مدح الزعماء السياسيين ، ومدح العلماء .

بالنسبة للأول ، فقد كان للزعماء السياسيين في جبل عامل السيطرة على الناس ، فمدحهم الشعراء ، بمناسبات وبدون مناسبات ، تكسباً تارة ، وخوفاً أخرى ، وبصدق وتجرد مرة ثالثة ، وشاعرنا لم يحدْ عن هذه القاعدة ، تكسب في

بعض شعره ، إلا انه مدح بصدق معظم مدائحه .

وبالنسبة للعلماء الدينيين ، فقد مدحهم بوجدانية لأن هذه الفئة ، التي تناولها الشاعر فئة صالحة بنظره ، أحبهم ومدح فيهم فضيلة العلم والدين .

وبالنسبة للهجاء ، فقد انقسم عنده ، الى هجاء للزعماء والحكومة والمشايخ : ١ ـ بالنسبة للزعماء فقد هاجم بصدق وبزفرة ، تفريجاً عن هم دفين ، وأسى ولوعة . ٢ ـ وقد هجا الحكومات في الحقبتين التركية والفرنسية ، لأنهما كانتا تسلبان قوت الشعب وماله ، دون الالتفات اليه كعينة في مجتمع . ٣ ـ وأما المشايخ فقد هجاهم ، لأن بعضهم كان مرتزقاً ، لا يهمه من دنياه إلا أكله وشربه .

وبالنسبة للرثاء ، فقد توزع على : رثاء الأقارب : وهذا صادق اللهجة ، نابع من وجدان الشاعر وأعماقه ،ورثى الشهداء الذين سقطوا ، وكذلك أخذ هذا النوع طابعاً وجدانياً ، وأيضاً رثى العلماء ، لما لهم من فضل على العلم والبحث والأدب في حينه . ورثى الزعماء وغيرهم ، وأخيراً رثى علي شمس الدين نفسه ، وشعره الرثائي كان صادق اللهجة بشكل إجمالي ، لأن الرثاء عامة يتعلق بالموت ، وهو المفارقة النهائية بين الشاعر والفقيد .

أما بالنسبة للغزل . فقد تعددت عنده فنون الغزل ، من العفيف وهو قليل ، وما تبقى فهو إباحي ، إذ يتغزل بالمرأة وبلباسها وقوامها وشعرها وغيره ، وتأثر من هذه الناحية بأسلوب الشعراء الذين لم يصفوا من المرأة ، الا شكلها الخارجي ، أما وصفها نفسياً ، داخلياً ، فلم يتعرض له ، لأنه لم يجالس المرأة ليتلمس فيها النفحات الانسانية الراقية ، وهو هنا متأثر بالقدماء الى حد ما .

وأما مقدماته الطويلة في الغزل التي ينتقل منها الى المديح الديني وغيره ، فهو بهذه المقدمات يجاري الشعراء الكبار ، أمثال أبي نؤاس ، والمتنبي وغيرهما .

.... وبعد الإطلاع على هذه الفنون التي تشكل جزءاً من الفنون التقليدية ، وجدنا أن الشاعر شمس الدين جاء منسجماً مع مواضيعه المأخوذة من واقع حاله المعاصر .

الفنون الشعرية غير التقليدية

رأينا أن الشيخ علي مهدي شمس الدين ، طرق الى جانب الفنون الشعرية

التقليدية ، فنوناً غير تقليدية ، وان موضوعات هذه الفنون ، كانت مقتبسة من صميم البيئة العاملية ، ففي حين كانت الفكاهة كالخبز اليومي ، تدور موضوعاتها بشكل مناظرات ، ومشاحنات ضاحكة ، كالتي كانت تدور بين شاعرين مثلاً ، أو بين شاعر ووجيه وعده بثور وأخلف ، إذ ينقل الينا صورة جميلة ، عن حياة اناس لفّهم الفقر حتى أضحكهم ، وشملهم التعذيب حتى اغرورقت عيونهم بدموع غزيرة ، فكانت صور الشاعر في هذا الفن مقتبسة من بيئته ، وكذلك بالنسبة للشعر الاخواني ، فإنه كان أشبه بالمناظرات الأدبية ، ذات الروح المرحة ، مما طبع الاخوانيات تبادل النوادر والفكاهات .

أما عن صور الطفولة ، فإنها مأخذوة من صميم بيئته أيضاً ، إذ ينقل الينا صور هذه الطفولة ، وطرق خروجها الى الطبيعة ، مبدعةً الجو الذي تحبه وتطرب اليه وكذلك بالنسبة للفنون الباقية التي تدخل ضمن هذه التسمية . . .

وبعد كل هذه المواضيع التي طرقها الشاعر وخاض فيها نرى انه جاء متطابقاً مع كل الفنون والأغراض الشعرية ، صادق اللهجة ، وإنه أعطى فأجاد مصوراً وقائع جرت في تلك الأيام العصيبة . . . .

ـ تقويم النتاج لجهة الصياغة

إذا كان الشعر عملاً صعباً ، ومعقداً غاية التعقيد فهو صناعة تجتمع لها في كل لغة طائفة من المصطلحات والتقاليد(١) ، فقد اختلف في تعريفه العلماء فمنهم من قال « إنه قول موزون مقفى يدل على معنى » ومنهم من حده بحدود أخرى ، فمنهم من جعله كلاماً وأجوده أشعره ولم يشترط له وزناً ولا قافية ويدخل في ذلك الحكمة والمثل اللذان يبنيان غالباً على صواب التشبيه وايجاز اللفظ ومنهم من اشترط فيه الوزن دون القافية ومنهم من جعله موزوناً مقفى وأجاز تعدد القوافي ، والجمهور على اشتراط الوزن ووحدة القافية (٢) ، إلاّ ان القاضي الجرجاني يقول : ان الشعر علم من علوم العرب يشترط فيه الطبع والرواية والذكاء ، ثم تكون الدربة مادة له ، وقوة لكل واحد من أسبابه : اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبرز ، وبقدر نصيبه منها تكون مرتبته من الاحسان ولست أُفَضِّل في هذه القضية

---

(١) ضيف ، شوقي . الفن ومذاهبه في الشعر العربي . القاهر ، دار المعارف بمصر . ط ٦ لا ت ص ١٣
(٢) ابن جعفر ، قدامة . نقد الشعر . ص ١٣

بين القديم والحديث [1] .

وإذا كان الشعر صناعة ، والشاعر صانع فلا بد للصانع من أن يجيد مرة ويخطيء أخرى حسب تأثير البيئة الاجتماعية والحالة السياسية والوضع النفساني لهذا الصانع لأنه لا يعدو كونه بشراً يتأثر بالحوادث والمآسي وبالأفراح والمسرات . وحسب الارتياح النفساني تكون الصياغة جيدة . وقد صنفه قدامه بن جعفر من هذه الناحية قوله : إذا كان جميع ما يؤلف ويصنع على سبيل الصناعات والمهن فله طرفان أحدهما غاية الجودة والآخر غاية الرداءة وحدود بينهما تسمى الوسائط [2] .

وإن ناقد الشعر ، يجب أن يكون ذلك العالم المتجرد الذي ينظر الى هذه الصناعة الكلامية والنظر ما فيها من جمال وحسن وما يتخللها من سوء وقبح وإذا كان الأمر كذلك فلا بد لنا من تحديد المواقع التي يجب تلمُّسَها في القصيدة للتعرف على أماكن الجمال وأماكن القبح فيها « وان العلم بالشعر ينقسم أقساماً ، فقسم ينسب إلى علم العروض ووزنه وقسم ينسب إلى علم قوافيه ومقاطعه وقسم ينسب إلى علم غريب لغته وقسم ينسب الى علم معانيه والمقصد به وقسم ينسب الى علم جيده ورديئه » [3] ، وكذلك رؤية الصور وتحسس العواطف وفهم المعاني والأفكار المتواجدة في القصيدة الشعرية المتكاملة وبعد هذا التقسيم نعود الى شعر علي مهدي شمس الدين وننظر إليه من خلال أوزانه وقوافيه وألفاظه ومعانيه ونقده لنرى منزلته بين الجودة والرداءة .

نعت الألفاظ في شعر علي شمس الدين

إصطلح ناقدو الأدب على تعريف نعت اللفظ «بأن يكون سمحاً ، سهل مخارج الحروف من مواضعها عليه رونق الفصاحة مع الخلو من البشاعة [4] » ، وكذلك اصطلحوا على عيوب اللفظ بأن يكون ملحوناً وجارياً على غير سبيل الاعراب واللغة . . . وان يرتكب الشاعر فيه ما ليس يستعمل ولا يتكلم به إلاّ شاذاً ، ومن عيوب اللفظ « المعاضلة » [5] ، والمعاضلة هي مداخلة الشيء بالشيء .

---

(١) القاضي الجرجاني ، علي بن عبد العزيز . الوساطة بين المتنبي وخصومه . تحقيق محمود أبو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي دار احياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي وشركاه) ط ١ ، ١٣٦٤ - ١٩٤٥ م . ص ١٤

(٢) نقد الشعر . ص ١٣ .

(٣) . م . ن . ص ١٢/١ .

(٤) (٥) م.ن. ص (١٩) (١٠٢)

والمُتأمِل في ألفاظ علي شمس الدين يجد ألفاظه سهلة وواضحة كأن يقول :

تشوقني العرب وآدابها ... وقهوة البن وشرابها
وقبة ترفع في مهمة ... قد وشجت في الأرض أطنابها
لا يخرس الجرن لديها ولا ... تغلق دون الضيف أبوابها[1]

وقال في قصيدة مدح :

عطري الجو بالشذى يا خمائل ... وانثري الورد واصدحي يا بلابل
وازدهى الكون لابن خير البرايا ... كوكب شع بالسنا والفضائل
ذاك عرس الحبيب والوجه أضحى ... باسماً لاقتران ابن الأمائل[2]

وفي الهجاء قوله :

لاحت بوادر خير من أمانينا ... واستشعر الأنس قاصينا ودانينا
وحلقت فوق هام النجم رايتنا ... وانحط عن افق العليا منادينا[3]

إن هذه الأبيات كلها واضحة سهلة مخارج الحروف ، ولا تحتاج الى معجم أو قاموس ، يفهمها من يقرأها دون تعقيد ، وكذلك هناك ألفاظ غريبة وصعبة لدى الشاعر وذلك لأن أسلوبه قديم محافظ مثلاً في هذه القصيدة :

برق أمالك خلّب ... أيها الغرُّ المذبذب
خلِ أطماعك جنباً ... وعن الخلق تجنب
واشترِ بالشهد صابا ... وبليث الغاب ثعلب
وارتضِ العكاز خلاً ... بدل السيف المشطب
ومضى وهو ذليل ... لذيول العز يسحبِ[4]

والشاعر يستعمل الألفاظ العامية كما في قوله :

بوجت خمسين بوجاً في رحابكم ... للنصب والنصب عندي أكبر الفلج
فمنهم طالب للخام مجتهد ... من شدة البرد حتى ما يطيق يجي

---

(١) شمس الدين ، علي ، الوطنية والحياة ص . ١٩

(٢) هذه القصيدة مدح بها الرئيس عادل عسيران / ١٩٥٣ / .

(٣) المخطوطة ـ ٢ ـ ص ٣٧

(٤) الوطنية والحياة ـ ص ١٤ ـ ١٥ ـ ٢ ـ العرفان المجلد ٩ / ١٦٨ سنة ١٩٢٣

إن هذه الكلمات والألفاظ « بوج ، والخام ، هي ألفاظ عامية » .

وكذلك فان في شعر الشيخ شمس الدين العديد من الكلمات العامية والصعبة وذلك لانه كان يقول الشعر ارتجالاً يقوله ويمشي دون تصحيح .

(نعت الوزن)

الشعر نوعان ، موزون وبدون وزن ولكل من هذين انصار يؤ يدون فريقهم ويتعصبون له ويدافعون عنه ولا زال الصراع الى اليوم ، والشعر الموزون بقي من العصور القديمة ، من الجاهلية الى صدر الإسلام الى العصر الأموي الى العصر العباسي مروراً بالعصرين المملوكي والعثماني حتى وصل الى اليوم وقد بدأ يتجه الشعر الى التحرر من الوزن في النصف الأول من القرن العشرين أي بعد الخمسينات من هذا القرن حيث بدأت تقوى فئة الشعراء الذين يتحررون من الوزن ، وشاعرنا كان محافظاً على الوزن والقافية ، أي محافظاً على عمود الشعر

وإذا كان كل تراثه الشعري جعله موزوناً مقفى فقد وقع في علل الوزن ومن نعت الوزن « أن يكون سهل العروض من اشعار يوجد فيها وان خلت من أكثر نعوت الشعر[1] » ، ونعوت الوزن « الترصيع » ، وهو ان يتوخى فيه تعبير مقاطع الأجزاء في البيت على سجع أو شبيه به أو من جنس واحد في التعريف كما يوجد ذلك في أشعار كثيرةمن القدماء المجيدين من الفحول وغيرهم وفي أشعار المحدثين المحسنين[2] ومن أمثلة نعت الوزن عنده مثلاً هذه القصيدة :

الى كم بسلمى أنت ولهان هائم ... تهيجك أطلال لها ومعالم
إذا ما الصبا هبت تهيم صبابة ... وتبدي الجوى ما ان تَغنَّت حمائم
فهب دارها أضحت لديك قريبة ... فمن دونها أسد حماة ضراغم
وقد أضرمت في مهجتي نار خده ... فناديت يا هذا أما أنت راحم
فتى قد بنى بيتاً من المجد والحجى ... له في ذرى هام السماك الدعائم[3]

---

(١) ابن جعفر ، قدامة . نقد الشعر ص ٢٢
(٢) م . ن . ص . ٢٤
(٣) أعيان الشيعة ـ ٤٢ / ١٧٣ ـ ١٧٤

وفي قصيدة أخرى يقول :

سرى طيف من أهـوى سحـيراً وودعا ... فاقلـع صبـري والأسى حــين أقلعا
أقــام قليلاً خيفــة من رقيبه ... وســار وقلبــي أثــر مسراه أزمعا

ويقول بعد أبيات :

يا هاجــري من غـير ذنــب جنيتــه ... دع الهجـر ما أبقيت في القـوس منزعا

ويقول :

هم القــوم لا قلبــي يميـل بغيرهـم ... ولا أبتغـي عنهـم مدى الدهـر مرجعا
هم القــوم أمــا في الخطــوب فجنة ... وفي الحشر تلقاهـم لدى الخوف شفعا[1]

أما بالنسبة لأخطاء الوزن ، فنادراً ما كان يخرج شاعرنا الإرتجالي عن عيوب الوزن ، مما لا يشوب شعره ويحدُّ من قيمته .

(القوافي)

اختلف اللغويون في تحديد القوافي وتعريفها لغة : « وراء العنق » والقـافية هي آخر كلمة في البيت أو هي من آخر حرف ساكن فيه ، الى أول ساكن يليه مع المتحرك الذي قبل الساكن ، وهذا رأي سيبويه وعليه عوّل المحققون . وسميت قافية : « لأنها تقفو أثر كل بيت ، وقال قوم لأنها تقفو أخواتها وقال آخر هي قافية بمعنى[2] مقفوّة فكأن الشاعر يقفوها أي يتبعها والرأي الأول هو الوجه[3] وقد رأى ابن رشيق أن القافية شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر ولا يسمى شعراً حتى يكون له وزن وقافية[4] . والأحرف التي تشتمل القافية على بعضها ، أو أكثرها ستة

---

(١) أعيان الشيعة ـ ٤٢ / ١٨١ ـ ١٨٢

(٢) المنجد في اللغة والأعلام ص ٦٤٧

(٢) فاخوري محمود ـ سفينة الشعراء ـ حلب ، مكتبة الثقافة ط. ٢ . ١٩٧٤ ـ ١٣٩٤ هـ / ص ١٢٩ ـ علـم القوافي : وأمثلتها « كلمة تغدق في بيت شوقي مخاطباً النيل : من أي عهد في القرى تتدفق وبأي كف في المدائن « تغدق » وهذه هي القافية .

(٣) . م . ن . ص ١٣ .

(٤) ابن رشيق ـ العمدة ـ ص ١٢٩

وهي (الروي، والوصل، والخروج، والردف ، والتأسيس والدخيل)وهي كلها ـ خلا الدخيل ـ اذا دخلت أول القصيدة وجب على الشاعر التزامها في سائر أبياتها[1] ومن نعوت القوافي : ان تكون عذبة الحرف ، سلسة المخرج وأن تقصد لتصيير مقطع المصراع الأول في البيت[2] الأول من القصيدة ومن نعوتها أيضاً التسجيع والتقفية لأن الشعر كلما كان أكثر اشتمالاً عليه كان أدخل له في باب الشعر وأخرج له عن مذهب النثر[3] كأن يقول في قصيدة .

طال همي ونأى بالأنس عني   طارق قد سلب الراحة مني
ورماني بتباريح الضنا   فأنا أبكي أسى وهو يغني
كلما يوم أراني راحة   قلب الدهر له ظهر المجن

وبعد أن ينهي المقطع يردد اللازمة وهي :

طال همي ونأى بالأنس عني   طارق قد سلب الراحة مني
ورماني بتباريح الضنا   فأنا أبكي أسى وهو يغني

يقول :

قصر غمدان تولى عزه   وبنو ساسان قد أمسوا رفاة

وهكذا تتردد اللازمة ويبدأ مقطع جديد الى أن تنتهي القصيدة :
ومن الجناس قوله :

انى تكون قضيت مع من قد قضى   أو أن تكون رديت مع من قد ردى

ومن قصيدة ثانية ويرصع فيها القافية :

دع الأنس والبس شعار الاسف   فان الانيس عن الربع خف
وقل لعيونك لا تبخلي   فنفسي أذرفيها إذا الدمع جف

يعود ليقول :

---

(١) ابن رشيق . ص ١٣١ .
(٢) نقد الشعر ص ٣٠
(٣) م.ن. ٣٤

لمن يا عيون ادخرت الدمو ع وكيف استطعت عن الدمع كف

من عيوب القافية عنده

ومن عيوب القوافي ما كانت القدماء تعيب به دون غيره فمن ذلك « التجميع » وهو أن تكون قافية المصراع الأول من البيت الأول على روي متهيىء لأن تكون قافية آخر البيت فتأتي بخلافه[1] من مثل قول الشاعر شمس الدين :

طرزت بالعذار خداً أسيلا وجلت للحتوف سيفاً صقيلاً
ولسان كالورد أحمر قان عللت فيه ريقها المعسولا

فبعد كلمة قان يتوقع القارىء أن تأتي القافية على هذا الوزن .
وكذلك :

وشفاه حمر خفاف لطاف حملتني في الحب عبئاً ثقيلا[2]

وجميع الحروف الهجائية تصلح أن تكون روياً ما عدا أحرف العلة ـ النون التي ليست من بنية الكلمة ، هاء التأنيث الساكنة ـ هاء الضمير المتصل ، وواو الضمير ويائه ـ الخ ـ وقد استعمل الشاعر هنا روياً وهو : هاء التأنيث الساكنة في قوله :

ما الشرق إلا مطلع لكواكب الفضل المضية
مالي أراه لقد غدا ثماراً من الهمم العلية[3]

ومن عيوب القافية (الإيطاء) وهو اعادة ذكر كلمة الروي بلفظها ومعناها مرة ثانية في القصيدة من غير أن يفصل بين الكلمتين المذكورتين سبعة أبيات على الأقل[4] ومن أمثلة ذلك في شعر شمس الدين :

فلسطين لا زيد رقاك ولا عمرو مطياً على يأس فقد قضى الأمر

---

(١) ابن جعفر . قدامة . نقد الشعر ص ١٠٨
(٢) الوطنية والحياة ص ٣٠
(٣) العرفان ـ المجلد الثاني صفحة ٤٥١ سنة ١٩١٠ م ـ الجزء التاسع
(٤) فاخوري محمود ـ سفينة الشعراء ص ١٥٤

وبعد سبعة أبيات يكرر القافية :

وعلّق من نجد همام غضنفر يهون لديه الأمر ان صعب الأمر
ومن يمن هز الامام مهنداً له حسبما شاء الهدى النّهي والأمر

وبعد بيتين فقط يقول :

ولما رأى الأغيار أن صفوفهم موحدة والأمر يعقبه الأمر

وبعد أربعة أبيات أيضاً يقول :

ولما التقى الحومان في حومة الوغى ودارت رحى الهيجاء واستفحل الأمر

وبعد بيتين يكرر الكلمة نفسها فيقول :

فلا مصر من رغدان كانت أمينة ولا قصر غمدان له سلم الأمر

وردد هذه الكلمة مرة أخرى وهذه المرة بعد أكثر من سبعة أبيات ولكن للبرهان على كثرة استعمال هذه الكلمة وهي « سبع مرات في قصيدة واحدة » يقول في السابعة : وما « اللد »[١] إذا أراد المليك جنوده عن اللد الا بعض ما يقتضي الأمر[٢] .

ومن عيوب (الإيطاء) في القوافي (السناد) وهو ان يختلف تصريف القافيتين وبهذا قال الشاعر شمس الدين :

جاء الشتاء وأوان وعدك لم يجيء وتكذبت فيما رجوت ظنوني
إن قلت في كانون وقت وفائه رحت مسوفاً وعدي الى تشرين
وإن أتى تشرين رحت مسوفاً وعدي بلا سبب إلى كانون[٣]

وهناك عيوب كثيرة في أكثر من قصيدة ، وان هذه الأخطاء وهذه العيوب وقع بها حتى أكبر شعراء العرب أمثال النابغة والمتنبي .

---

(١) اللد : مطار اللد في فلسطين
(٢) العرفان ٣٦٢ ص/ ٧٣٨ بعنوان فلسطين القصيدة طويلة ٤٣٠ بيتاً ـ رائية
(٣) رواها نجيب شمس الدين ـ مرت ترجمته .

وهناك عيوب في تطابق معاني الألفاظ في الأغراض والمناسبات لا يتسع المجال لذكرها ، لأن الباب مخصص لالقاء نظرة على أمثال هذه العيوب وليس تعدادها بأكملها ونكتفي بهذه الاشارة السريعة اليها .

المحسنات المعنوية في شعر علي شمس الدين

ويدخل ضمن هذه المحسنات : التورية ، والطباق ، والاجازة ، والتشطير ، والتخميس ، والتقليد والتذييل والمعارف وسأتكلم عن الأغراض التي كتب بها الشاعر وهي « التورية » .

وفي شعر علي شمس الدين الكثير من هذه التورية ومنها :

يا عادلا كاسمه دون الأنام ويا   من زانه علمه المشهور والعمل[1]

في هذا البيت تورية ، يشير بكلمة (عادلا) الى عادل عسيران والى العدل وفي الثانية زانه علمه ـ يشير بها الى يوسف الزين الذي رافقه الشاعر في جولته الانتخابية ـ أي زين زانه .

ويشير إلى أنموذج من حياة سكان جبل عامل في الفترات الماضية ، الفرنسية والعثمانية بقوله :

أسفر الصبح فابتهج يا ساري   فلنا اليوم لاح وجه النهار

إلى الرئيس عسيران عندما تسلم رئاسة المجلس ١٩٥٣ ويشير الى خصومه بقوله :

ونهضنا من بعد طول خمول   ورقاد غطى على الأبصار
رقدة طالما أذلت عزيزا   من ظلوم مغامر جبار
إن تسعاً من السنين تولت   اسلمتنا الى شفير هار[2]

ويشير بها الى المدة التي مكثها خصوم عسيران في ذلك الوقت في رئاسة المجلس . وفي قصيدة ثانية يشير الى من كان سبب بلاء أبناء جبل عامل بقوله :

(١) المخطوطة ـ رقم ـ ١ ـ ص ٤
(٢) المخطوطة ـ ١ ـ ص (١)

وبايعتــك على علــم بأنــك لا ندّ يقــاس بعليــاه ولا بـــدل
مــا روعتهــا أراجيــف ولا أبهــت بظالــم قد بكت من جـوره السبل[1]

التذييل :

وهو أن يكمل الشاعر قصيدة لسواه بمقطوعة أو أكثر على الوزن والقافية نفسهما ، والشيخ علي شمس الدين ذيّل قصيدة للسيد محمد أمين الأمين أرسلها إلى السيد علي محمد الأمين وكان المرحوم السيد علي قد وعد الشيخ شمس الدين « بصاكو » وأخلَّ ، فجعل الذيل تذكيراً له بوعده فقال :

بوجـت خمسيــن بوجـاً في رحابكـم للنصــب والنصــب عندي أكبـر الفلج
وقـد غرسـت بهـا ما شئـت من شجر فأثمــرت جببــاً سـوداء كالســبج
ومـذ رأى أهــل بيتـي النصــب ذا ثمر سعـى ليغنــم ممــا فيه كل « عجـي »

وبعد أن تنتهي هذه المواعيد يغير الشيخ القافية ويكمل التذييل فيقول :

ثمـن القـريظ بــلا نــزاع عـنِ كـل بيـت نصف صاعِ
والشعـر لســت أبيعــه دينـاً وان قــل انتفاعــي
لـولا احتيــاجــي للطيحـن لمـا مـددت اليـك باعـي
فـارات بيتــي أصبحــت مـن جوعهـا أبـداً ســواعي[2]

إلى آخر هذه القصيدة الهزلية الساخرة التي تمثل مرحلة من مراحل حياة جبل عامل وتدل على حالة الفقر التي كانت تعم البلاد والتي شاهدها الشاعر ولم يستطع السكوت عنها

ـ التقليد ـ

وقد قلد الشيخ علي شمس الدين في قصائده الأقدمين ، واستعار منهم وتأثر بألفاظهم ونظم على نسق قصائدهم ، وهذه قصيدة قالها على نسق قصيدة أضحى التنائي لابن زيدون .

فيقول الشيخ علي :

(١) المخطوطة ـ ١ ـ ص (٥)
(٢) أعيان الشيعة ـ ٤٢ / ١٧٢ ـ ١٧٣

لاحت بوادر خير من أمانينا واستشعر الأنس قاصينا ودانينا
وحلقت فوق هام النجم رايتنا وانحط عن أفق العليا منادينا
جالوا على زعمهم أن البلاد لهم وصيَّروها على وهمٍ ميادينا[1]

وقد استعار هذا الشطر من بيت للشاعر محمد حسين شمس الدين كان قد هجا به الشيخ علي :

ولما التقى الجمعان في حومة الوغى ودارت رحى الهيجاء واستفحل الأمر[2]

وبيت الشيخ محمد حسين شمس الدين يقول :

إذا التقى الليثان في ساحة الوغى وكل على كل جريء مشيع[3]

وقد عارض الشيخ علي شمس الدين قصيدة لأبي تمّام وهي في فتح عمورية اذ يقول فيها :

السيف أصدق إنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

قال الشيخ علي شمس الدين :

لا يصدق السيف ما لم تصدق الهمم فالسيف يصدأ والخطيٍّ ينحطم
وفي شبا العزم عن حدّ الشبا عوض ان فارقت كفك الصمصامة الخذمُ

وفي الوقت ذاته يعارض عنترة إذ يقول :

ولو أرسلت رمحي مع جبان لكان بهيبتي يلقى السباعا

فيقول الشيخ شمس الدين :

فما الشجاعة سيف أنت حامله ولا قناة ولا درع ولا علم
بل الشجاعة إقدام يشيعه حزم تطير به الهامات والقمم[4]

(١) الخطوط ـ ١ ـ ص ٣٦
(٢) العرفان ـ ٣٦ / ص ٧٣٨ قصيدة فلسطين
(٣) مصطفى . قيصر . الشعر العاملي . ص . ٢٣٠
(٤) ابراهيم ،علي . شعراء من لبنان ص/٢٥٢/ .

ـ التخميس ـ

وهو خمسة أشطار ، الثلاثة الأول للشاعر والشطران الأخيران اللذان يشكلان البيت الشعري الكامل للشاعر صاحب القصيدة المراد تخميسها ، وقد خمّس الشيخ شمس الدين قصيدتين للمتنبي وهما :

وقال المتنبي في صباه :

كم قتيل كما قتلت شهيد　　لبياض الطلى وورد الخدود
لعيون المهى ولا كعيون　　فتكت بالمتيم المعمود[1]

فخمسها الشيخ علي قائلاً :

ليس بالبدع ان هجرت هجودي　　وبدمعي خددت شجواً خدودي
لست وحدي أخا الغرام نجود　　كم قتيل كما قتلت شهيد
ببياض الطلى وورد الخدود
كم عميد أمْسَى حليف شجون　　بقدود المهى وغصون
وشفاه لعس وسود قرون　　وعيون المهى ولا كعيون
فتكت بالمتيم المعمود

وقد خمّس ثلاثين بيتاً للمتنبي الى البيت الذي يقول فيه :

ويوقى الفتى المخش وقد خوض في ماء لبة الصنديد

وفي نهايتها يقول :

ولو ان الجبان في قبة الجو　　ما وقته الردى ولا واسع الدو
فهو في كل ساعة عرض السو　　ويوقى الفتى المخش وقد خو
ض في ماء لبة الصنديد

ويخمس قصيدة ثانية للمتنبي في سجن الرمل عام ١٩٣٢

لساني عما في ضميري يترجم　　ونار الأسى في مهجتي تتضرم

---

(١) ديوان المتنبي . بيروت . دار صادر ، دار بيروت ١٩٦٤ م ـ ص ١٩ ـ ٢٢ .

ونلقى من الأحباب ما الله يعلم نرى عظماً بالبين والصد أعظم
ونتهم الواشين والدمع منهم
فمن جسد لم يبق الا خياله لهجر حبيب لا يرجى وصاله
تحملت سقماً لا يطاق احتماله ومن لبه مع غيره كيف حاله
ومن سره في جفنه كيف يكتم[1]

إلى أن يختتم قائلاً :

فليس سوى دمعي المذال بسقمي وليس سوى طرفي الى الحتف مسلمي
ألم ترنِ أبكي بدمع معندم ولو لم يكن ما لنهل في الخد من دمي
لما كان محمراً يسيل فاسقم

ملاحظة : ان النصوص النثرية والشعرية عند الشاعر تمتاز بكثرة الأخطاء الاملائية .

كلاسيكية شعر علي شمس الدين

إن علي مهدي شمس الدين ، بشهادة كل الذين عرفوه ، كان يتناول الشعر من جيبه ، ويمتلك قدرة قوية على الارتجال ، وقصائد الارتجال تشكل نسبة كبيرة من شعره ! حتى اني وجدت قصائد منشورة في مجلة العرفان ، وغيرها من الكتب ، يشار فيها الى ناحية الارتجال عنده وكذلك القصيدة التي ارتجلها في مصر ، في مسابقة الشعر الارتجالي ، بحضور الشاعر أحمد شوقي .

إن هذه الناحية ، وكذلك المعجم الشعبي لكلماته ، يعكسان لنا كلاسيكية هذا الشعر ،اذ ما ان يسمعه جمهوره يلقي قصيدة جديدة ، حتى تراه يصفق طرباً لسماع هذه القصيدة ، ومن ثم يأخذ بتردادها حتى تغدو على لسانه شيئاً محبباً ، ويتناقلون فكاهاته وأشعاره الساخرة بشغف وطرب ، حتى ان قصيدة واحدة « في وصف السلوقي » مثلاً نقلتها مشافهة عن أكثر من معاصر ، وإني سمعت النغم الايقاعي خلال غناء هذه القصيدة ، وهذا يدلنا على جمهور الشاعر ، الذي يمثل جمهور شعراء الزجل اليوم ، لأنني كما أشرت ، الى عباراته المنتقاة في الغالب من

---

(١) الوطنية والحياة ـ ص ـ ٦٩ ـ ٧٠ .

بيئته ، وكذلك موضوعات هذه القصائد المأخوذة أيضاً من صميم هذه البيئة ، وهذا ما يجعل هذه العبارات سهلة مفهومة ، وان كانت كثرة الشعر الارتجالي ، توقعه في التكرار والخطأ ، وإننا نلاحظ الفرق بين كثرة هذه الأخطاء من خلال القصائد التي صححها والقصائد التي نشرت بدون تصحيح ، وبالرغم من ذلك ، فإنها تمثل لوناً « محبباً » له جماهير معجبون ، وحافظون لهذا الشعر عن ظهر قلب . .

وحدة القصيدة عند الشاعر

والآن نريد أن نلقي نظرة على روح القصيدة ، ومادتها عند الشاعر ، لنرى هذا المولود ما يحمل الينا في ثناياه من إنسجام ووحدة وتكامل ، وما في معانيه من صور وعواطف ، لنرى هذا النغم الموسيقي الذي ينبعث من أوتار الشاعر .

وإذا كانت القصيدة كما يعرفها شوقي ضيف[1] : «تتألف من وحدات موسيقية يسمونها الأبيات«وهي تبلغ عادةأربعين بيتاً»،وقد تزيد الى مائة،وقد تنقص إلى عشرة ، ويلتزم الشاعر في جميع هذه الأبيات وزناً واحداً يرتبط بنغماته وألحانه في « النموذج الفني » كله ، كما يلتزم حرفاً واحداً يتّحد في نهاية الأبيات يسمى الروي ، ولا يكتفي بذلك بل ما زال يوفّر جهوداً ويلتزم أصولاً » ، وأن القصيدة قائمة على علمين هما : الوزن والقافية ، إلى جانب الأصول الصوتية التي يعتمد أصحابها « فن الموسيقى » الى جانب فن التصوير .

واذا كان هذا التعريف، تعريفاً تقليدياً لدراسةالقصيدة،إلاّ أن الطرائق الحديثةلدراسةأي نص شعري أو نثري،يختلف من حيث اتباعه لمنهجيةالدراسة الحديثة ، مع التقليدي . فالدراسات الحديثة،قائمةعلى العلاقات والمحاور، ودراسة البنى والثنائيات القائمة على التضاد ، ودراسة الصور. كل هذه المدلولات والمفاهيم من حقول دلالية ومفهومية تجعلنا ندرس النص دراسة داخلية ، وصولاً إلى ما فيه من مؤثرات خارجية ، وصور ورموز .

والآن سندرس نصاً شعرياً ، من نصوص علي شمس الدين دراسة حديثة :

النص

١ ـ أترى الدهر بعد طوله عبوسه وازدياد العنا وشدة بوسه

---

(١) ضيف ، شوقي . الفن ومذاهبه في الشعر العربي . ص ١٤

٢ ـ يمنح الشعب فرصة توصل الشعـ ـب لرفع الثقيل من كابوسه
٣ ـ أنا فرع من دوحِ لبنان ذي الأر ز ونفسي معدودة من نفوسه
٤ ـ أتلظى لما به من عناء وشقاء قضى بحفظ رؤوسه
٥ ـ أرسل الدمع كالشراب مذابا بين آساد الحياة وشوسه
٦ ـ ايه لبنان آن أن تعرف الدهـ ـر وتصغي الى بليغ دروسه
٧ ـ « وطني عامل » وقد عشت دهري تحت أقمار أفقه وشموسه
٨ ـ فسعودي منه إذا رمت سعداً ونحوسي مأخوذة من نحوسه
٩ ـ كيف أرضى بأن أراه شقياً ولبوس الارهاق بعض لبوسه
١٠ ـ كلما نال واحد منه فلساً ضمه ظالم لداخل كيسه
١١ ـ وإذا رام شربة الماء منه رافع الرأس جدّ في تنكيسه
١٢ ـ وإذا ما بكى الزراعة يوماً صر غيظاً على متين ضروسه
١٣ ـ وإذا ما شكا المظالم في السر تلقى الأنباء عن جاسوسه
١٤ ـ عاملٍ مات تحت نير من الجو ر ولكن مازج في ناووسه
١٥ ـ فيه مثل ما استطعت يا دهر فالـ ـتمثيل أحرى باتنه وتيوسه
١٦ ـ وتحكّم ما استطعت يا جور في شعب جهول جنى على ناموسه
١٧ ـ خشبٌ أهله المساكين والـ ـخشب المُلقى دماره في سوسه
١٨ ـ أي شعبٍ أعمى يقاد الى الحتـ ـف بحبل يبتاعه بفلوسه
١٩ ـ كل شعب في الأرض لو كان يدري موت مرؤوسه بموت رئيسه
٢٠ ـ ما استفاد الحزين عامل نجحاً لا بمرثيه ولا محسوسه
٢١ ـ بل بسيل من المواعيد ينهـا ل على جرحه الذي لم يوسه
٢٢ ـ أترى النائب الكريم بلبنـا ن يفي بالوعود بعد جلوسه
٢٣ ـ أم تراه ينسى ولا بدع فالنسـ ـيان للآدمي بعض طقوسه
٢٤ ـ سكرة الحكم شدَّ ما جربوها تشغل المرء عن فراش عروسه

يتمحور هذا النص في مساره ، ومسار العلاقات القائمة فيه ، على ثلاثة محاور : المحوران ، الأول والثاني محايدان ، وهما الزمان والمكان . والمحور الثالث وهو المحور الأساسي ، الذي فيه تنشأ العلاقات والصراع ، وهذا المحور هو الانسان .

كيف يمكن أن نسمي حركة الزمان ، حركة محايدة ، على الرغم من كون

الشاعر يحمّل هذا الزمان المسؤ ولية ويسلط عليه الأضواء ، معتبراً انه بإمكانه أن يكون فاعلاً في الحالة السلبية التي يحياها المحور الثالث في سبيل الايجاب ، وان الدلالة التي أشار بها الشاعر إلى الزمان هي : (الدهر) . والدهر يعني زمناً طويلاً ، وكيف للشاعر أن يشير إلى هذا الزمان من دون تحديده تأريخياً ، ولكن الشاعر هنا يقرِّب المسافات ، بين هذا الزمان ، ويلقيه في حركة الزمن بشكل عام ويعني بهذا الزمان عينة من الوقت تشكل حقبة ، يعيش فيها الشعب ، والمكان المحور الثاني الذي يشير اليه الشاعر (دوح لبنان) (وطني عامل) . يعني بهذا المكان ، تلك البقعة من الأرض التي يعيش ضمن محيطها الشعب الذي أولاه الشاعر الاهتمام ، ومن ثم لم يشأ الشاعر أن يبعد هذا الانسان عن بعديه ، الزمان والمكان .

والمحور الثالث : وهو الأهم ، وهو محور الشعب ، وهذا يقسمه الشاعر الى فئتين ، لكل فئة دلالتها وتأثيرها على الأخرى ، ومن ثم الصراع الذي يقوم بينهما ، والتضاد القائم على أساس البنى والعلائق الاجتماعية ، ومن ثم المكونات الأساسية لكل بنية ، وطرق إشعاعاتها على محيطها ، وسنراقب الدلالات الموجودة في النص ، ونستشف منها هذه الاشعاعات والاضاءات فمثلاً : نقدم جدولاً بيانياً بهذه الدلالات :

جدول رقم (١) بالمحاور

الزمان	المكان	الأفعال الدالة	الانسان ودلالات الأفعال
الدهر الحقبة العثمانية	/ دوح لبنان / / وطني عامل /	عبوس : ألم ـ قلق كابوس : قلق عناء : تعب شقاء : ألم سعودي : فرح سعودي : فرح صرّ : مرارة ـ ألم مات : فراق ـ عدمية مثّل : تسلط يبتاع : صدق	ثقيل : ألم أتلظى : ألم تصغي : انتباه قلق ضمه : اختلاس رافع : اباء تنكيس : ذل بكى : مرارة حتف : عدمية حبل : تسلط موت : عدمية مواعيد : كذب

		ما استفاد : عناء لم يوسه : ألم ينسى : اهمال تشغل : اهمال الارهاق : تعب ظالم : تسلط جاسوس : جبن نير : عبودية ـ رق اتن : ازدراء تيوس : إزدراء خشب : جمود ـ هشاشة دمار : عدمية	جرح : ألم
	المقابلات في الأفعال بكى : صرّ شكا : تلقى مات : زج خشب : سوس		

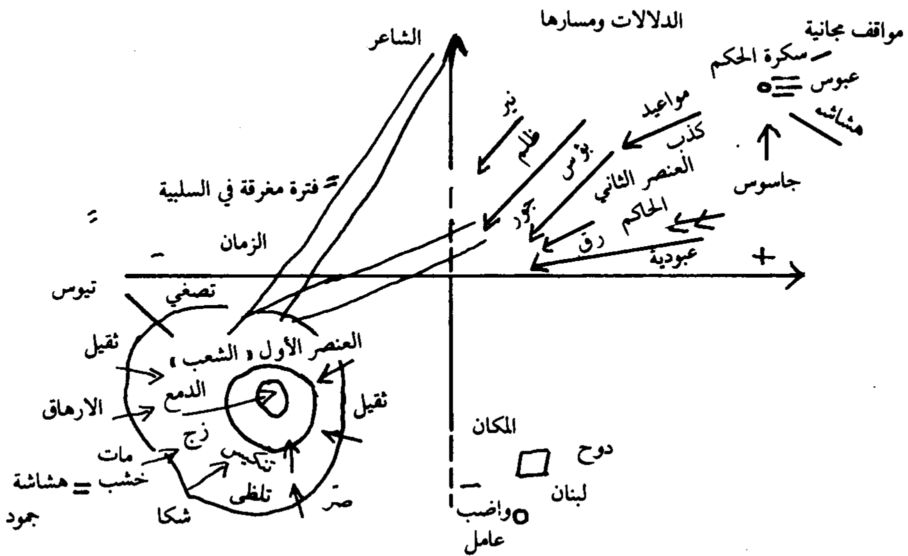
وقبل أن ندرس الدلالات ، لا بدَّ من الإشارة الى الثنائيات القائمة على التضاد في النص وهي :

في البيت الثامن : سعودي ≠ نحوسي
سعداً ≠ نحساً
في البيت العاشر : نال ≠ ضمّ
في البيت الحادي عشر : رافع ≠ تنكيس
في البيت الثامن عشر : مرؤوس ≠ رئيس

وبعد أن استعرضنا التحليل الفيزيائي للأفعال ،نشاهد تطور هذه الأفعال المعاشة ، أو الحالة السكونية العدمية . ونشاهد عنصراً تحريضياً ابتدأ يظهر منذ البيت الأول وهو الشاعر، الذي يقفز فجأةالى الموقف الايجابي الدافع في حالةالمحور الثالث ، بل أصبح من الملزم علينا أن نضمه الى هذا المحور ، وأصبحت في هذا

المحور تتفاعل ثلاثة عناصر : ١ / الإنسان العدمي - السكوني . ٢ / العنصر الحاكم / العبثي ./ ٣ / الشاعر الذي يحيا حالة العنصر الأول ، انما يشد في سبيل الإيجاب وان اطلالته التحريضية تبدأ من الاستفهام التعجبي : أترى ؟/ ان هذا التساؤ ل لا يمكن إلاّ أن يكون موقفاً ، يدفع بصاحبه من الموقف الحيادي ، المراقب الى قمة الموقف الإيجابي . . . وإن الدلالات : عبوس / عناء / بؤس / في البيت الأول تدل على شكوى : إذاً ؛ في البيت الأول دلالات تعني شكوى .

ولو أكملنا استعراض الأفعال : مثلاً (الفعل يمنح) يضيء لنا على الموقع الذي لا زال فيه العنصر الأول وهو الإنسان العدمي ولنر موقفه عبر الصورة وكيف لفعل « يمنح » ان يوحي بمثلِ هذه الخطيطة ، ان فعل «يمنح»،يدل على الحالة السلبية التي توجب المنح والعطاء ، وبمجرد أن نطلب العطاء فإن هذا يدل على أن العنصر الأول الذي هو « الشعب » بحاجة ، وهذا دليل الإجحاف . . . وبعد تعيين موقع العنصر الأول ، وجدناه يعيش في الحالة السلبية ،تضغط عليه الأفعال ودلالاتها الفيزيائية بل نرى التحاماً بينه وبين هذه الأفعال الواقعة عليه ، حتى رأيناه يذوب وتبقى هي تدل عليه ، وان هذه الأفعال كلها ذات دلالة واحدة ، مدلولاً رئيسياً هو « الألم » : ثقيل = ألم   أتلظى = ألم   تصغي = قلق = انتباه
بكى = ألم .
صرَّ = مرارة = ألم   مات = فراق = عدمية   مثَّل = تسلط

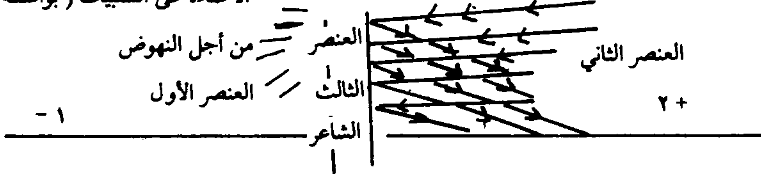


إذاً ؛ كل هذه الدلالات تحمل معنى متقارباً ، متشابهاً .

العنصر الثاني : الذي سلط عليه الشاعر الأضواء منذ البدء ، نلاحظ انه يعيش في الموقع الايجابي ، يدل عليه الشاعر بدلالات تشير الى التسلط : نير = عبودية ظلم تسلُّط ،كابوس = قلق = رعب . عبوس = ألم = قلق . . . . وكل هذه الدلالات تعكس معنى واحداً ، هو التسلّط والإكراه والشد بدلالات الموقف الأول الى الحالة السلبية قدر الإمكان أو البقاء على هشاشتها ، بينما هي تعيش العبثية واللامسؤولية . . .

من خلال عرض هذين العنصرين ، نلاحظ أن هناك ، علاقات تضاد بين هذه العناصر ؛ ففي حين يضغط العنصر الثاني على العنصر الثالث (أي الشاعر) يدفع هذا المحور ويحاول أن يقذف بالعنصر الأول خارج حدود الأفعال .

خطيطة رقم « ٢ »



والشاعر بعد أن يقف في الخطيطة رقم ٢ ، مدافعاً عن العنصر الأول ، ويحاول انتزاع افعال مضادة للأفعال الأولى ، أو الاكتفاء برد دلالات العنصر الثاني ، وإيقاف مفعولها لئلا يستطيع العنصر الأول ، أن يستفيق من الصدمة ، صدمة كل الأفعال التي تشكل محوراً ضاغطاً عليه ، وموقف الشاعر الذي كما قلت قفز الى حيّز العنصر الأول وانصهر معه في مجال الدفاع ، وعاش في التضاد بعد أن رضي الانصهار :

١ ـ وطني عامل وقد عشت دهري تحت أقمار أفقه وشموسه
٢ ـ فسعودي منه اذا رمت سعداً ونحوسي مأخوذة من نحوسه

وإن كانت الثنائية في البيت الثاني قائمة على الأضداد ـ

سعودي = نحوسي
سعداً = نحساً

فإنه قبل بالحياة في كلتا الحالتين ـ وهذا الموقف السلبي يحمل في طياته ، حنيناً وعاطفة تغلبا على الشاعر ، وجعلاه يخرج عن حيِّز الموقف الذي كان يقفه ، وان لم يكن جذرياً في الأصل فكلمة أترى : ألاحظ فيها الشكوى ، والشكوى / موقف الضعيف الذي لا ينوي أن يصل الى الحالة الإيجابية / لا يريد أن يرفع مدلولات الأفعال ، وهي الألم والذل والشقاء . ويبدأ الصراع من جديد ، ولكن هنا ليس بين العنصر الأول والعنصر الثاني ـ أي بين الشعب والحاكم ، انما هنا نشب بين العنصر الأول والثالث أي بين الشاعر والشعب ، وكيف يصل الشاعر إلى هذه الحالة ، وقد رأيناه قبل قليل في المكان والزمان والحالة الواقعة ، الشاعر عرض الموقف ، أراد أن يبعث الحيوية في أفعال العنصر الأول /كيف أرضى / موقف ايجابي استنكاري للحالة ٢/ كلما نال ـ ضمه ظالم .

إذا رام شربة الماء   رافع الرأس ≠ جد في تنكيسه
إذا ما بكى ـــــ صر غيظاً
إذا ما شكا ـــــ تلقى الأنباء عن جاسوسه
مات تحت نير ـــــ لكن ـــــ مازّج في ناووسه
ـــــ مثّل ـــــ

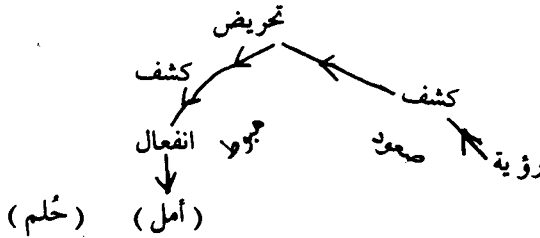
بهذه الإشعاعات التي أضاء بها الشاعر ، على الحقل الدلالي للعنصر الأول ، دافع في سبيل الرفض ، رفض الواقع ، أضاء على حالات شعورية ، استطاع أن ينفذ الى أعماق الحالة الانسانية ، ضرب على أوتار الألم ، وأوتار العاطفة ، والكرامة ، والروح الانسانية ـ بيَّن مجمل هذه الحالة ـ كشف هشاشة الموقف الثاني :

أي شعب أعمى يقاد وبحبل يبتاعه بفلوسه
بل بسيل من المواعيد ـ تنصبُّ على جرحه الذي لم يوسه
أترى النائب الكريم بلبنان   يفي بالوعود   . . .
أم تراه ينسى . . . . . فالنسيان للانسان بعض طقوسه
سكرة الحكم . . . . تشغل المرء عن عروسه . . . .

إنه أضاء على كل هذه السلبيات ، وبيَّن هشاشتها ، من حيث نظرتها للانسان ، واستغلالها لاتعابه ، وعرض بشكل ساخر ، وكأنه يشتاط غيظاً عندما يعرض هذه الحالة ، ولكن الأسلوب الساخر(أترى النائب الكريم) ان تعبير كلمة

« أترى » كما قلّت فيها انكسار ـ عرض فقط ـ لم ينفّذ ، بل بقي خارجاً عن حيز التنفيذ والفعل . . .

ولكن بعد كل هذا العرض ، لو جئنا نرقب مرسى الكرة الضوئية التي كان يحملها الشاعر ـ أين هي الآن ـ انها في الجمود ، انها مجرد شكوى قد لا يؤخذ بها أبداً ، إنها مجرد زفرة ، تنفّس / ثم استكانة / انه هنا يعاود الطلب للدهر ، بان يستمر بالتمثيل في هذا الشعب البيتين ـ ١٥ ـ ١٦ ـ عندما يعرض ـ خشب أهله ـ عامل مات تحت نير ـ ان هذا التراجع سلباً على الشعب ، يمثل حالة انفعالية ، متسرعة لاهثة ، ويمثل بالتالي موقفاً « انحدارياً » .



ولكن يبقى هذا الموقف الانحداري ، الذي يبقى في النهاية ، عنده حلماً ، وأملاً والأمل يستكنّ في الاستثناء(لكن) التي يمكن لها أن تلغي العدميةالتي تورط بها العنصر الأول . . . . صحيح أن الشعب مات ، ولكن ما زج في ناووسه ـ تشكل هنا عائقاً أمام الموقف السلبي للناس المتمثل بالاستسلام المحض ، الأبيات : ٨ ـ ٩ ـ ١٠ ـ ١١ ـ ١٢ ـ ١٣ ـ ١٤ . الاستسلام الذي يعني العدمية ، وعندما تأتي (لكن) = تضيء الأمل ، وتلغي هذه العدمية ، بانتظار ان تدب الروح ـ روح الحميّة واليقظة في جسد ملقى خشباً ينهشه السوس ـ بينما يبقى في الحالة الراهنة ـ مؤقت ـ

الثاني ـ الحكم ـ يمارس أفعاله بانتظار ما تأتيه « لكن » من نتائج . . .

الصور

إن بنية الصور في هذا النص ـ / القيد / الانطلاق / ـ القيد دلالة على الحالة الماضية والحاضرة/ والانطلاق هو الصورة المرجوة لهذا الشعب . . . .

وإن كل بيت في النص يمكن أن نرى فيه صورة لهذه المتضادات المتنازعة . . . . هذا التوثب الذي يطلب الشاعر .

وعلى المستوى النفسي ، يبدو أن هناك تفاعلاً يجري في بنية الصورة ، بين عناصرها الثلاث فلو جئنا ندرس ما تتركه المواقف والأفعال والدلالات ، على مستوى كل عنصر لوجدنا أولاً : ـ ان هناك أحاسيس تتجسد على مجرى الشعور ، وهذه الأحاسيس ، تتجسد في صورة شعب يحتضر ، يُستَلب ، ثم يُمتص ثم يُلقى جسداً على أرض أحبها ، تعانق بقية أنفاسه ترابها ، تتلمس مكامن الحياة فيها ، عسى أن تستقي الحياة . ان هذه الصورة توضح لنا الحالة الصحيحة التي يحياها الشعب ، وهناك عنصر مهم وهو ان الشعب ليس خاملاً ـ يعمل في الأرض ، يزرع ، ينتج ، ولكن انتاجه يذهب اختلاساً ، الشعب يشرب يرفع رأسه ، ولكن العنصر الثاني يجبره على التنكيس ، إن مجرد رفع الرأس علامة الرفض ولكن التنكيس علامة الاذلال القسري ـ وهذا يدل على أن هناك ومضات بالنهوض ، على عكس ما يرينا الشاعر .

والشاعر يعرض صورة التنكيس على أنها تجريد من الحالة الشعورية الانسانية ، إذ يرينا كيف أن رفع الرأس ممنوع وقت الشرب ، وهذه مسموحة لدجاجات الأزقة ، تتمتع بها وتتلذذ . . . انه هبوط دون مستوى الطيور / انها صورة الجراح ، صورة العناء والعرق ، كلها صورٌ تدل على حالة خارجية ، انها دراسة للبيئة .

وكذلك صورة الحالة النفسية للحكام تبدو / هشة / عبثية / متقوقعة / لأنها تتناسى الشقاء / تغض الطرف عن دماء تنزف ، تحيا النسيان الانعدام في الحالة .

وأخيراً ومن خلال هذه الدراسة الداخلية لهذا النص يمكن أن نرى مسار الشاعر من . . . الاطلالة / التوثب / الانطلاق / الركود / اليأس / الحلم ، ثم نرى عاطفة الشاعر وقد سيطرت على جو النص العام ، حتى نراه يذوب من الانكسار ، تبدو هنا شفافية الموقف الانساني للشاعر ويمكننا أيضاً أن نتعرف ، عن كثب ، للحالة التي يعيشها الشاعر ، وما هي أحاسيسه ومشاعره ، وما تنعكس على نفسيته الساخرة ، الفكاهية بمرارة واعتصار ، ثم نتعرف على البيئة في الزمان ، وهي بيئة الشاعر في زمن ، تسلط فيه مستعمر تركي على جبل عامل ، فرفضه وطالب محاربته .

ويمكن أن نستخلص من هذا النص شيئاً مهماً وهو القاموس المعجمي ، حيث انتزع الشاعر الدلالات من البيئة انتزاعاً ، ومن هذه الكلمات :

كابوس ، شقاء ، عناء ، خشب ، فلوس ، مسكين ، جهول ، جاسوس ، ضروس ، كيس ، تنكيس ، لبوس ، الوعود ، حبل ، ناموس ، تيوس ، اتن ، الزراعة .

كل هذه الكلمات ، جاء بها الشاعر من معجم الشعب ، ولو أخذنا الزراعة ، نجد أن الشعب يعتمد الزراعة ، ويعتمد أثناء الزراعة (الاتن) ، والتيوس تدلنا على المواشي والاستفادة مما تقدمة للانسان .

وأخيراً نلاحظ الايقاع الموسيقي الذي سيطر ، على النص ، وخاصة ان القافية حرف (السين) . وهكذا ، فإن هذا النص يدلّنا على كل ما يدور في الزمان والمكان ، والبيئة . . . .

منزلته بين الشعراء العامليِّين

لقد اختلف الشعراء العامليون في بداية القرن العشرين ـ فترة التجديد والترف الفني[1] في نهل موارد ثقافتهم وعلومهم ، وقد وعت هذه الكوكبة من الشعراء وجود المدارس والكتب والمطابع والمجلات والصحف ، وشهدت أيضاً الرحلات من وإلى العراق وايران ومصر ، عوامل كلها أثرت في ثقافتهم واتجاهاتهم .

والأستاذ علي الزين يعتبر أن هؤلاء الكتّاب ينتمون الى ثلاث طبقات بقوله :

« وباستطاعة الباحث ـ إذا توسع في نظره لهذه الكتل الأدبية التي تتألف من هؤلاء الشباب الذين تثقفوا بثقافة عربية خالصة وهؤلاء الذين تثقفوا بثقافة غربية مشوبة وأولئك الذين شبوا على التأثر بهؤلاء وهؤلاء ، باستطاعته أن يقسم هذا الدور ، دور التجديد والترف الفني الى طبقات ثلاث ، لننظر في هذه الطبقات ونرى موقع شاعرنا منها :

الأولى : طبقة تعتمد في آدابها الفطرة السليمة ، ثم على ثقافة نجفية كل ما تيسره للطالب الطموح دراسة الآداب العربية والعلوم الاسلامية على الطريقة القديمة

---

(١) الزين ،علي . مع الأدب العاملي . ص ٤٠ ـ اذ قسم الفترة ما بعد حادثة الجزار الى ثلاثة أدوار ـ ١ ـ دور التقليد المحض ـ ٢ ـ دور التطور والانتقال ـ ٣ ـ دور التجديد والترف الفني ـ ودور الفترة التي وجد فيها الشاعر أطلق عليها الزين (فترة التجديد والترف الفني)

الإلمام بالصحف والكتب الأدبية الحديثة التي ألفها وترجمها أدباء العرب ومن هؤلاء الأساتذة ـ صدر الدين شرف الدين ـ حسين مروة ـ هاشم محسن الأمين .

الثانية : طبقة أخذت عليها الثقافة الحديثة كل باب وكل سبيل ، حتى أصبحت وليس لها من الايمان بتراثها الأدبي ما يحملها على احترام القديم ، أو تأثر وجهته وإنما غلبها الأكبار للآداب الاوروبية من افرنسية وانكليزية .

الثالثة : وطبقة كل ما تعتمد عليه في أدبها هو الفطرة السامية ، والذوق السليم ، والاحساس المرهف وأما ثقافتها الأدبية فهي من الإلمام بما يحدث في البيئة ويشيع في المجتمعات ويذاع في الصحف السيارة من آراء ومذاهب أدبية ، وسياسية ، واجتماعية ـ ولئن تهيأ لغيرها من الأدباء أن يتجددوا ويجددوا باشراق في التعليم العالي ووحي من الثقافة الأوروبية ، فإن أبناء هذه الطبقة لم يكن لهم مما يوقظ شعورهم ، ويلطف أذواقهم ويتوجه بهم هذا الاتجاه الطريف ، الذي ارتقى بأدبهم الحسي عن مستوى الآداب الرجعية ، غير ظروف بيئتهم وعوامل مجتمعهم وغير ملابساتهم واختباراتهم الخاصة . ولا غلو فيما نذهب اليه من أن ألمع شخصيات هذه الطبقة هم السادة الشعراء ـ عبد الحسين عبد الله ، موسى الزين شرارة ، نور الدين بدر الدين[1] .

بعد هذا التقسيم للشعراء الى ثلاث طبقات ، الذي اعتمده الاستاذ علي الزين ، نرى أن منزلة شاعرنا علي مهدي شمس الدين ، هي مع الطبقة الثالثة التي لم تسافر الى النجف، وإنما تلقت ثقافتها في جبل عامل ، واطلعت على الكتب والمجلات والجرائد ، ولم تتأثر هذه الطبقة بالثقافات الأجنبية ، بل ظلت محافظة على الطابع العربي ، لأن هذه الطبقات الثلاثة شهدت الحرب الأولى والثانية ثم الحكمين التركي والفرنسي ، ثم المجاعة والويلات ، هذه الحوادث كلها دفعتهم بالتعصب لوطنيتهم وقوميتهم .

« مدرسته الشعرية »

والشاعر علي مهدي شمس الدين ينتمي الى مدرسة شعرية لا يزال ركنها

---

(١) الزين ، علي . ص ـ ٤٠ ـ ٤٧ ـ (٢) مصطفى ، قيصر . الشعر العاملي . ص ٦٣٥ ـ حيث يقول: أما الفريق الثالث الذي لم يدخل المدارس ولا الجامعات ـ ثم اعتمدوا على أنفسهم فبلغوا بفضل عصاميتهم اعلى المستويات ومن هؤلاء (موسى الزين شرارة ـ ابراهيم شرارة ـ نجيب مروة ـ علي مهدي شمس الدين ـ وعبد الحسين العبد الله ـ محمد كامل شعيب وسواهم) وهؤلاء قد جاءت لغتهم الى حد ما أسلم من لغة الفريق الثاني وتجاوزاتهم أقل .

محافظاً على نهجها وهو الشاعر موسى الزين شرارة ، وهذه المدرسة تتبع الخط التقليدي في الشعر ، من حيث الصياغة لا من حيث الموضوعات ، وتحافظ على الوزن والقافية ، وإن لا تزال تحافظ على القديم وتستعمل الألفاظ القديمة ، ونهجها محاربة « الظلم والفساد » أينما وجد ومن أية فئة أتى ونرى في هذا الكتاب انهم لا يتورعون عن هجاء المشايخ والزعماء إذا رأوا فيهم عيباً .

وهذه المدرسة تقوم على محاربة الشعر الحديث ، لتحرره من الوزن والقافية ، وبالتالي لا يعتبرونه شعراً والمعركة لا زالت مستمرة بينهم .

إن العلاقات الأدبية الواسعة التي أقامها الشاعر ، لم تخلق من فراغ ، ولم تأت عفو الخاطر إذاً ، لا بدّ من خصائص تفرد بها جعلته يحتل هذه الميزة المرموقة بين الأدباء ، حتى قال :

يا أهــل «نُبّل» ماذا هل مُنِحتِ تقى أم جاء نحوك يهدي الناس جبريل[1]

والحقيقة إن الشاعر أوتي شاعرية فياضة ، ومقدرة عظيمة على الارتجال ، وعرف بسرعة البديهة وقوة الملاحظة ، امتاز بالنجابة والذكاء ، وعرف أكثر بالشاعر الفكاهي الساخر ، والناقد اللاذع ، امتاز بعاطفة صادقة تجاه أرضه وشعبه .

امتاز بشخصية قوية محببة لا يُمَلُّ له حديث ، كان كثير الرحلات الليلية ، حلو المعشر ، صفات كلها اجتمعت في رجل شاعر ترك على ألسنة الناس ذكرى وحديث ونجوى .

وهذه مقتطفات مما قال فيه الشعراء والأدباء ، وعن شاعريته قال السيد علي ابراهيم : إذا رجعنا للتقسيم القديم المعروف للشعراء الذي تركه من قال :

الشعراء فاعلمن أربعة فشاعر يجري ولا يجرى معه
وشاعر من حقه أن ترفعه وشاعر من حقه أن تسمعه
وشاعر من حقه أن تصفعه

(١) هذا البيت نقلاً عن علي موسى شمس الدين رفيق رحلته الى القرى الشمالية من سوريا لأن له هناك أقرباء من آل شمس الدين وصادف أن وقع خلاف بين شيخين أخوين فذهب الشيخ علي شمس الدين لمصالحتهما ، وكان يجتمع مع الشيخ هناك الأدباء ويتسامرون معه الحديث ويقولون الشعر إلاّ أن علي موسى لم يحفظ من الأشعار التي قيلت هناك إلاّ هذا البيت في « نبل » .

نجد: إن الشيخ علي مهدي شمس الدين من القسم الثاني (من حقه أن يرفع) فهو وسط بين الشعراء ، ليس لديه وثبات قوية تهزّك وتثيرك وليس لديه إسفاف وابتذال ، فكرته ، أسلوبه ، طريقته ، خياله ، كل ذلك من النوع المتوسط

أقوال في علي شمس الدين

السيد محسن الأمين : مقابلاً بين الشعراء العامليين والشعراء العراقيين .

ولأهل العراق ، ولا سيا النجفيون منهم ، القدح المعلى في صناعة الشعر والاعصار الأخيرة وقد نبغ منهم في عصرنا : الأخرس البغدادي ، والسيد محمد سعيد الحبوبي ، الذي فاق أهل عصره وجاء مجلياً في حلبات السبق ، وميادين النظم ، والسيد حيدر الحلي ، والسيد ابراهيم الطباطبائي ، والسيد جعفر الحلي والشبيبي ، والجواهري ، والشرقي ، والرصافي ، والكاظمي ، والصافي ، والزهاوي وغيرهم من فحول الشعراء الذي يطول الكلام بسرد أسمائهم .

(أما الشعراء العامليون) في عصرنا فهُم لا يقصرون عن شعراء العراق ، كالشيخ عبد الحسين صادق ، والشيخ سليان ظاهر ، والشيخ محمد حسين شمس الدين ، والشيخ علي شمس الدين ، وغيرهم وفي العصر الذي قبل عصرهم ، الشيخ علي زيدان ، والشيخ ابراهيم صادق ، والشيخ ابراهيم يحيى ، والشيخ ابراهيم الحاريصي ، شاعر ناصيف وغيرهم .

الأستاذ حسين مروة : شاعر ارتجالي ، سريع البديهة ، كثير الترحال ليلاً ، كثيراً ما كان يزورني ونحيي الليل بأعذب الحديث ، وكان لا يهتم لشعره ، يقوله ويمشي ، وكان فياضاً غزير الالقاء وكان صاحب نكتة وفكاهة ، لم يهتم بمظهره الخارجي ، له مواقف وطنية وقومية مشهودة .

السيد عبد الرؤوف فضل الله : حدثني الشيخ علي رحمه الله ، عن الأبيات الشعرية التي تركها قال :

حفظت من شعري اثنين وثلاثين ألفاً ونسيت ثلاثة آلاف . . .

الأخطل الصغير : زارنا في هذه الجريدة (البرق) شاعر عاملي معمم يتناول

الشعر من جبيه . هو الشيخ علي مهدي شمس الدين .

(مجلة العرفان) شاعر حماسي يقذف شعره نوراً وناراً ، نوراً تتألق به محيا الحمية والشرف وناراً تصلي من يريد أن تنزل عليهم شواظها ، ما هو أشد من نار الجحيم وان الأمة وهي في دور الخمول أحوج الى شعراء حماسيين يوقظونها من سباتها المتطاول الأمد الى شعراء متغزلين أو مادحين ، يزيدون في طنبور مصائبها أنغاماً .

السيد علي ابراهيم : هو أحد مشاهير الشعراء في لبنان الجنوبي ، امتاز بسرعة البديهة وحدّة الذهن وقوة الملاحظة وبذكائه الوقاد النادر ، حتى ان كافة الصور التي تمر في ذهنه مفهومة لديه ، تعيها قوة مدركة عجيبة ، رجل المنابر والمحافل ، وأنيس المجالس والمجتمعات له الحديث الممتع الساحر الذي يحلو للسامر ، وتهفو القلوب والنفوس لِبَثِّهِ وَنَجْوَاه ، يقصده طلاب الأنس والسحر ، وهواة الأدب والبيان ، يستمتعون بالروائع التي ينشدها والطرائف التي يرويها من قصص العرب وأخبارهم يقرأ ويستمع ويستوعب ، فإذا كل ذلك رصيد سريع المتناول لا يبعد عن فكره ساعة يشاء تتسلسل الرواية عنده ، وتفيض بالابداع وترى لديه سِيَرَ الأقدمين وأخبار المغامرين وهذه الألوان الزاهرة من الفكاهة المنعشة وتشعر وأنت معه أنك أمام البحر يقذفك باللجج وأمام موسوعة فيها ما لذّ وطاب لا يغيب عنها شيء مما حولها فتعجب لهذه الموهبة الخصبة الثرة ، تكاد ترقى معها وترافقها في تجوالها بين النجوم المتلألئة . . . ويمتاز رحمه الله بخفة روحه وميله الشديد للنكتة والمجون ، وانه قريب من القلوب والنفوس لا تمله ولا تبتعد عنه[1] .

الأديب صلاح اللبابيدي : لا شك أبداً أن الشيخ علي مهدي شمس الدين شاعر كبير من الشعراء المشهود لهم بحضور الذهن ، والمعاني المبتكرة ، وكم سمعنا منه شعراً يعجز عنه فحول الشعراء وكثيراً ما ارتجل أمامنا شعراً جميلاً تحسبه من الشعر الجاهلي القديم بمقدرته اللغوية وذهنه الوقاد .

الشاعر موسى الزين شرارة : مع الشيخ علي مهدي تخال نفسك أمام رجل جاء لتوه من البادية لا يقول الا شعراً . . .

---

(١) ابراهيم ، علي . شعراء من لبنان . ص ٢٤٦ - ٢٤٧ .

خاتمة

لما كانت قيمة السيرة أن تعرفنا على الجماعة من خلال الفرد ، وقيمة الدراسة الأدبية عن شاعر هي ان هذا الفرد يعبر عن تيار شعري ، وعن مرحلة أدبية ، وعصر معين ، ومكان معين حيث يأتي الفرد واحداً من أبرز تفاصيل الجماعة يعبر عنها كلها ، ففي حياته وتصرفاته ، ونتاجه تزدحم مثل هذه الجماعة وقيمها فهو إذاً ؛ عبرها والتعبير عنها ، ولما كانت الدراسة الأدبية عن شاعر هي في هذه الحدود ، فقد أخذنا لدراستنا في هذه الكتاب واحداً من شعراء نهاية القرن التاسع عشر ، والنصف الأول من القرن العشرين ، هو الشيخ علي مهدي شمس الدين الذي يغطي بعمره اطلالة النهضة الأدبية الحديثة في جبل عامل وانطلاقتها ، ذلك لأن الأديب العاملي في هذه المرحلة ، قد تأثر متأخراً بالنهضة الأدبية الحديثة التي أطلت على مصر ولبنان مع حملة نابليون على مصر في نهاية القرن الثامن عشر ومع الارساليات الأجنبية والمعاهد العلمية في ساحل لبنان وجبله ، لأن العاملي بقي متمسكاً بتراثه في إطار من البحث الفقهي والدراسة الدينية وكان الأدب ربيب هذا النشاط الفكري ، وواحداً من وجوهه وعلى الرغم من التأثر المتأخر بالنهضة الحديثة ، فقد بقيت له قدم في القديم وقدم ثانية تخطو نحو الحديث ، وبقي كل أديب وشاعر عالماً وفقيهاً ، وهذا ما يعبر عنه بالفعل علي مهدي شمس الدين ، الذي نشأ في مدرسة علمية دينية وفي بيت الفقه ، وأخذ بهذه الدراسة القديمة وبموجبها كان قاضياً شرعياً في المحكمة الجعفرية وأخذ بالحديث ، فالتقى بالشعراء الأدباء من خارج الأرض العاملية ، وتأثر بهم ، إذاً ؛ كان شاعرنا صورة معبرة عن الحركة الأدبية في جبل عامل ، في المرحلة التي عاشها ، يمزج بين القديم والحديث .

كما أوصلتنا الدراسة التي قمنا بها الى النتائج التالية الأخرى .

- وجود بيوتات عاملية شعرية ، أو عائلات تتصف بكثرة الشعراء ، من أبنائها ، أمثال آل فضل الله والأمين وشمس الدين وشرارة ومروة ومكي وصادق الخ . . .

- قيام علاقات أدبية بين شعراء جبل عامل وأدبائها ، وبين شعراء مصر وسوريا

وفلسطين والعراق ، مما جعل من الشاعر اللبناني شخصاً منفتحاً على الجميع ، يتأثر بهم ويؤثر ويمكن بالتالي اعتبار نتاجه خلاصة هذه العلاقات في النصف الأول من القرن العشرين ، مما أهَّل لبنان بمجمله لأن يتولى قيادة الفكر والأدب في العالم العربي في النصف الأول من القرن العشرين كما قال طه حسين قبل وفاته ان مركز الثقافة في العالم العربي انتقل من مصر الى لبنان وهذا ما أشرنا اليه بالتفصيل في الفصل الثاني من الباب الأول ، حيث عرضنا للقاء الشيخ علي شمس الدين مع أحمد شوقي ومي زيادة وعلي الشرقي وأمين نخلة . الخ . . .

- إستمرار جبل عامل في خدمة التراث الشعري بالمحافظة على الأنواع الأدبية المعروفة ، وعلى عمود الشعر العربي ، فقد توزع شعر علي مهدي شمس الدين على أكثر من أحد عشر نوعاً أدبياً أو فناً شعرياً ابتداءً من المديح والهجاء والرثاء الى الوصف والغزل والحكمة ، والفخر والحماس ، غير أن هذه الفنون الشعرية وان كانت قديمة متوارثة في الشكل تمكنت من استيعاب المضمون المعاصر، حيث جاءت قصائد علي شمس الدين تحمل سمة الزمان وتفاصيل السياسة المحلية ، فكثر فيها أسماء السياسيين ، وصراعهم السياسي والعلماء رجال الدين ونضالهم الايماني والاجتماعي ، حتى اننا نقف أمام أسماء عديدة لاعلام خلدتهم هذه القصائد والأمر نفسه ينطبق على الهجاء الذي اتخذ طابع الاصلاح الاجتماعي ، أما الرثاء فكان مع علي شمس الدين بمثابة مذكرة لوفيات الاعلام من الشهداء والعلماء والأصدقاء والزعماء السياسيين والأقارب .

- غير أن الوصف عند علي شمس الدين ، كان أداة تصوير للطبيعة العاملية والريف العاملي كشاهد على جمال الأودية والسفوح والسواحل ومجاري الأنهار والمتنزهات التي تكثر في هذه الأماكن ولم ينس أن يصف أدوات الراحة والتسلي من السيكارة الى آلة الشاي ، إلاّ انه تعلق بالمجتمع العاملي فوصف مظاهر همومه من زراعة التبغ ومشاكل الحياة فظل مخلصاً وفياً لأهله ، كما أطال وأكثر في فن الغزل التقليدي وسائر مظاهر الحكمة والتأمل والفخر والحماسة .

- حمل شعر علي شمس الدين ، السمة العقائدية ، والحياة الايمانية في جبل عامل ، فجاء في مواضيع ترتبط بالنبوة وقضية امامة أهل بيت الرسول الكريم وقيمة غدير خُمٍ كمحطة في تاريخ الإسلام وتاريخ التشيّع ، وإطال الوقوف عند كربلاء الحسين ، وما توحيه هذه المناسبة للمؤمنين في جبل عامل .

ـ أكّد النتاج الشعري لعلي شمس الدين أن العامليين لم يتوقفوا عند الفنون التقليدية ولكنهم كانوا يجارون سجيتهم ويمارسون حرية في العطاء الأدبي ، فقد تعرضوا من خلال ثقافتهم الأدبية الموروثة الى مواضيع جديدة واكبوا فيها العصر ، ألا وهي ، الشعر الوطني ، خاصة وان جبل عامل كان يواجه في الربع الأول من القرن العشرين قضية التخلص من الحكم التركي ، في سبيل حياة سياسية متحررة وعن اطمئنان العامليين الى وضعهم السياسي ، لم يتقوقعوا على أنفسهم فساهموا مع كل العرب في الشعر القومي ، وتحسسوا بقضاياهم الهامة ومنها قضية فلسطين .

ـ هذا عدا المشاركة الجديدة في نتاجات أدبيَّة عرف أنواعها الأقدمون ولكنها جاءت تحمل السمة الشخصية والمحلية في أدب الاخوانيات والحنين والاعتذار والعتاب ، كما تَطَرق الى الفكاهة التي عبرت عن مزاج علي شمس الدين وعن تجاوبه مع ضمير الشعب وتقاليده وكل ما يعانيه من مشاكل الفقر ، وقضايا الطفولة ، وحنين المهاجرين والمغتربين ، ونقد الكتب مدحاً وتقريظاً وتقويماً ومشكلة الضرائب التي كان يئن منها الفلاح الجنوبي ، ويستحث همة المواطنين للثورة على مستعبديهم داعياً للبحث عن القائد الصالح والزعيم المخلص لا تأخذه في اعلان الحق لومة لائم ، منددا باعتماد السياسيين على الازلام . هذا وان الشعر القومي والاجتماعي كان يؤكد امكانية العامليِّين من التجاوب مع المجتمعات المجاورة ويساهم في الاهتمام بكل القضايا التي تهم هذه المجتمعات وقد احتشدت في قصائده المتعلقة بأحداث سنة ١٩٢٠ في لبنان وسوريا ، أسماء رجالات سياسية وفكر ودين ، فكانت قصائده هذه بمثابة نص تاريخي ، اشتمل على سير الاعلام .

ـ ولا ننسَى أن الأدب الفكاهي وأدب الريف لعلي شمس الدين قد حفل بأسماء أدوات الفلاحة ووسائل الزراعة ودنيا الريف ، من أسماء الحيوان كالماعز والحمار والخيول والثيران التي حمل بعضها أسماء فهناك الثور خميس وهناك الثور زيتون بالاضافة الى اسم الكانون والسلة والزناق والطاروس والبايكة والعود والنصب والبوج حتى لكأنك تجد نفسك عند قراءة ، قصائد علي شمس الدين ، انك أمام كتاب « حضارة في طريق الزوال » لأنيس فريحة ، التي تعرض فيها لكل مظاهر الحضارة الريفية في لبنان وأسمائها .

ـ إلا أن ما يلفت النظر أن الشيخ علي شمس الدين ، قد تعرض لقضية الفقر في

الجبـل العـاملي فكان بمقطوعاتـه في هذا البـاب يعبـر في آن واحـد عن الحياة الاقتصادية في جبل عامل المتخلفة قبـل الخمسينـات ، وعـن حالته الشـخصية البائسة فهو يذكر الديون المتراكمة على كاهل الفلاح ، ويستلـف المـال مـن أسياده ليشتري البذار أو ليقتات مع أفراد عائلته ، أو ليقضي على زراعة التبـغ بانشاء شركة لحصر الزراعة ورقابتها ، كما يتطرق لذكر الأمراض التي تعم أهل الجبل وقد وصف الالبسة وقذارتها والخبز وندرته ورب العائلة وتعدد أفرادها .

- إن الشاعر حاول إحياء فن نثري قديم ، هو المقامات ، التي كانت معه مزيجاً من النثر والشعر معاً والتي هي في مضمونها أقرب الى الرواية التي تتوافر فيها بعض الشروط المطلوبة ،وهذه المقامات لم تهتم بالشـكل فقط فتوقف عنـد الجنـاس والطباق وتوازن الجمل والنظم بقدر اهتمامها بالمضمون .

- قدم الشاعر نتاجه بأسلوب سهل واضح ، فصيح ، لا يعتمد الغريب في اللفـظ والمتنافر في الحروف ، وحافظ في أغلب القصائد على عامود الشعر العربي ، إلا أن بعض أبياته لم تكن سليمة الوزن إذ أصابها الوهن والاضطراب وخرجـت أحياناً عن التفعيلات السليمة الى حد ما يمكن أن يسمى وزناً منـكسراً ، وقـد عرضنا لامثلة كثيرة من هذا النوع ، كما أصاب قوافيه عيوب كثـيرة كالتجميع والإيطاء . . . إلا أن المحسنات اللفظية والمعنوية كثيرة أيضاً في شعـره ، حيث احتشدت ضروب من التورية والطباق والإيجاز والتشطـير والتخميس والتقليد والتذييل . الخ . . .

- إلا أن ما تجدر ملاحظته هو أن شمس الدين قد حافظ على وحدة الموضوع ، مع وحدة القصيدة فكان المدح أو الرثـاء أو الهجـاء أو الغـزل ، فيعطـي مقطوعـة بكاملها ، أو قصيدة بكاملها ، ولم يجعل الغزل مقدمـة للمـدح ، ولـم يعـدد المواضيع في القصيدة الواحدة مما يشير الى غزارة الشاعرية ووحدة التفكير .

- جمعنا تراثه المنثور في عدة مراجع ومصادر وكانت الدراسة الأولى التي عمدت الى تنوع هذا التراث .

- علي شمس الدين ، عينة ممثلة للأدب في جبل عامل .

- وبقي أن أشير الى الصعوبات التي لاقيتها في هذه الدراسة ، وخاصة ان موضوع الدراسة شاعر مغمور ، أكثر معاصريه تقريباً وافتهم المنيَّة وان الاعتمـاد

على ما حفظه الباقون ضعيف الاسناد لماتتعرض له ذاكرتهم في هذه الأيام ، واني اعترف اني نقبت في الغالب عن القصيدة تنقيباً كمن ينقب عن آثار مطمورة والدليل هو أنموذج للرواية الشعرية أضعه بين أيدي الجميع ليلقوا نظرة عليه ولنرى مقدار الدهشة ان ورقتين ونصف اتسعت لرواية زادت على مايتين وأربعين بيتاً من الشعر .

- وأخيراً هذا هو شاعرنا الذي لفّه النسيان ، فارس يسرج حصانه على الحلبة من جديد يمر بأطياف جبل عامل يتلمس ترابه برفق يختلس نظره الى الكروم والدوالي ، يحنّ الى الدار والمكتبة يجلس على المنبر بانتظار شاعر جديد . . .

صورة بطاقة هوية

الرسم الفوتوغرافي
Photographie

الاشكال
SIGNALEMENT

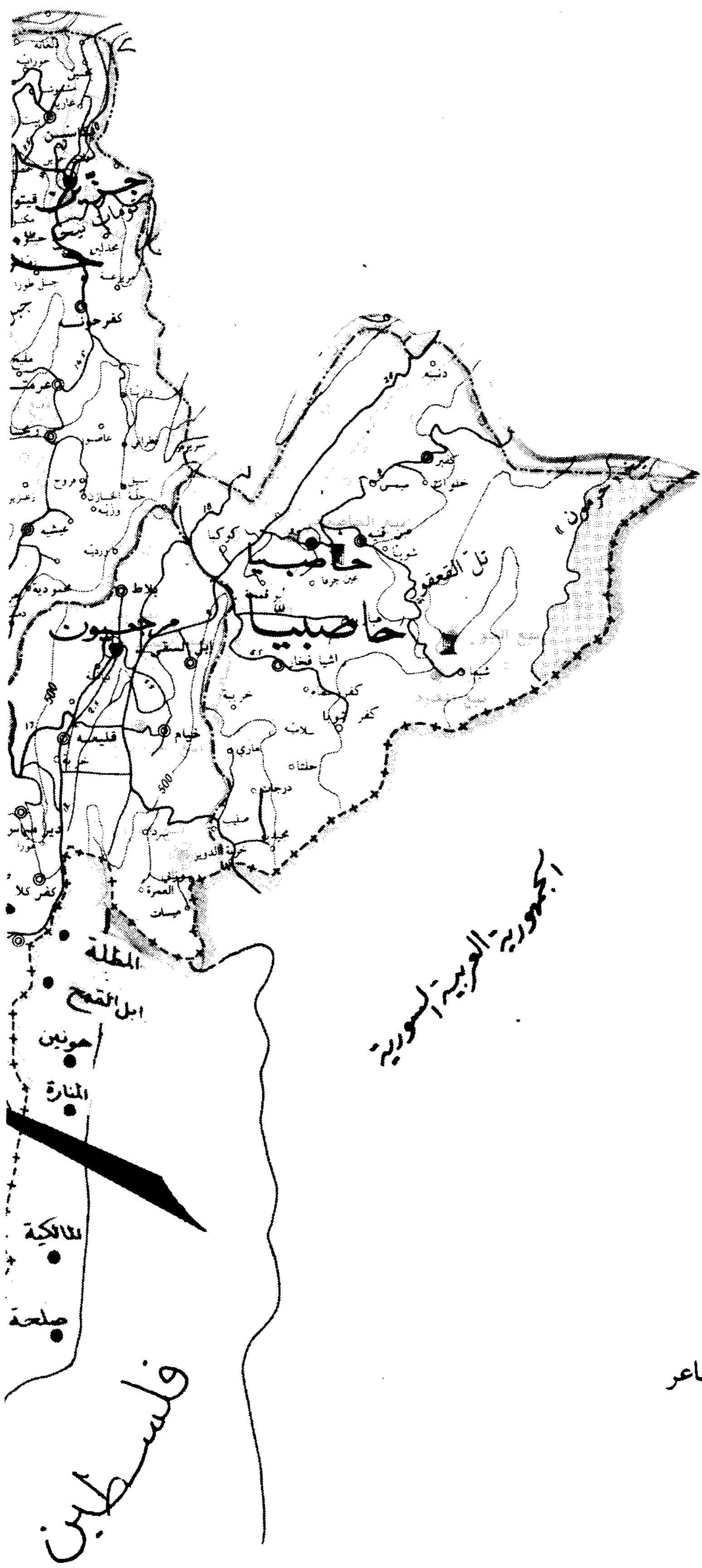
Taille ———— القامة
Yeux ———— العينان
Cheveux ———— الشعر
Sourcils ———— الحاجبان
Nez ———— الانف
Visage ———— الوجه
Barbe, Moustache ———— اللحية والشارب
Signes particuliers ———— علامات فارقة

الاسم والشهرة ————
اسم الاب ————
اسم الام وشهرتها ————
تاريخ ومحل الولادة ————
المذهب ————
الصنعة ————
متعلم او امي ————
متاهل او اعزب (اولاد) ————
محل الاقامة (١) ————
المحافظة ———— قضاء ————
رقم السجل ————
ان الحكومة اللبنانية تثبت ان ———— هو لبناني واشعاراً بذلك اعطيته هذه التذكرة
في ———— ١٩ ———— كاتب النفوس
مامور نفوس

(١) في المدن المحلة الشارع
Pour les villes ———— la rue

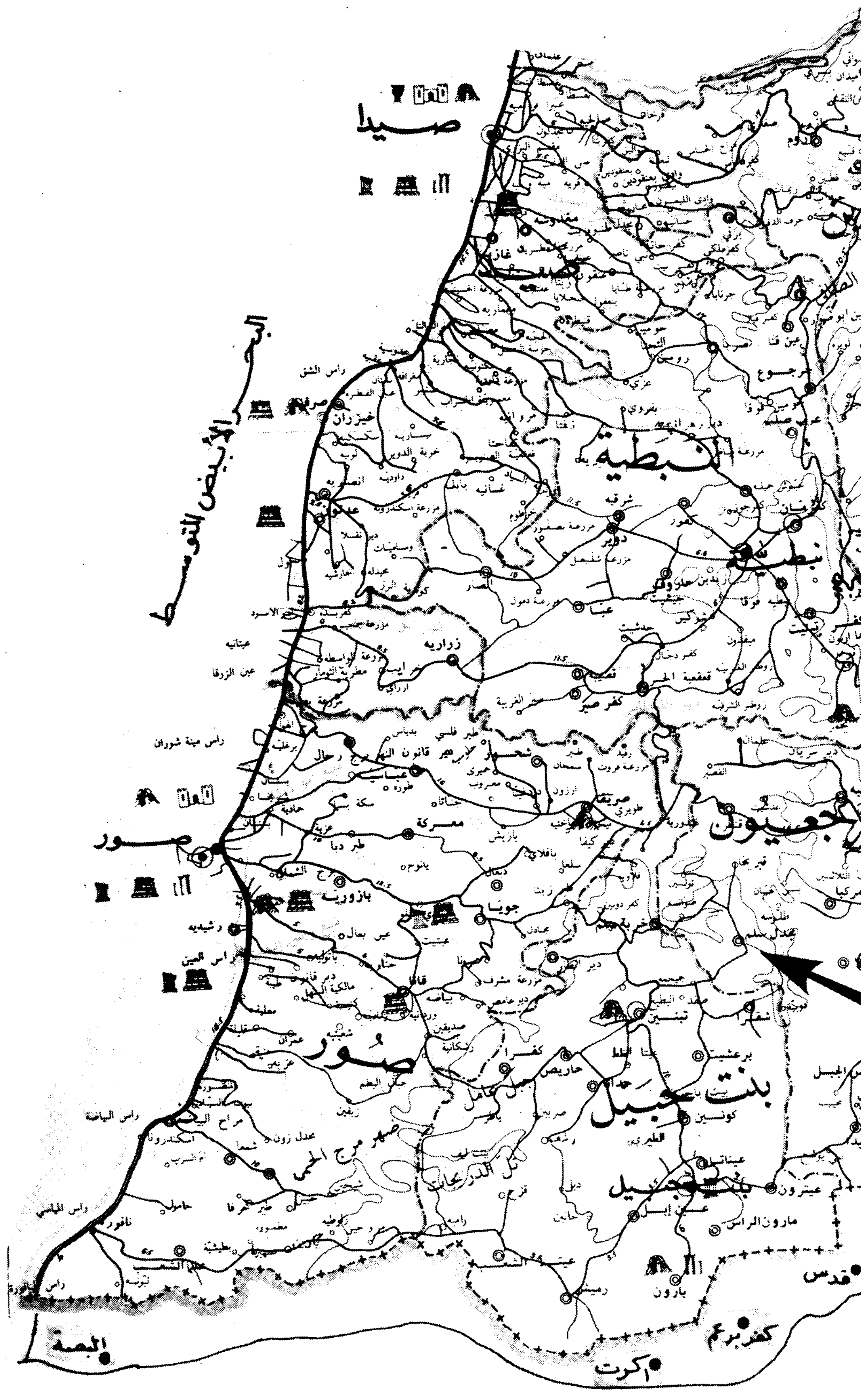
Nom et prénoms ————
Prénoms du père ————
Nom et prénoms de la mère ————
Date et lieu de naissance ————
Rite ————
Profession ————
Lettré ou illettré ————
Marié ou célibataire (enfants) ————
Domicile (1) ————
District ———— Caza ————
N° du registre ————

Le Gouvernement Libanais, certifie
que M ———— est libanais
En foi de quoi: nous lui avons délivré la présente carte d'identité
le ———— 19
Agent de l'état Civil de ———— Le Secrétaire



خارطة جبل عامل .

السهم يشير الى بلدة الشاعر


صيدا
البحر الأبيض المتوسط
النبطية
صور
بنت جبيل
البصة
اكرت
كفر برعم
قدس
زراريه
معركة
بازوريه
تبنين
كفرا
رشيديه
راس العين

نماذج من خطه

فنعود ركا
وانت ابعد من ان
السماء ومن السعود ونجومه
الى من نجوم انك تحول بالدم وحسبي على الدم
انت ادرى بكنه ذلك فطب
انت نوع وحسبك الطوفان
انت ذا الرحيم من بات يحيى
كل آن ترتجيه امم مطورا
انت من الصعيد
انت من البعيد
وارى الفلك بنك المعمور
بنده وطال الذي المعمور
انت سوى رب دنيا ودين
والسلام عليك وعلمه لديك من اخوان واهل وخلان ورحمه وبركاته

توجهت اليه جوابا ما سطر

نواضع ولدي انما نعيش بما صنعهم   بمنصور وانا نبغى بكل مآثر
وانه فوق النجم اطناب مجده   وحلق في العليا تحليق طائر
فذلك انى لم يرد الناس فضله   الى بابه قوم تشاعر
ولكنه من اسره باب طفلهم   تفوق بعد لياته حلوق المحابر
ليطبق رحب الارض من وصل عطائهم   اذا وصلت ايامهم بالمخاجر

فاضل ولدي عصم اسعد بكم ثم قومك اما ومحد ابيك وخصال تجمعن فيك انه ليسعدني ان احظى بصلتك وامتاع الارواح بمثل هديتك اجتناء الثمرة وانحياش البشرة وشد الرحال معجزا ولى القوة من الرجال فما الظن

بمنا السحل

وارسل الى جناب ابن العم العالم الفاضل الشيخ
ابراهيم نقي منه بلده الفوعا ما هو
مسطور جوابا عن كتاب وجهه اليه

وافاني منشورك زائرا … فنشقت منه عنبر آسر
ابرزت لي السر الذي كالعلا … بين والعلائن كالسرائر
شنفت ما كرر الجمع … درر احبابا نحو جاطر
اني رايت طروس نشر … جرت على الفضا بر
تتبع البحور بعد الا … وترى الشموس لها مسائر
واني ابن جار بسعد … مك في العلى اني مخاطر
عفوا فشا وعلاك اعـ … ـجزت البرية من طائر
يا بابه العليا امجد … ك جلت عن المفاخر
فمتى تقيم به الطر و … س وكيف تحصيه الدفاتر
مولاي اني قد غدو … ت وحق مجدك عبيك شاكر

انتهت

ان قلت انك كابر   تعديك بآخرة الاكابر
او قلت د زهرة العلى   تعديك في العليا الخناصر
لكن إنك سحاب بفضل بالفضائل انت ماطر
وسما عز الانام   فانا يقولك شاعر
قالوا العناصر ولدت   وذراك ولدت العناصر
ان قلت اخرست البليغ   وان تدع فالبلبل ناظر
كل المحود بموتك طار طائر او غير طائر
واقرى سلامي معشري   واكرم بهطال معاشر
مزخذ بنعتك ورضيع منك وفرع دوحتك
وسقي ذهنك وغصن من توءمتك سطر نوره وغرام
ولوعة وهيام واشتياق وغرام جرني حاسدي بهما
عليك وحملني عليها شوقي اليك ودعاني لرسمها
ما رسمت بيديك
وعندي شوق لو يشاقله   على النخل لم ينهض به الشعلان
[illegible]

[illegible]

نماذج وموضوعات شعرية

في وصف « السيكارة »

وبيضاء لم تبلغ سوى قيد اصبع ... من الطول لكن قد أطالت تسهدي
تعشقتها دهري فلم أر راحة ... ولم يك عنها الصبر يوماً بمقعدي
هوىً قد دعا جسمي نحيلاً كجسمها ... وأوردني من أجلها شر مورد
مضى نصف قرن وهي عندي وحيدة ... ومسكنها جيبي وملعبها يدي
وكانت بحجم الرمل أو هي دونه ... ولون كما شاء الإله مورّد
فأودعتها بطن الثرى وسقيتها ... مياه الحيا عند المساء وفي الغد
فما زال يهتز الثرى وهي تحته ... ويربو ، وارياح تروح وتغتدي
إلى أن بدت للعين في ميعة الصبا ... على ظهره تزهو بلون زبرجدي
ولما اكتست أسنى الغلائل وازدهت ... بتاج من الدر النقيّ المنضد
علاها اصفرار كاصفراري وبدّلت ... ملابسها الخضرا بألوان عسجد
فجردتها منها واحكمت صنعها ... بأسلاك قد نيطت بسهم محدد
وحولتها للريح والشمس فانزوى ... الى اليبس منها ذلك الناعم الندي
وسلمتها بعد الجفاف لزاجر ... له سطوة البازي وحدُّ المهند
فقام اليها وانحنى فوق جسمها ... بسيف على حزّ الرقاب معود
وقمت بست من بناني لشدها ... ببرد رقيق الجسم يحكي تجلدي
بأبيض لم تجبر على عزله يد ... ولا نسجته كفُّ شيخ وأمرد
ولست مجوسياً ودنت بحرقها ... فأضرمتها في راحتي عن تعمّد
لتأنس نفسي في لذيذ دخانها ... كما أنست عيني وفي لمسها يدي
سيجمعنا الحشر الذي هو جامع ... وتنصفنا عن يومنا وقفة الغد
وأشكو ، وتشكو ، والحوادث جمّة ... وكل على عذر يروح ويغتدي

تقـول : لقــد أودعتنــي الحتف ظالماً ... بصنعــك فارضــخ للعــذاب المؤ بد
فقلــت لهــا : كم علــة قد لقيتها ... بأنفاسـك الحرى فقــري أو اجحدي
سعالي، ضعفي،ضيق صدري رعشتي ... خفـوق فؤ ادي ، طول ليلي ، تسهدي
فقالـت : من الجانـي على نفسـه فقل ... فأنــت لي المردي بلا شك والردي

في المدح

حليفـك النجــح أنــى سرت يا بطل ... وفي مســاعيك يحيا في الــورى الأمل
يا عادلاً كاسمــه دون الأنــام ويا ... من زانــه علمــه المشهــور والعمل
يا كعبــة القصــد ان نابــت مروعة ... ومأمــن الخلــق امــا أرجف الوجل
هذي البــلاد التــي أوسعتهــا مننـاً ... قد بايعتــك فلا خوف ولا وجل
مشــت وراءك طوعــاً لا بسيطرة ... هوجــاء يعقبهــا التأخــير والفشل
وبايعتــك على علــم بأنــك لا ... ندّ يقــاس بعلياه ، ولا بدل
ما روعتهــا أراجيف ولا أبهـت ... بظالــم قد بكت من جوره السبل

في الهجاء

لا النـاس منكم ولا أنتــم من الناس ... حثالــة عافهــا في كأســه الحاسي
لا اللـون يجرحـكم لا الجـرح يؤلمكم ... أفلستــم أبــداً من كل احساس
حب الخيانــة داء في رؤ وسكــم ... وليس يشفــى بغــير القطــع للراس
والحــر كالسـارق المــذمـوم بينكم ... وانــذل النـاس فـي أثـواب حـراس

« وهذه من أبيات ارتجالية في رثاء أحد الأشخاص ، بدعوة من الشاعر أمين نخلة » .

الخبز من جسدي قال المسيح لنا ... ومن دمي الخمر لا من عاصر العنب
أنا السلام لخير الناس قاطبة ... قال اصلبوه على لوحين من خشب
هذا المسيح فلسطين له بلد ... لا تتركوه لصهيون بـلا نسب

قصيدة رثاء

يا ربوة المستشهدين سلاماً — يا من عرفت العزم والأقداما
فيك الأشاوس جدلت أرواحهم — وغدوا على مر السنين نياما
يا ربوة فيك الشهيد مخبط — بضريحه[1] تحت الثرى أعواما
قصّي على الاشبال من وثباته — ما أرعب الأعداء والاخصاما
قصّي حديثاً لا يمل سماعه — أو هات أعمالاً اليه جساما
قد كان يصرخ في ذراك بصوته — بالصخر والصلد الأصم قياما
يا ربوة المستشهدين تكلمي — ما كان صبرك لو نطقت كلاما
قد هزني شوقي فجئتك سائلاً — وأتيت ولهاناً اليك هياما
قد كنت أشهد في ذراك بواسلاً — واليوم أشهد في ثراك حطاما
يا ربوة حوت الشهيد تحية — وله على بعد المزار سلاما

***

نظمت هذه القصيدة سنة ١٩٥٣ في مجدل سلم

لاحت بوادر خير من أمانينا — واستشعر الأنس قاصينا ودانينا
وحلقت فوق هام النجم رايتنا — وانحط عن أفق العليا منادينا
وعرفتنا الليالي كل خافية — من كيدهم فازدهت بشراً نوادينا
جالوا على زعمهم أن البلاد لهم — وصيروها على وهم ميادينا
فما استفادوا ولا فادوا ولا رجحوا — والحمد لله في المسعى موازينا
فقلت والحال عما كان ناطقة — وهم بنجحهم المزعوم لاهونا
(ان الزرازير لما طار طائرها — توهمت انها صارت شواهينا)
سل عنهم عاملاً والحال شاهدة — تجبك عن جورهم جاءت مآسينا

---

(١) بضروحه ـ تصويبها ـ بضريحه .

تكلم ـ تصويبها ـ تكلمي .

كم من دم قد أراقوه وكم بلد ببغيهم روعوا فيها مساكينا
وسودوا بالرضا المحبوب مضبطة زوراً وكم أسروا غراً ميامينا
بثوا « جلاوزة الحمدون » واندفعوا للجور عن بطش رب البطش لاهينا
حتى اذا احتكروا ما أمّلوه ثرىً من مالنا وبنوا فيه الدواوينا
وامنوا غضب الباري بزعمهم وخيلوا انهم أمسوا سلاطينا
أعارهم للورى ممشوق جورهم وزاد ندهم في الأرض تمكينا
زعمتم أن أرض الله ملككم وأنكم عن أهاليها محامونا
وسرتمُ في طريق الاضطهاد لهم حتى نبشتم بها ما كان مدفونا
فاجنوا الثمار التي من غرسكم نتجت ونكلوا ان قدرتم بعدها فينا
(الله يعلم أنا لا نحبكم ولا نلومكم ان لم تحبونا)
عوداً على البدء في تمحيص ماضينا فذكريات الذي قد مرّ تبكينا
كم من دم طلّ منا بعد بيعهم أرض « المنارة » فاسأل عنه صهيونا
وكم قرىً قد أريعت وهي آمنة وفتنة قد أثاروها براكينا
وقل لمن ليس يدري ما ألمّ بنا من العنا والاسى سل عنه « هونينا »
بشرىً[1] بني عامل فالحق عاد الى نصابه ومشت سرعى مذاكينا
فليس « صيدا » وصور والشقيف معاً أمامنا يا ترى من ذا يجارينا
وفي عدالة رب القصر حاكمنا المحبوب ننسى برغم الجور ماضينا

ذكريات الطفولة

أرسلت هذه القصيدة من سجن الرمل عام ١٩٣٢ م

حيّت رباك نسمات السحر يا ملعبي عند زمان الصغر
أيام كنا والقضا طوعنا نلهو مع الغيد بلعب الأكر
حلواؤنا « البلوط» انعم به وكِنُّنَا تحت ظلال الشجر
ومهدنا الممتاز ارجوحة نغدو عليها بين كر وفر
ودستنا « الدمنة » من فوقها نار غدت تقدحنا بالشرر
ووردنا « الأجران » عند الظما بالقش نمتص بقايا المطر
ونقلنا « الشبرق » أنعم به من طيّب الحُبر كريم الخبر
وصيدنا « الكماة » من منبت سمّده السيل برجع البقر

(١) بشراً : تصويبها : بشرىً .

وخيلنا العيدان نفري بها … عرض الفلاة في وردنا والصدر
وبندقيات الصبا شوكة … نقدحها بالعود لا بالمفر
بارودها ناعم «ترب الفلا» … يا شدّ ما أعمى صحيح البصر
تدير طاحوناً بلا آلة … ولا مياه جلبت في مجر
ولا بناء محكم سمكه … نفني به المال ونكدي البشر
ولا فراش وسطه قطبه … في رأسه فاس لجرّ الحجر
ولا «شنقنا الدلو» من فوقه … بحبلة من قنّب أو شعر
بل فوهة نفتحها عنوةً … بعودة اللعب بأعلى الحفر
في الصيف نجثو حولها ركّعاً … وناعم الترب علينا يُذرّ
وفي الدجى «بونا» لنا لعبة … من مغرب الشمس لوقت السحر
وان أتى وقت زمان الشتا … ورطّب الأرض مسيل المطر
يشغلنا «المنطاع» في ضربه … فزمر تلهو به مع زمر
و«الدوش» في الصحو وعند الشتا … ياما أحيلاهُ وياما أمَرّ
وعندما يمضي زمان الشتا … وتكتسي الأرض بأسنى الخبر
نفترّ في الحقل بلا زاجر … نستنشق العَرف ونجني الزهر
فمن أقاح كثغور الدمى … عليه في الشكل الجمال اقتصر
ونرجس عنه عيون الظبا … ازدانت بما زينها من صور
وارجوان كشفاه المها … وزنبق يذهب عنك الكدر
وعنبر تصبيك أنفاسه … اذا عدا الريح عليه ومر
وبعدما تدوي زهور الربى … وتحسد البدو مقرّ الحضر
نُهاجم العصفور في عشه … فما لفرخ دوننا من وزر
فلم نزل نلهو بهذا وذا … نشوي العصافير ونجني الثمر
حتى تزين التين أوراقه … ويبصر «العجر» صحيح البصر
نعلو عليه نجتني «عجرة» … وفي حليب التين بعض الضرر
فآه ما أحلى أويقاته … فليتما العيش عليه اقتصر
مضى ولم نشعر به وانقضى … بالأطيبين من هنا أو خفر
مضى وأبقانا نقاسي العنا … رهن الرزايا والقضا والقدر
نحمل أعباء على كاهل … واحسرتا أدماه فرط الدبر
كم أبصرت أعيننا بعده … من عبر في العيش تتلو عبر
نجاذب النملة أقواتها … وندأب الكد ببرد وحر

فعيلة تجهد منا القوى ونحمل الأثقال بحراً وبر
كي لا نراها تشتكي حاجة ووجهها خوف الزمان اكفهر
والطفل من أبنائنا ان بكى يقتلنا عليه فرط الحذر

« عامل يتكلم أو صيحة جبل في واد »

أيشرب غيري وأبقى ظمي وأرضى عن الشهد بالعلقم
وأخضع واليد مكتوفة وسهم قد سرى في دمي
وأخرس الجور مِلْءُ (١) البلا د ولا ماء يمنعني في فمي
وأقعد والذل فينا محيق وعزمي يقول ألا فاقدم
واجبن مستسلماً للهوان ولا حق يُعْطَى لمستسلم
هبوا انني العير في ذلة أمَامَكم خشية ارتمي
وهب انني أبله قدَّمتموه الى الحتف بالرغم قود العمِ
الا ترهبون صيال الضعيف اذا سيم خسفاً ولم يرحم
صبيتم عليه مواعيدكم وقلتم أنست بعز نم
فلما ظفرتم بما تبتغون وفزتم بما فيه من أنعم
نسيتم وقلتم قضى نحبه وجنز في حلَّةِ المحرم
ودستم على قبره بالنعال وقلتم أمنا من اللَّوم
فلو قام من لحده صارخاً بمن ذا يلوذ ومن يحتمي
لعامل من أرزكم قشرةً وصاف اللباب عليه حمي
فهبكم ملكتم عليه الامور ومن حيفكم قط لم يسلم
فهل تملكون عليه اللسان وهل تحبسون بنات الفم
هبونا ذباباً فكم للذباب جروح بناصية الضيغم
وان حُمِّل المرء ما لا يطيق تكلم بالموجع المؤلم
أنبقى لكم في مكان الشياه لنحلب قسراً ولم نطعم
صناديقكم أفعمت بالنظار ونحن نموت على درهم
نكد حفاة عراة الجسوم لزرع الحبوب ولم نسأم
وينهكنا الكد في جمعها بحر الهجير وبذل الدم

---

(١) ملىء ـ تصويبها : ملء .

لنذّخر القوت قبل الهلاك ... الى صبية حوله حوَّم
فتسلب منا بسقط المتاع ... ولما نُرَاعَ(1) ولم نرحم
تعبَّد للغير سبل السلوك ... وفي ما رأى الغير لم نحلم
تحارب منا أولو الاحتكار ... ومعظمه لكم ينتمي
فهل في يد الناس من حاجة ... تجر الرغيف الى معدم
ولم تجعلوها لكم مغنماً ... فأقبح بذلك من مغنم
أقمتم على سبل الارتزاق ... رجالاً على الجور لم تندم
وقلتم لهم ضيقوا سبلكم ... وسوقوا البريء مع المجرم
فأفعمتم بالرجال السجون ... وحملتموهم على الأدهم
مصائب شتى اذا عددت ... يضيق لأمرها مرقمي
محاسيبكم وهم الجاهلون ... رقت للسماء بلا سلم
وأهل الكفاءة في عهدكم ... كميم لدى أفلح أعلم
يوزع بينكم حقنا ... ولم نتحرك ولم نبغم
أغركم نومنا برهة ... ومنا الأبيُّ المهاب الحمي
فأغرقتم النزع لا تأبهون ... لشعب على العسف لم يقدم
خذوا حذركم من إله السماء ... وسيروا على السنن الأقوم
فكم من ملوك مضت قبلكم ... ومن دهشة الموت لم تسلم
فأين الفراعنة الأقدمون ... وأين عتاة بني جرهم
أنركبكم فوق أكتافنا ... ونكوى من الجور في ميسم
أستطبتم مهادكم والفقير ... على الجمر أعضاؤه ترتمي
وعمرتم دوركم والبيوت ... خراب بعهدكم المظلم
مصائبنا أنتم لا الزمان ... وعن قوسكم عامل قد رُمي
فأين الوعود بِجَرِ المياه ... ونص قراركم المحكم
أعدل أم أنتم أسرة ... بواقعة الحال لم تعلم
دعونا على السالفين الكرام ... وقلنا لباري البرايا أحكم
فلما تولوا بكيناهم بكاء ... حزين لدى مأتم
مللناكم ومللنا الحياة ... بعصركم المزعج المؤلم
ففي كل نجد لسلب الأنام ... وبث الشقا منّا مجرم
فعلَّمتمُ للجبان الهياج ... وعلمتم النطق للأبكم

---
(1) نراعى - تصويبها : نُرَاعَ .

فلا الأمن أمن بلبنانكم — ولا المال للموسر المنعم
ففي الشعب فوضى عليه قضت — وحكامه الصيد كالنوّم

ألقيت هذه القصيدة في ذكرى مولد الرسول الكريم بتاريخ ٧ / ٣ / ١٩٤٤

صلِ على الهادي النبي وسلم — باب النجاة وعصمة المستعصم
واسلك سبيل (محمد) ورجاله — الحافظين الدين في بذل الدم
صبروا على البلوى وكان عدوّهم — مثل السوار محيطة بالمعصم
بذلوا النفيس من النفوس لنصرة الدين — الحنيف وجانبوا الخبَّ العمي
وأمامهم خير البرية داعياً — لله في لجب الطريق الأقوم
مستعصماً بالله منصرفاً إلى — توطيد دين إلهه المتهدم
بالحق يصدع لا يخاف منادياً — ويقول للبطل الكمي الأ اقدمِ
فالموت حتماً في الجهاد — فتقدموا فالفضل للمتقدم
فمشوا إلى الموت الزؤام بهمة — قعساء ارفع من مناط الأنجم
لم يلههم عرض الحياة ولا وهت — عزماتهم عن نصر دين قيّم
بالعدل قاد الخلق لا بالسيف — والجور الممض لا ببذل الدرهم
ملك الدنا وهو الفقير بماله — يا للعجائب من مليك معدم
لا رأس مال يستعين به سوى — الأخلاق والعظة التي لم تسأم
ومقاله عند الهياج لضده — بالرفق والاحسان اسلم تسلم
ما كان مقتصراً على تبليغه — كل امرىء في الناس صلٍّ أو صُم
سَّن المساواة التي دانت لها — أهل الابا من جاحد أو مسلم
بهر الورى بالعلم في أميَّة — نطقت بمعجزة الكتاب المحكم
حفظ النظام به فكان وسيلة — للهوى في غسق الظلام المظلم
ختمت ببعثته النبوة اذ به — علم الحقيقة كل من لم يعلم
ومضى وخَلَّفَ في البرية شرعةً — كالشمس يدرك نور حكمته العمي
شرفت به العرب الكرام بأسرهم — وعلى صراط هداه سار الأعجمي
فعلى بني العرب البواسل بعده — حفظ الشريعة من دسائس مجرم
يعدو على الأوطان كي يغتالها — ويصول للارهاق صولة ضيغم
صبراً على تعزيز دين محمد — وينال بغيته امرؤ لم يسأم
لا ترهبوا خطر الطريق وجانبوا — سنن الجبان وذلة المستسلم

ودعـوا التخاذل والتبايـن واجعلوا من حزمـكم للنجـح أرقى سلـم
فخناصر الآمال قد عقـدت على عزم الشباب وحنكة البطـل الكمي
أرجال أنصار الفضيلة منكم أمل الوصـول الى النجاح الأعظـم ؟
سـيروا على اسـم الله لا يرهبكـم لمع السراب ولا بريق الدرهـم

ما قيل في أسبوع الشيخ علي شمس الدين :

العرفان :

الشيخ علي مهدي شمس الدين كان من الأدباء والشعراء الذين يشار اليهم بالبنان بجبل عامل وكان حاضر البديهة ينظم ليس البيت والبيتين على البداهة بل ينظم العشرة والعشرين وشعره سهل ممتنع .

العرفان م ٤١/ ٤٧٥/ ١٩٥٤

السيد محمد نجيب فضل الله (من عيناثا) :

يـا ملهـم الشـعـراء كـل قصيـدة جـاءت على يدهـا تـزف وتخفق
هـي منـك لا منهـا فمـا للمدعـي أن تنتمـي خجـلاً يـذوب ويطرق
مجـداً بنيت على اليـراع مكللاً بالجـود مـن كـل الجهات مطوق
ومـآثـر لك لـو تتبـع شاعـر آثـارهـا هيهـات فيهـا يلحـق
مـا كنـت الا ثـروة في عامـل عاشـت وظلـك فـي سماهـا مـورق

السيد عبد الحسن فضل الله (ابن أخت الشاعر) :

تلَّفـت قلبي حيـن لاحـت لناظري مغـانيـك يـا رمـز العلى والمفاخـر
فأنـت الـذي علمتنـي النـظـم يافعاً وغذيـت احساسي ورويـت خاطـري
وأطـلعـت مـن صحـراء نفسي روضة صفـوقـة الاكمـام ريـا الازهـار

عبد الامير شمس الدين :

قد عشـت فياض القريحـة شاعـراً يأوي المعالم
ونهلـت من نبـع المعـارف جرعـة فغـدوت عالم
علمتنـا صدق الفعـال وكيف تجتنـب المظالم
ومضيت في ركب العظـام تميس مفخـرة وجاهاً

السيد ضياء الدين فضل الله (ابن أخت الشاعر) :

يا دار خالي أين الخـال عنـك نأ ... ى أين الجليل عليٌّ صاحـب الشأن
أين الأديب أديـب العـرب قاطبة ... من في محياه تهـدى آل عمـران
قد كنتِ بالعلـم والأخـلاق باسمـةً ... ها أنـت مقفـرة عن غيـر سكـان
قد كنت كعبـة لبنـان الجنـوب بمن ... حاز الـكمال وكهف الخـائف الجاني

الدكتور السيد كاظم الأمين :

فأنت آخر نجم تألق في سماء عاملة من أولئك الأفذاذ النوابغ الذين أخذوا العلم والأدب من مناهله الصّافية ومنابعه المتدفقة ونالوا قسطاً وافراً من علوم الأولين الأطهار على يد جهابذة العلماء العاملين المصلحين في هذه الأرض المباركة وفي هذا المحيط الوفي البار برجاله المخلصين . ولا بدع أن تكون كذلك وأنت ربيب شيخ الفقهاء والدك العظيم وتلميذ الاستاذ الأعظم ابن عمتك السيد علي محمود الأمين فلا أراني مغالياً اذا قلت أنك كنت موسوعة من نسيج خاص موسوعة من لحم ودم لا من مداد وقرطاس .

العلامة السيد علي حسن فضل الله :

قـل للمنـابـر والأقـلام والكتـب ... نوحـي علـى فقيـد شيخ العلم والأدب
واسـتشعـري بعـده ذل اليتيم فقـد ... فقـدت منـه أبـاً مرّ الحفـاظ أبي
واسـتقبلـي الـدهـر ليـلاً بعـد طلعته ... فإنـه كان شمس الـديـن والعـرب
ولا تصيخـي لخـطـاب سواه فـلا ... تعـين بعـد علـي ما سـوى الصحب
أودى علـي فلا تبغـي له بدلاً ... فانـه واحـد في عصـره الذهبي

الاستاذ زيد فرحـات :

فقيه ورع محدث بارع أديب مبدع مصلح اجتماعي وطني مجاهـد ـ صفـات اجتمعت وتضافرت لتقدم للإنسانية شخصية فذة ولتهب للعالم عالماً علماً ولتجود على التاريخ بدرة ثمينة يرجح بها جيده ويضيفها الى طرائفه القليلة النادرة .

السيد عبد اللطيف فضل الله :

فقـدتـك مـولـى لـذّت فيـه مـوالياً ... كمـا فقـدت يمنـى يـدي شمـاليا
فقـدتـك فالـدنيـا لـديّ مآتـم ... وأضيـق مـن سـم الخيـاط نـواحيـا

حرام على الدهر أن أدع البكا وان أستسيغ العيش بعدك صافيا
فلله قلبي اذ أسجيك راحلاً وأطويك في اللحود مواريا

الرواية الشعرية

أرقت والليل ساج والهم بات ضجيعي
فرحت أنشج حزناً ولا أرى من سميع
وبت أزفر ناراً والجمر حشو ضلوعي
وكدت أحرق وجداً لولا مسيل دموعي
وعبرتي خنقتني لما ذكرت ربوعي
اليك يا همّ عني فقد أطرت هجوعي
أطلت ليلي ظلماً وللديار نزوعي

***

كم قد تركت حبيباً أطال ليلي نواه
وكم حرمت صديقاً قد شق جسمي هواه
وكم تركت غلاماً حياة نفسي لقاه
ويلاه كيف احتيالي لأن أشم شذاه
البعد قد حال دوني فهل تراني أراه
يا شقة البعد زولي عسى أقبِّلُ فاه
وأحتسي الشهد صرفاً عند امتصاص لماه

***

أوّاه كيف احتمالي فراق أهلي وصحبي
أصبو لهم كل آن والشوق يصمي ويصبي
فكيف أرجو بقاء والجسم من غير قلب
يا همّ فارق قليلاً عسى يخفف كربي
ويا زمان تأنَّ فمن عذابك حسبي
أطرت يا هم نومي من غير جرم وذنب
جعلت زادي زفيري ومن دموعي ترابي

قـالـوا غـداً يـوم عـيـد فـالبس جديد الثيـاب
فقـلـت خلـوا المعنَّـى بمـا بـه مـن عـذاب
فـالعيـد ليـس بعيـدي والاكتئـاب اكتئـابـي
لاقيـت همـي صغيـراً وقـد فقـدت صـوابـي
يـا دهـر قصـرت عزمي لمـا أطلـت اغترابـي
للقـارضيـن ايـاب وليـس لـي مـن ايـاب
أبيـت وجـداً كـأنـي علـى رؤوس الحـراب

***

شـتّـت يـا دهـر شملـي وقـد أطلـت اشتيـاقـي
فـأن بقيـت المنـادي فـانـنـي غيـر بـاق
ساويـت يـومـي بليلـي وبـالصبـوح اغتبـاقـي
كـأنمـا أبعـدتنـي حيـا ليـالـي المحـاقـي
جـرعتنـي البيـن صـرفـاً والبيـن مـر المـذاق
فاقض الـذي أنـت قـاض فقـد كفـى مـا ألاقـي
كـم لـدغـة تـلـو أخـرى ومـا لـهـا قـط راق

***

ليسـت حيـاتـي الا صحيفـة مـن شُجـون
مـا أن نظـرت اليهـا الا وسـالـت عيـونـي
ولا تـمتعـت فيهـا الاّ وحـان منـونـي
مـا جـنّ ليـلـي لكـن للهـم جـنّ جنـونـي
منـذ وجـدت وبـؤسـي مـلازمـي وقـرينـي
وقبـل ايجـاد جسمـي مـن عـالـم التكـويـن
فكيـف أرجـو خلاصـاً من جـور دهـر خؤون

***

قـالـوا أتجـر تلقَ خيـراً فَمِـلـت لـلاتجـار
وقمـت للـربـح أسعـى بـليلـتـي ونهـاري
فمـا استفـدت ولـكـن للغيـر أرهنـت داري
وصـرت لا البيـت بيتـي ولا الحمـار حمـاري

وأثقلتني ديون		قد كلّ عنها اقتداري
كأني قبل موتي		حللت دار البوار
وصار سكناي مأوى		لكل جرذون فار

***

يسعى بكد وكدح		عساه يصطاد حبه
فلم يجد فيه شيئاً		فنبتني للمسبه
فتسمع الشتم أذني		والغر للمرء سبه
لو كان عندي شيء		ما بارح الجَرذ ثقبه
فكنت أهنأ بنومي		والفأر يشهر ضربه
وأرهب الهر حتى		للفأر أبدي المحبة
السقف لحافي ولكن		به ثقوب كبيرة
لا يدفع الشمس عني		ولا الليالي المطيرة
لو هبت الريح فيه		عمت عيوني البصيرة
وما به من تراب		تحتي مكان الحصيره
جدرانه قد تداعت		لولا الصدود الكثيرة
يخشى على الفراش		خشاية أن تطيره
كأنما قد بنوه		في الأصل للمعزى صيره

***

سراجي النار فيه		تضي لولا الدخان
ما صِينَ فيه متاع		وهل فيه ما يصان ؟
لو زج فيه أتان		لقرضته الأتان
للبق فيه صهيل		يغار منه الحصان
وللذباب دوي		يضيق عنه الجبان
وللبراغيت جند		يضيق عنه المكان
ما أن أرى من أمان		فيه وأين الأمان
هذي نتيجة كدي		بالأتجار وكدح
مافزت يوماً بربح		ولو بأقة ملح
ومُذ رآني جاري		قد صار ثوبي كسطحي
اتى نضوحاً نهاري		عساك تقبل نصحي

خل التجارة واعنا … جاري بزرع وملح
عساك ترتاح يوماً … أو أن تفوز بنجح
فملت للزرع علّي … به أبلسم جرحي
ثم استدنت نقوداً … وابتعت بعض العجول
(وزوبراً)[1] ذات حد … ماض (لحش)[2] البقول
ثم اكتريت أجيراً … يزهو بعرض وطول
وسكة ثم عوداً … ما ان له من مثيل
ثم استدنت بذاراً … للأرض غير قليل
وقلت شأنك فأزرع … واسلك سواء السبيل
وبت في خير حال … مع أسرتي وقبيلي
فقام زرعي وأقبل … وصرت أمشي اختيالا
وقلت نحسي ولى … فسوف أغنم مالا
حتى اذا درسوه … وللحبوب استحالا
أتت اليه البرايا … من كل صوب عجالا
وقسموه عليهم … فعاد كدي وبالا
فبت واليأس خذلي … أرى النجاح محالا
والنجم أدنى لكفي … من يسر يوم منالا

رضيت بالدون عيشا

وقلت حسبي الأمان … فقد أنال الأماني
وقد أحياني الزمان … وبت أرقب نجمي
ولي مع النجم شأن … ولي أب بي رؤوف
له عليّ حنان … ما هاب سطوة دهر

ولا اعتراه الهوان

فشد أزري وأمست … به حقوقي تصان
وصرت في القرب منه … أمشي وعرضي مصان

---

(١) زوبر : آلة قاطعة كالمنجل تستعمل للحصاد .

(٢) حش : يقصد بها حصد البقول [illegible] .

فمـــا شعـــرت اذ قـــد دعـــاه داعـــي المنـــايـــا
فقلـــت للنفـــس ذوبـــي تعبـــت أم الـــرزايـــا
تحمـــلي مـــا استطعـــت مـــن مـــوبقـــات البلايـــا
فقـــد تهـــدم حصنـــي المنيـــع دون الـــبرايـــا
ودك طـــود اصطبـــاري علـــى احتمـــال الاذايـــا
فكيـــف أامـــن دهـــري (وفـــي الـــزوايـــا خبايـــا)[1]
والـــدهـــر لـــي دون غيـري غـــدر يســـيء النـــوايـــا

***

وقمـــت أسعـــى لـــرزقـي والـــرزق بـالســـعـي يـدرك
والكـــد أنهـــك جسمـــي والجســـم بـالكـــد ينهـــك
وفـــي الليـــالـــي احتيـــاج للـكـــد بـرغـــم أنفـــك
والـــرزق ينفـــر عنـــي اذ اليـــه أتحـــرك
فقـــلـــت للـــدهـــر مهـلاً بـــدل بحلـــوك مـــرك
فقـــد كفـــانـــي عـذاب اذا شقيـــت نحـــوي شـــرك
الـــى م يـــا عـــدوي لا أتـــرك الدهر حربك

***

فمـــا خضعـــت ولكـــن بـــالصـبـر قـــابلـت غـــدره
وعـــدوت مـــا بعـــد منـــه فـــأوغـــر الحقـــد صـــدره
والـــدهـــر قـــاد وأمـــس يســـوق نحـــوي عســـره
وشـــد شـــدة خصـــم بـــالجنـــد م يحكـــم أمـــره
قـــال مـــالـــك أنـــي قصـــمت قبلـــك ظهـــره
فـللهـــلاك تـــأهـــب فســـوف تصبـــح عبـــره
حسبـــك انـــك فـــوقـــي عـــزمـــاً وحـــزمـــاً وقـــدره
فهـــالنـــي القبـــول منـــه لكننـــي دمـــت صـــابـــر
ودام هـــو خـــؤون علـــى العـــداء مثـــابـــر
فقلـــت خـــاطـــر عليـــاً فقـــد يفـــوز المخـــاطـــر
واجـــرِ وكـــابـــر قليـلاً فقـــد يهـــاب المكـــابـــر
كـــم مـــن نعـــاب طيـــور حـــزمـــاً أمـــاتـــت كواســـر
وكـــم مـــن وضيـــع تسامـى وخـــادم صـــار آمـــر

لا يرهب الدهر حر — له المهيمن ناصر

***

فبينما أنا ساع — بما يقيت العيالا
واذ ينادي المنادي — للحرب هبوا عجالا
فشلَّ عرش اصطباري — وسئت من ذاك حالا
ورمت منه ظمأً — فما وجدت مجالا
فقادني الجند ليلاً — فيه الجنيب اغتسالا
وللعيال بكاء — من خوفهم يتعالى
فصرت أبكي عيالي — وصرت أخشى جمالا

***

فسيقت الناس طراً — ويا لها من ظلامة
عمت جميع البرايا — ولم تدع ذا كرامة
بها المطربش ساوى — بالقدر رب العمامة
وذو «العقال» اليها — مزود بالسلامة
كل كهلٍ وشيخ — قد كاد يلْقَى حمامة
وعاف كل ابن انثى — شرابه وطعامه
وكل حر نبيل — قاد الزنيم زمامه
وسلموا كل شخص — لملتقى الحرب لامة
من بعد ما أوثقوه — بما يدق عظامه
وللجنود فعال — تنسي الشقيق غلامه
اذ ليس فيهم كريم — به قليل شهامه
وليس فيهم شفوق — فيه ترجى السلامة
فمذ رأيت بعيني — أهوال يوم القيامة
لجأت خوف هلاكي — الى ادعاء الإمامة
وقلت قد تسنى — لكل صاحب عمه
اعفاؤه من عناه — ان أظهر الكل همه
وقمت أسعى وحولي — من الأفاضل لَمّه
الى رحاب زعيم — يرجى لكل مهمه
الوائلي المفدى — فراج كل ملمه
عبد اللطيف مجلى — خطوبها المدلهمه

فقـــال أهـــلاً وسهـــلاً عنـــد عمـكم خيـــر ذمــه
وقـــام كـــالليـث يعــدو نحـــو والـــي الـولايـــة
وقـــال حقـــاً وصلتـــم بجـــوركـــم للنهـايـــة
الـــديـــن ضـــاع اذا لـــم تـــدركـــه منـــك العنـايــه
وذي المســاجــد أمســـت لكـــل خصـــم شقـايـه
ســـوق الأيمـــة فيهـــا للـــديـن أدهـــى نكـايـه
فمـــر يعفـــوك عنـــهـم فـــذاك لـــي منـــك غـايـة
فقـــل لأنـــور يعفـــو فـــان فـــي ذا كفـايـة

***

فمتـى تســـأل آتيك حالاً يـــرجـو بـــه العفــو عنـا
وقـــال للبيـــك بكًـــر صبحـــاً خـــذ الأمـــر منا
فـأقبـل البيـك عصـــراً يمشـــي الـــى حيـــث كنـــا
فقـــال طيبـــوا نفـــوساً ظفـــرتـــم بـــالمهنـــا
فـالفـــوز لـم يعد شخصـاً بـــالله أحســـن ظنـــا
لا يـــراعـــوا إنّـــا بحـــزمنـا الـــدين صنّـــا
ومنـــذ هـــا البشر وافَـى وبلبـــل الأنســـ غـــنَّ
أمســـى المســـاء علينـا وطـــال عهـــد الصبـــاح
والانتـظـــار شـــديـــد علـى نفـــوس الصـــواحـي
وعـــن ذكـــاء استمدت نـــوراً جميـع البطـاح
يسيـــر ســـير النســـا يـــدق راحـــاً بـــراح
فعنـدهـــا النفـــس عـــزّت مـن بعـد خفـض الجنـاح

***

وقـــال طيبـــوا نجـوتـم يـــا قـــادة النـــاس نفسا
أطـــلقتـــم ومحـــال أن يخســـر المـــرء فلســـا
لا تـــذهبـــوا بعـــد هـــذا همـــا « وضـراً » وبـؤسـا
ولا تـــراعـــوا ظفـــرتـــم بـــالنجـــح نـــوعـــاً وجنسا
والأمـــر أوفـــى فكـــونـوا مـــن المـــواكـب أرســـا
فلســـت أنســـى عنـــاكـم فكيـــف مثلـــي ينســـى

***

وكــــان مــــا كــــان منه		للنجــــح خيــــر طــريقــــة
فقـــال مهـــلاً تـأنــوا		لتـظفــــروا بــالـوثيقــــة
وكــاد مــــن فــرط أنــسي		ينســـى الشـــقيـــق شقيقــه
فكــــل فعــــل مجـــازى		وتلـــك عيـــن الحقيقــــة
فيممــــــوا نحـــو صيــــدا		ولا تنــامــــوا بضيقـــــة
هـــذا حليــم فهبــــوا		ولا تـــوانـــوا دقيقــــة
ســرنــــا اليهـــا ولكـن		بنـــا الهمـــوم محيقــــة

***

جئنـــا لشـعبـــة صيـــدا		مـــا بيـــن راج ويـــائس
وجمـــع الصــــف فيهـــا		عمـــائـــم وطيـــالـس
وفـــي القلــوب اضطـراب		وفـــي الصـــدور وســاوس
فضـــاحـــك طار أُنسَـاً		وواجـــم ظـــل عـــابس
يجــس فـــــارغ جيــب		دراهـــنها لـــم تـــدانِسْ
وتنـــظـــر العيـــن منـــه		عليـــه رث المـــلابـــس

***

وعنـدهـــا منحـــونـــا		مـــا نـــرتجـي مــن وثائـق
ورخصـــونـــا فعـــدنــا		علـــى عيـــون الخـــلائـــق
وسيقـــت النـــاس طـــراً		ســـوق النعـــاج بســـائـــق
مـن سن عشريـن حتـــى الــ		ـستيــن مـــن غيـــر فـــارق

***

ملاحظة : تمثل هذه الرواية الشعرية وثيقة تاريخية هامة جداً لحقبة زمنية كانت فيه الناس تساق للجندية ، حتى رجال الدين ، ويؤ رخ لنا كيف استحصل رجال الدين على عفوٍ من السوق لهذا التجنيد الإجباري الذي لم يكن يستثني احداً .

صورة الرواية الشعرية

[illegible]

فحكت [illegible] على هدى [illegible]

ثم يا ابن [illegible] ما [illegible] الايام والاصحاب

[illegible] عزما وحزما [illegible]

[illegible] فقلت خاطر علينا [illegible]

[illegible] المكارم [illegible]

[illegible] ما [illegible]

[illegible]

عمت [illegible] تدح [illegible] [illegible]

[illegible] قدرا [illegible] [illegible]

وسلم [illegible] للتقا الحرام [illegible]

اذ ليس فيهم كريم بقليل شما اهيه وليس فيهم [illegible]

[illegible] خوف هلاكي الى دعا الامام [illegible]

[illegible] الى رحاب [illegible]

[illegible] خطوبا المدلهمه فعال الهلاك [illegible]

وقاه [illegible] [illegible] الدنيه ضاع [illegible]

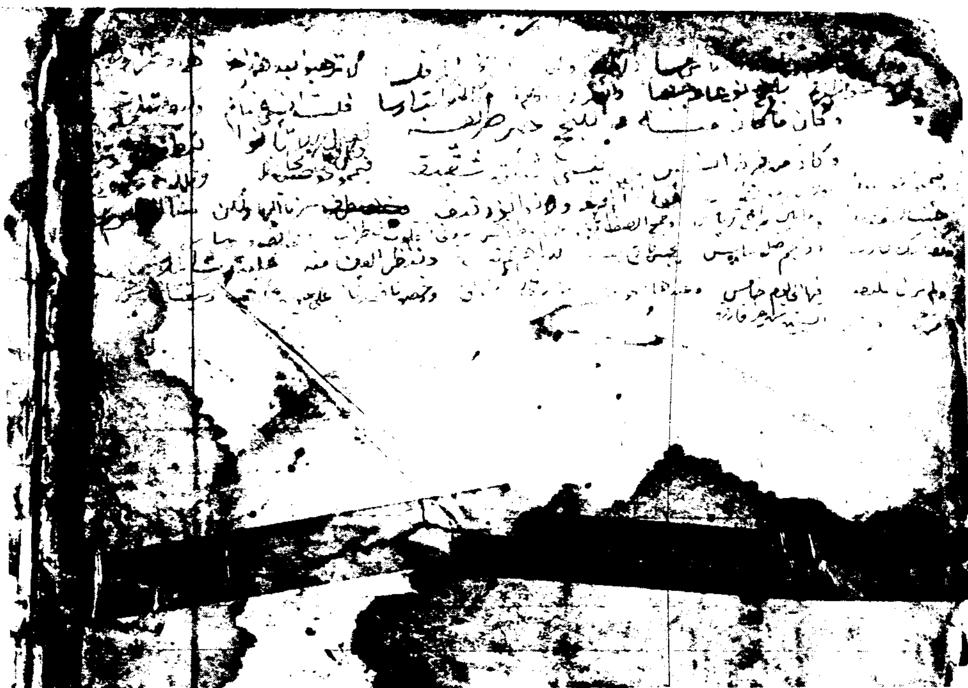
[illegible] للدنيه [illegible] [illegible]

[illegible] برحوبة [illegible] [illegible]

[illegible] نفوسا [illegible] بالمهنا [illegible]

[illegible] تشوفا [illegible] [illegible] علينا

[illegible] [illegible] [illegible]



المصادر والمراجع

- ابراهيم ، علي . شعراء من لبنان . بيروت ، مكتبة منيمنة (ط أ / ١٩٦٤ م)
- ابراهيم ، علي . شعراء من بلادي. بيروت، منشورات حمد. (ط أ / ١٩٦٨ م) .
- ابن جعفر ، قدامة . نقد الشعر . طبعه وشرحه محمد عيسى منون ، القاهرة ، المطبعة المليجية ط أ / ١٩٧٤)
- ابن منظور ، أبو الفضل محمد بن مكرم (٧١١ هـ / ١٣١١ م) لسان العرب . بيروت : مطبعة دار صادر ، لا ت ١٥ مج .
- ابن أبي ربيعة . الديوان وقف على طبعه بشير يموت . بيروت، مط الوطنية (ط أ / ١٣٥٣ / ١٨٣٤ م) نشر المكتبة الأهلية .
- أبو الفرج الأصفهاني ، الأغاني ، بيروت ١٩٥٥
- أبو الفداء ، عماد الدين اسماعيل . المختصر في تاريخ البشر ، بيروت ، دار الفكر. ١٩٥٦ .
- أبو العلاء المعري . لزوم ما لا يلزم . تحقيق أمين عبد العزيز خانجي . القاهرة ، طبعة القاهرة ، ١٩٢٤ ج أ / ٢٤٧
- الأسعد ، شبيب باشا . ديوان شبيب باشا الأسعد .
- الاسكندري ، أحمد . تاريخ آداب اللغة العربية وتاريخها . القاهرة ، مطبعة المعارف (ط٨ / ١٩٣٠)
- الأمين ، نوار . الأدب العاملي في النصف الأول من القرن العشرين . رسالة كفاءة كلية التربية ، اشراف د . جبور عبد النور ، بيروت . ١٩٦٢ ـ لم تنشر .
- الأمين ، محسن . خطط جبل عامل . تحقيق حسن الأمين . بيروت مطبعة الانصاف . (ط : ١ / ١٣٨٠ هـ / ١٩٦١ م)
- الأمين ، محسن . أعيان الشيعة . تحقيق حسن الأمين . بيروت ، مطبعة الانصاف . ١٩٦٠ ج ـ ٤٠ ـ ٤١ ـ ٤٢ ـ ٤٣ ـ ٤٨ ـ ٣٧٩ هـ / ١٨٦٠ م) .
- الأمين ، محسن . سيرته بقلمه وأقلام الآخرين . تحقيق حسن الأمين . صيدا ،

مطبعة العرفان (١٩٥٧ م)
- أمين ، بكري شيخ . مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني . بيروت ، دار الآفاق الجديدة ط٣ / ١٩٨٠ م
- أمين ، أحمد . زعماء الاصلاح في العصر الحديث . بيروت . دار الكتاب العربي . لا . ت .
- البحيري ، حسن . الاصائل والاسحار . طبع القاهرة ط/ ١٩٤٣ م
- بكار ، يوسف حسين . اتجاهات الغزل في القرن الثاني للهجري . بيروت . دار الاندلس ١٩٨١ .

- جابر ال صفا ، محمد تاريخ جبل عامل . بيروت . دار النهار للنشر ، ط٢ / ١٩٨٢ م
- جلول ، فاطمه . فهرست مجلة العرفان منذ صدورها حتى سنة ١٩٥٠. كلية التربية ، بيروت ، ١٩٦٢ . إشراف د . عبد النور ، لم تنشر .
- جمعة ، محمد . حسان بن ثابت (سلسلة نوابغ الفكر العربي) القاهرة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٥ م
- حتي ، فيليب وغيره . تاريخ العرب (مطول) بيروت . دار غندور . ط٥ / ١٩٧٤
- حتي ، فيليب ، تاريخ لبنان منذ أقدم العصور حتى عصرنا الحاضر . تر . أنيس فريحة بيروت دار الثقافة ط٣ .
- الحر العاملي ، محمد . أمل الآمل . تحقيق السيد أحمد الحسيني . بغداد ، مكتبة الأندلس ط١ / ١٣٨٥هـ .
- الحموي ، ياقوت . معجم البلدان . بيروت ، دار بيروت . دار صادر م ٥
- حنا ، جورج . تصويب مفهوم القومية العربية . بيروت ، دار القلم ١٩٥٩
- حوراني ، البرت . الفكر العربي في عصر النهضة . بيروت ، ١٩٧٧
- خوري ، رئيف الفكر العربي الحديث . بيروت .
- الراسي ، سلام . لئلا تضيع . بيروت . مط مؤسسة نوفل ، ط٣ / ١٩٨١
- رستم ، أسد . لبنان في عهد المتصرفية . بيروت . دار النهار للنشر ١٩٧٣
- الزبيدي ، محمد مرتضى حسين . شرح القاموس المسمى تاج العروس من جواهر القاموس ، موجود في كلية الآداب . لا ط . لا . ت - ج ٧
- الزركلي ، خير الدين . الاعلام . لا . ط . لا . ت . ج ٧ (معجم)

- الزمخشري ، جار الله . أساس البلاغة . بيروت . دار صادر ، دار بيروت ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م
- زيدان، جرجي. تاريخ آداب اللغة العربية . بيروت ، مكتبة الحياة ١٩٧٨ م ، ج ٣ ـ ٤
- زين ، زين نور الدين . نشوء القومية العربية . بيروت ط٢ / ١٩٧٢ م
- الزين ، علي . مع التاريخ العاملي صيدا . مطبعة العرفان ـ ١٩٥٤
- الزين ، علي . أوراق أديب . بيروت ، مط دار الفكر ١٩٥٥ م .
- الزين ، علي . العادات والتقاليد في العهود الاقطاعية . بيروت ، مط دار الكتاب اللبناني ، القاهرة ، مط دار الكتب المصرية ، ط ١ / ١٩٧٣
- الزين ، علي . مع الأدب العاملي . بيروت ، مطبعة سميا الجديدة . لا . ت
- ألسبيتي ، علي . الجوهر المجرد في قصيدة علي بك الأسعد .
- سعد ، حسن . جبل عامل بين الأتراك والفرنسيين (١٩١٢ ـ ١٩٢٠ م رسالة دبلوم دراسات عليا ١٩٧٨ جامعة بيروت العربية . قسم التاريخ ، نشرت ـ بيروت مط دار الكاتب ط ١ / ١٩٨٠ م)
- سعادة ، جوزج . تاريخ الانتخابات في لبنان ط ١ / ١٩٦٤ م
- سليمان ، كامل . ديوان إشراق .
- شرف الدين ، عبد الحسين . المراجعات . بيروت ـ دار الفكر ـ ط ٤ / ١٩٥٨ م .
- الشريف الرضي . ديوان الشريف الرضي .
- الشكعة ، مصطفى . فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين . مصر . مط مكتبة الانجلو مصرية .
- شمس الدين ، علي . ديوان الوطنية والحياة (لديَّ نسخة قديمة ـ مصورة)
- الشهابي ، حيدر أحمد . تاريخ الأمير حيدر الشهابي . بيروت دار الآثار . ط٢ / ١٩٨٠م ٣٠ أجزاء
- شيخو ، لويس . الآداب العربية في القرن التاسع عشر . مطبعة الآباء اليسوعيين ١٩٠٨ ج ١
- الصعيبي ، أديب . المتنبي . بيروت . لا مط . لا . ت
- ضيف ، شوقي .الفن ومذاهبه في الشعر العربي. مصر دار المعارف، ط٦. لا . ت . ج ـ ١
- الطهطاوي ، رفاعة . الأعمال الكاملة . تحقيق محمد عمارة المؤسسة العربية

للدراسات والنشر ط ١ / ١٩٧٣ ج ١ - ٢
- عانوتي ، أسامة . الحركة الأدبية في بلاد الشام خلال القرن الثاني عشر . رسالة لنيل الدكتوراه ، جامعة القديس يوسف ١٩٧٠ ،نشرت بيروت المكتبة الشرقية ١٩٧١ .
- عبده ، محمد . نهج البلاغة . دمشق . مطبعة كرم ج ٤
- العبد الله ، عبد الحسين . ديوان حصاد الأشواك .
- عبده ، محمد . الأعمال الكاملة . تحقيق محمد عمارة ج ١
- العرفان ، مجلة العرفان - مجلد ٢ - ٣ - ٥ - ٦ - ٧ - ٨ - ٩ - ١٠ - ٢٢ - ٢٣ - ٤٠ - ٤١ - ٤٢ - ٤٨
- فاخوري ، محمود . سفينة الشعراء . حلب . مكتبة الثقافة ٢٧ / ١٩٧٤ - ١٣٩٤ هـ
- فرحات ، هاني . الثلاثي العاملي في عصر النهضة . رسالة لنيل الماجستير قسم الفلسفة . بيروت نشرت ١٩٨٢
- فروخ ، عمر . الرسائل والمقامات - بيروت - مكتبة منيمنة . ١٣٦١ هـ - ١٩٤٢ م
- فريحة ، أنيس . أسماء المدن والقرى اللبنانية . وتفسير معانيها . بيروت الجامعة الأميركية - ١٩٥٦ م
- فريحة ، أنيس . حضارة في طريق الزوال . بيروت ، الجامعة الاميركية ١٩٥٧
- فضل الله ، مهدي . لمحات في الفكر الشيعي في لبنان . رسالة ماجستير فلسفة الجامعة اللبنانية لا . ط . لا . ت لم تنشر ٢٢٨ ص .
- الفيروز آبادي . القاموس المحيط. المطبعة الحسينية المصرية ١٣٣٢هـ ج ٣(معجم)
- القاضي الجرجاني ، علي عبد العزيز . الوساطة بين المتنبي وخصومه . تحقيق محمد أبو الفضل وعلي البجاوي دار احياء الكتب العربية ط١ / ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٥ م
- القلقشندي ، صبح الأعشى . القاهرة ، ١٩١٤ ج ١
- القيرواني ، محسن بن رشيق . العمدة . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد . مصر ، مط حجازي (توزيع المكتبة التجارية الكبرى - شارع محمد علي بمصر) ط١ / ١٣٥٣ هـ - ١٩٣٤ م) .
- كوثراني ، وجيه . الاتجاهات الاجتماعية السياسية في جبل لبنان والمشرق العربي ١٨٦٠ - ١٩٢٠ م . بيروت معهد الانماء العربي . ط ١ / ١٩٧٦ م
- مبارك ، زكي . الموازنة بين الشعراء . القاهرة . مطبعة المقتطف ط ١ / ١٩٢٦

- المخزومي ، محمد. خاطرات جمال الدين الافغاني . بيروت . المطبعة العلمية ليوسف صادر ١٩٣١ م
- مرهج ، عفيف . اعرف لبنان . موسوعة المدن والقرى اللبنانية . مجلد ٣
- مروة ، علي . روائع الأدب الفكاهي العاملي . درعون . مطابع الاحسان ط١ / ١٩٧٢ م
- مروة ، محمد نجيب . الروض الزاهي في الأدب الفكاهي العاملي (نسخة مصورة في المجلس الثقافي ، الجنوبي)
- مصطفى ، قيصر . الشعر العاملي الحديث في جنوب لبنان . ١٩٠٠ ـ ١٩٧٨ م . بيروت دار الأندلس ط٢ / ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م
- مكي ، محمد كاظم . الحركة الفكرية والأدبية في جبل عامل . بيروت دار الأندلس ، ط٢ / ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢
- المنجد في اللغة والاعلام . بيروت . مط دار المشرق . المكتبة الشرقية ط٢٣

المخطوطات

- قصائد قالها الشاعر ـ وقيلت في الاسبوع بحوزتي مجلدة
- قصائد قالها في لبنان وفلسطين ـ بحوزتي
- المقامات والرواية الطويلة وبعض القصائد والرواية الشعرية بحوزتي
- النسخة المصححة للرواية والمقامات بحوزتي
- مخطوطة بداية الهداية ونهاية الدراية . مهدي شمس الدين . بحوزتي صورة عنها .

التسجيلات

- تسجيل اذاعي بتاريخ ٤ / ١٠ / ١٩٨٠ التاسعة ليلاً أذيع في الاذاعة اللبنانية من اعداد السيد علي ابراهيم خصيصاً في علي شمس الدين .
- شريط مسجل ـ مقابلات مع الأدباء والشعراء المعاصرين . عدد ٣ .

المصادر الأجنبية

- بولياك ، الاقطاعية في مصر وسوريا وفلسطين ولبنان . تر . عاطف كرم . بيروت

نشر دار المكشوف ط٢ / ١٩٤٨
ـ روبنصون ، ادوار . يوميات في لبنان . تر . اسد شيخاني . منشـورات وزارة التربية ط١ / ١٩٤٩ م .

— Houtsmo, Encyclopédie de l'islam A.I.

— Joseph Sokhn. Les auteurs Libanais contemporains.

الفهرس

الباب الأول